«سيرة النبي الخاتم»

محمد ﷺ

محمد مورو

الناشر
دار جهاد للنشر والتوزيع
٢٠٠٣

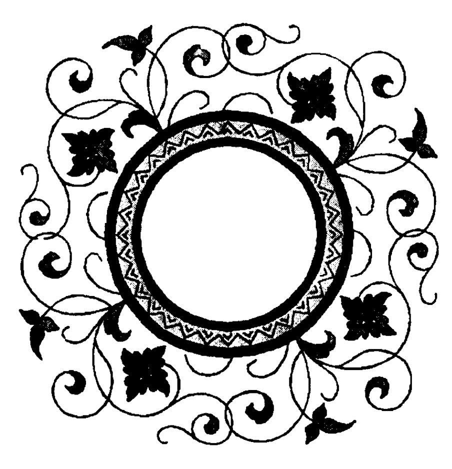


الكتاب: سيرة النبى الخاتم **محمد** ﷺ
الكاتب: د. محمد مورو
الغلاف: عصام حنفى
إشراف: محمد نوار
الإخراج الفني: زينب طيبى
الطبعة: الأولى/٢٠٠٣
رقم الإيداع: ٩٦٣٩/٢٠٠٢
الناشر: ISBN 977 - 5684 - 50 - 1
دار جهاد للنشر والتوزيع
٢٦ ش إسماعيل أباظة بجوار محطة مترو انفاق
سعد زغلول، لاظوغلي ☎: ٧٩٦٤٧٨٣


محمد

محتويات

من الميلاد إلى البعثة



أيام فى مكة

ولد رسـول الله ﷺ يوم الاثنيـن الموافق الثـانى عشـر من شهر ربـيع الأول لعام ثلاثة وخمسين قبل الهجرة، أى قبل التقويم الهجرى بثلاثة وخمسين عاما، وهو يوافق عام الـفيل، أى العام الذى حاول فيه أبرهة الأشرم ملك الحبشة أن يعتدى عـلى بيت الله الحرام «الكعبة» إلا أن الله تعالى أرسل عليه طيراً أبابيل ترميه بحجارة من سجيل فجعلت جيشه كعـصف مأكـول، أى أنها حـطمت جـيشـه تحطيـما ومنـعته مـن هدم الكعبة، وظلت الكعبة سليمة بفضل الله وعنايته.

أما نسب النبى ﷺ فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمنـاف، ويصل فى نسبه إلى نـبى الله إسماعيل بن نبـى الله إبراهيم، صلوات الله على جميع الأنبياء والمرسلين ويتفق مؤرخو الأنساب على أن نسب النبى شريف وأنه خير الناس وأفضلهم نسبا.

ويقول رسول الله ﷺ عن نسبه فيما رواه مسلم:

«إن الله اصطفى «اختار»كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفانى من بنى هاشم».

أما والدا رسول الله ﷺ فهما عبدالله بن عبدالمطلب والسيدة آمنة بنت وهب.

ولد رسـول الله ﷺ يتـيمـا، فقـد مات أبـوه عبـدالله وأمه حـامل بـه

لشهرين فقط، وقام جده عبدالمطلب بكفالته «رعايته» عندما ولد وأسماه محمداً.

وكان من عادة العرب أن يدفعوا (يسلموا) بأبنائهم الرضع إلى من ترضعه غير أمه وكانت المرضعات تأتى عادة إلى مكة وغيرها من مدن وقرى الجزيرة العربية ليأخذن الأطفال الرضع طمعا فى الأجر الذى يدفعه لهن الآباء، وقد رفضت المرضعات إرضاع محمد ﷺ عندما علموا أنه يتيم، وقد رجعت المرضعات فى ذلك العام ومع كل منها طفل ترضعه، إلا واحدة منهن لم تحصل على أحد الأطفال،وهى السيدة حليمة السعدية، وعندما عزمت على الرجوع دون الحصول على صبى ترضعه قالت لزوجها: «والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى أى صاحباتى ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه»، فقال زوجها «لا عليك أن تفعلى» أى لامانع «عسى أن يجعل لنا فيه بركة».

فذهبت حليمة السعدية إليه فأخذته، فلما رجعت به أحست أن ثدييها قد امتلآ باللبن بعد أن كانا خاليين من هذا اللبن، فرضع رسول الله ﷺ حتى ارتوى، وشرب معه أخوه من الرضاعة «أى ابن حليمة السعدية» حتى ارتوى هو الآخر ثم ناما.

وعندما ذهب زوجها ليحلب الناقة التى تملكها وجد ضرعها ممتلئا باللبن فحلبها وشرب وشربت معه زوجته حليمة حتى شبعا،وكان من قبل لا يجد شيئا من اللبن فى ضرع هذه الناقة العجوز. وهكذا كان محمد ﷺ بركة على حليمة وزوجها وابنها الرضيع،ولم تقتصر البركة على كثرة اللبن فى ثديى حليمة ولا فى ضرع الناقة فقط، بل حلت البركة بدابة «حمار» حليمة وقد كانت دابة ضعيفة لا تستطيع ملاحقة

الدواب الأخرى التى تحمل باقى المرضعات، ولكن فى رحلة العودة إلى ديار حليمة أصبحت تلك الدابة هى أسرع الدواب حتى إن رفاق حليمة من المرضعات كن يطلبن منها أن تهدئ من سرعتها حتى يلحقن بها.

وصلت حليمة وزوجها وطفلها ومعهم محمد ﷺ إلى ديارها وكانت أرضا جدباء «ليس فيها زرع» ولا تجد فيها الأغنام شيئا تأكله، وبالتالى كان من المتوقع أن يكون اللبن قليلا وغير موجود فى ضروع الغنم، ولكن بركة محمد ﷺ حلت أيضا على غنم حليمة، فكانت تعود دائما ممتلئة الضرع كثيرة اللبن فى حين تعود باقى أغنام «عشيرة حليمة » أهل وأقارب حليمة وجيرانها خالية الضرع، حتى إن هؤلاءقالوا لرعاتهم أن يسرحوا بالأغنام حيث تسرح أغنام حليمة ولكن هذا أيضا لم يغير من الأمر شيئا، ففى مساء كل يوم تعود أغنام حليمة ممتلئة الضرع وتعود الأغنام الأخرى خالية الضرع.

واستمرت حالة حليمة وأهلها على هذه الدرجة من البركة والخير عامين كاملين وشب رسول الله ﷺ قوياشديداً بصورة تفوق الأطفال الآخرين، وكان من عادة القوم أن يرجعوا بعد مضى سنتين إلى أهل الرضيع فيعيدونه إليهم بعد أن انتهت مدة رضاعته، وذهبت حليمة بمحمد ﷺ إلى أمه لتعيده إليها، ولكنها كانت تتمنى فى قرارة نفسها أن يظل محمد معها بعد أن لمست بركته.

وطلبت حليمة من السيدة آمنة أن تترك الطفل محمداً ﷺ عندها مدة أخرى، وقالت إنها تخاف عليه الأمراض فى مكة، ومازالت تكلم الأم وتقنعها حتى وافقت على ذلك.

وبعد العودة بعدة شهور، وبينما كان محمد ﷺ فى صحبة أخيه

للرضاع، أتى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، فأخذا محمداً ﷺ فشقا بطنه واستخرجا قلبه ثم شقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها «رمياها بعيدا»، ثم غسلا قلبه وبطنه بالثلج حتى أنقياه «جعلاه نقيا»، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه بهم فوزنهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنه بهم فوزنهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنه بهم فوزنهم، فقال دعه، فو الله لو وزنته بأمته لوزنها وهذا دليل على أن الرسول ﷺ أفضل فى إيمانه وأثقل من كل إيمان الأمة مجتمعة.

كان ابن حليمة السعدية ـ أى شقيق محمد ﷺ من الرضاعة، قد رأى هذا الأمر، فخاف على محمد ﷺ وانطلق ليخبر أباه وأمه وما أن علمت حليمة وزوجها بالخبر حتى انطلقا إلى حيث محمد ﷺ فوجداه قائما ممتقع الوجه «أصفر» فضماه إلى صدريهما وقالا له مالك يابنى فقال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى فالتمسا بعد شيئا لا أدرى ماهو ؟ فرجعا به إلى خبائهما «خيمتهما».

خاف زوج حليمة أن يكون محمد ﷺ قد أصابه مكروه، وقال لها من الأفضل أن نذهب به إلى أهله فنسلمه لهم قبل أن يظهر به ذلك المكروه وبالفعل انطلقا إلى أمه آمنة ليسلماه إليها وتعجبت آمنة منهما ـ فكيف يريدان تسليمه إليها اليوم وقد كانا من قبل فى حرص شديد على الاحتفاظ به، وأخذت تلح عليهما أن يخبراها بالحقيقة، اضطرا تحت الإلحاح أن يخبراها بالأمر، فقالت لهما آمنة أتخوفتما عليه من الشيطان، «أى هل تخافان عليه من الشيطان» فقالا نعم، قالت كلا، «لا» والله ماللشيطان عليه من سبيل «أى لا يستطيع الشيطان أن يؤذيه» وإن لابنى لشأنا، أفلا أخبركما خبره، قالا بلى، قالت رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام ثم

حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وأنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء.

الطفل اليتيم فى مكة:

تركت حليمة وزوجها الطفل مع أمه وانطلقا عائدين إلى ديارهما، وبدأ الطفل اليتيم حياته فى مكة فى حضن أمه ورعاية جد عبدالمطلب فلما بلغ محمد ﷺ ست سنين توفيت أمه أثناء عودتها من زيارة إلى المدينة المنورة، وانتقل الطفل إلى حضن جده عبدالمطلب الذى كان يعطف عليه ويحبه حبا كبيراً ويخصه برعايته، فلما بلغ محمد ﷺ ثمانى سنين مات جده عبدالمطلب، فكفله عمه أبو طالب وأحسن رعايته، وكان لا يفارقه قط، حتى أنه عندما خرج إلى التجارة بالشام اصطحبه معه، وأثناء الطريق كانت هناك غمامة تظل رسول الله ﷺ دون سائر الناس المصاحبين لعمه فى الرحلة، وقد لفت ذلك نظر أحد الرهبان وهو «بحيرا الراهب»عندما مربه القوم حتى أنه نزل من صومعته على غير العادة، فقد كان لا يهتم بأحد يمر به من قبل، وقال بحيرا للقوم إنه صنع لهم طعاما وإنه يدعوهم جميعا لهذا الطعام واشترط أن يحضر جميع القوم كبيرهم وصغيرهم، حرهم وعبدهم،وتعجب القوم من صنيع بحيرا وقال له أحدهم «والله يابحيرا إن لك لشأنا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا من قبل وقد كنا نمر بك كثيرا ، فما شأنك اليوم؟» فقال بحيرا صدقت، كان ماتقول، ولكنكم ضيفى، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم».

اجتمع القوم إلى طعام بحيرا، وتخلف محمد ﷺ من بينهم، لصغر سنة «١٢ سنة» وظل منتظرا تحت شجرة، وكان بحيرا رجلا عالما بالكتب الدينية ويعرف أن هذا هو زمان ظهور النبى الذى بشر به

عيسى وموسى عليهما السلام، وبـشرت به الكتب السماوية، وكان قد لفت نظـره تلك الغمامـة التى تظل أحد الـقوم، وأخذ بحيرا يـنظر إلى القوم المجـتمعين لـديه ويبحث عن الـصفات التى يـعرفها من الـكتب الدينية عسى أن يجدها فى أحدهم ولكنه لم يجدها فى أى منهم، وهنا قال لهم ألم يـتخلف أحد منكم، فـقالوا له لم يتخلـف إلا غلام صغير تركناه فـى ظل شجرة، فقال بـحيرا ادعوه فليـحضر معنا هـذا الطعام، فقاموا وجـاءوا بمحمد ﷺ، فلما جاء مـحمد ﷺ أخذ بحيرا نـظر إليه بإمعان «بشدة» وينظر إلى أشياء من جـسده، فلما فرغ القوم من الطعام أخذ بحيـرا يسأل الغلام عن أشياء مـن أحواله فى نومه وهيـئته وأموره فجعـل الغلام يخبـره عن ذلك، واكتشف بـحيرا أن كل تلـك الأشياء توافق صفات الـذى بشرت به الكتب الديـنية التى قرأها، ثم نـظر إليه فوجد خاتم النـبوة بين كتفيه فـى نفس الموضع الذى يعرفـه من الكتب الدينـية، فأقبـل على عمه أبـى طالب فقال لـه ما هذا الغـلام منك «أى ليس ابنك» قـال أبو طالب ابنى،قال له بـحيرا ماهو بابنك ، ومـاينبغى لهذا الغلام أن يكـون أبوه حيا قال أبو طالب فإنه ابـن أخى، قال بحيرا فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب مات وأمه حبلى به، قال صدقت، فارجع بابن أخيـك إلى بلده، واحذرعليـه من اليهود، فوالله لـئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليريدون به شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

ما أن سمع أبو طالب هذا الحديث مـن بحيرا الراهب، وكان يعرف سعة علمه بالأديان واطلاعه على الكتب القديمة، حتى عاد بمحمد ﷺ إلى مكة ولم يكمـل رحلة التجارة وذلك خوفا على محـمد وحماية له وعملا بنصيحة بحيرا.

* * *

استقر محمد ﷺ فى مكة وكان يعمل فى رعى الغنم، وكان عمله فى رعى الغنم يعطيه الفرصة للتأمل والتفكير، وكان جميع الأنبياءقبله قد عملوا رعاة غنم، وهذا العمل رغم تواضعه إلا أنه يكشف عن أن محمداً ﷺ كان يعيش من عمله وليس عالة على الناس، فمجرد أن استطاع كسب رزقه حتى انخرط فى مجال العمل مهما كان متواضعا، وهذا دليل على قيمة العمل ومدى أهميته لدى كل مسلم فمن المفروض أن يعمل كل إنسان بيديه ليكسب رزقه ولا يظل عالة على الناس أو على أهله.

وكبر محمد ﷺ ، وترعرع فى أجواء مكة دون أن يفعل مثلما يفعل شبابها أو ينخرط فى اللهو أو الفساد اللذين كانا منتشرين فى ذلك الوقت فى أوساط شباب مكة.

وكان رسول الله ﷺ قوى الجسم، متوسط الطول، لاهو بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه ، أسود العينين، طويل الأهداب «أى رموش العين» عريض المنكبين «عريض الكتفين» غليظ الكفين والقدمين، وكان إذا مشى كأنه ينزل من منحدر بين كتفيه خاتم النبوة.

أما صفاته النفسية والأخلاقية فإنه كان شجاعا كريما جريئا صادقا وفيا أمينا، حسن العشرة، من رآه هابه «احترمه» ومن خالطة أحبه.

زواجه بالسيدة خديجة:

كانت السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها امرأة شريفة وذكية وغنية، وكانت تستثمر مالها فى التجارة، إذ كانت تستخدم بعض الناس ليتاجروا لها فى مالها مقابل أجر، وعندما بلغها عن محمد ﷺ صدقه وأمانته وعظيم أخلاقه بعثت إليه تعرض عليه أن يتاجر فى مالها مقابل أجر أكبر مما كانت تعطيه لباقى التجار، واقترحت عليه أن يخرج

للتجارة فى الشام مع غلام لها يدعى ميسرة، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك، وخرج إلى الشام مصطحبا معه غلام السيدة خديجة «ميسرة» ، وفى أثناء رحلة الذهاب نزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان يدعى «نسطورا» فخرج الراهب من صومعته وقال لميسرة من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة، قال ميسرة، هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب،: مانزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى. وأكمل رسول الله ﷺ رحلته، ووصل إلى الشام فباع واشترى ثم أقبل عائدا إلى مكة، ولاحظ ميسرة أنه إذا اشتد الحر يأتى ملكان يظلان محمداً ﷺ من الشمس.

وعندما وصل محمد إلى مكة دفع خديجة مالها وأرباحها وكانت كثيرة جدا، مما جعل إعجاب خديجة به يزداد ويصبح إعجابا عظيما، كما أن ميسرة قد حكى لسيدته مارآه من أحوال محمد ﷺ مما جعلها تقرر الزواج من محمد ﷺ، وكانت السيدة خديجة تبلغ فى ذلك الوقت الأربعين من عمرها، أما محمد ﷺ فكان يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما.

وأرسلت خديجة إلى محمد ﷺ تعرض عليه الزواج عن طريق صديقة لها تدعى «نفيسة بنت منية» وقالت له عن طريق صديقتها يا ابن عم ، وإنى قد رغبت فيك لقرابتك ووسطك فى قومك «أى شرفك ورفعة نسبك»، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك.

فلما قالت ذلك لمحمد ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة وذهب إلى عمها ابن أسد وتزوجها رسول الله ﷺ فكانت له نعم الزوجة فى السراء والضراء فى اليسر والعسر وقد أنجبت له ثلاثة بنين هم القاسم والطاهر والطيب، وقد ماتوا جميعا قبل البعثة، كما

أنجبت له أربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

حديث ورقة بن نوفل:

وكان للسيدة خديجة رضى الله عنها ابن عم يسمى ورقة بن نوفل، وكان على علم غزير بالكتب الدينية، وكان يسمع أخبار محمد ﷺ من الناس أو من بنت عمه خديجة أو من غلامها ميسرة، وكانت الصفات والأمور التى يسمعها عن محمد ﷺ تنطبق على صفات وأحوال النبى المذكور فى التوارة والإنجيل والذى بشر به موسى وعيسى عليهما السلام، وكان ورقة بن نوفل يعرف أن هذا الزمان هو زمان ظهور ذلك النبى، وأن ذلك النبى سيظهر فى بلاد الجزيرة العربية فتأكد له أن ذلك النبى هو محمد ﷺ، فقال لبنت عمه السيدة خديجة إن زوجها هو نبى هذه الأمة وإن هذا هو زمانه وأنشد شعرا عبر فيه عن هذا الأمر،وما زال هذا الشعر محفوظا فى كتب السيرة مثل كتاب السيرة لابن هشام.

بنيان الكعبة:

الكعبة هى أول بيت بنى فى الأرض على اسم الله تعالى وتوحيده، وقد أقام إبراهيم عليه السلام قواعدها ومعه ابنه إسماعيل عليه السلام وقد أقام إبراهيم، وإسماعيل قواعدها بأمر مباشر من الله تعالى وقد ظلت الكعبة مكانا للتوحيد فترة من الزمن بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلا أن من جاء بعدهما أدخل إليها الشرك والوثنية وعبادة الأصنام إلى أن جاء محمد ﷺ وطهرها من الأوثان فى عام الفتح، ومنذ ذلك اليوم والكعبة طاهرة خالصة للتوحيد وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

وقد تعرضت الكعبة للكثير من الحوادث قبل بعثة رسول الله ﷺ مثل محاولة هدمها عن طريق حاكم الحبشة أبرهة الأشرم فى عام الفيل إلا أن الله حماها وأهلك جيش أبرهة.

وقبل البعثة بسنوات تعرضت الكعبة لسيل جارف «شديد» أصاب مكة مما أدى إلى تصدع «تهدم» جدران الكعبة، وفكرت قريش فى إعادة بناء الكعبة وعزمت أمرها على ذلك، وجعلت لكل قبيلة من قبائل قريش جزءا من العمل حتى ينالوا جميعا شرف ذلك الأمر، إلا أنهم اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، وأصرت كل قبيلة على أن تكون صاحبة هذا الشرف، وكادت تقع المعارك بينهم لهذا السبب، إلا أن أحدهم أشار عليهم أن يحكموا أول رجل يدخل الكعبة وأن يرضوا بحكمه، فوافقوا على ذلك، وكان محمد ﷺ هو أول رجل دخل عليهم، فلما رأوه قالوا هذا الأمين، رضينا به حكما، هذا محمد، فلما أخبروه الخبر قال ﷺ هلموا إلى ثوبا - أى هاتوا إلى ثوبا - فأتوا به أى جاءوا بالثوب، فأخذ محمد ﷺ الحجر الأسود فوضعه فى الثوب بيديه الكريمتين ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، فعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه، وبذلك انتهت المشكلة التى كادت تسبب المعارك بين قبائل قريش بفضل حكمة النبى ﷺ وحسن تدبيره.

وهذه الحادثة تدل على مدى ثقة قريش فى محمد ﷺ فقد أجمعوا على ارتضائه حكما بينهم بمجرد دخوله عليهم فى الكعبة وقبلوا حكمه جميعا، كما تدل على مدى ذكاء الرسول وحسن تفكيره، وكان الرسول ﷺ يبلغ فى ذلك الوقت خمسا وثلاثين عاما، أى قبل البعثة بخمس سنوات.

نزول الوحى

الله تعالى واحـد، والدين الحق واحد، وهذا الديـن الحق هو الإسلام ولقـد نزل الإسلام من عـند الله تعـالى إلى الـبشر عن طـريق الأنبـياء والمرسلين، فالإسـلام هوالدين الحق الذى نزل من عند الله إلـى البشرية منذ أن أوجد الله تـعالى الإنسان وأنزلـه إلى الأرض وحتى يوم القـيامة إن شاء الله تعالى.

إذن فالإسلام هـو الدين الذى نزل به آدم عـليه السلام، وكـذلك هو الدين الذى دعا إليـه نوح ولوط وإبراهيم وإسماعيل ومـوسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وكذلك غيرهم من الأنبياء.

إذن فقد كان الناس منذ البداية يعـبدون الله الواحد، بطريقة صحيحة أى يدينون بالإسلام،ولكـن مع الوقت يبدأ الجهل ينتشر والـظلم يظهر ويصاحب ذلك ظهور أديان فاسدة أو تحريـف للدين الحق فيعبد الناس آلهة أخرى وتنتشر بينهم الخرافات ويسود بينهم الجهل والظلم، فيرسل الله تعالى لـهم الأنبياء والمرسليـن ويزود هؤلاء بالمعجزات الـدالة على صدقهم، فـيعيدون الناس مـن جديد إلى الإسلام أى إلى الـدين الحق، ولا شك أن هؤلاء المستفـيدين من استمرار الجهل والظـلم والباطل أو هؤلاء الأغبياء أو المسـتكبرين يشعرون الغيظ من الأنـبياء ويبدأون فى الحرب عليهم وعلى الدين الحق، ثم مرة أخرى ومع مرور الوقت يعود الجهل والظلم والشرك فيرسل الله نبياً آخر ليدعو إلى الحق وهكذا.

والرسول محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء وآخر المرسلين لأن الله أعطاه القرآن الكريم ووعد بحفظه من التحريف والتأويل ليظل منهاجا هاديا للبشرية إلى يوم القيامة، والرسول محمد ﷺ جاء لهداية كل البشر وليس لقومه فقط وهكذا فمع رسالة محمد ﷺ اكتمل الدين وانتهت الرسالات وتمت النعمة، وأصبح على علماء المسلمين أن يكرروا الدعوة إلى الإسلام فى كل زمان ومكان.

حالة الجزيرة عند نزول الوحى وأحوال الدنيا من حولها:

العرب هم أبناء نبى الله إسماعيل بن نبى الله إبراهيم عليهما السلام وقد سكن هؤلاء - أى أبناء إسماعيل، جزيرة العرب، وكانوا يدينون بالإسلام كما علمهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولكن مع مرور الوقت بدأت الخرافات والجهل والظلم والشرك ينتشر بينهم، فاستبدلوا الدين الحق بعبادة الأصنام التى لاتضر ولا تنفع ولكن بقى قليل جدا منهم متمسكا بالدين الحق، أى الإسلام أى ملة إبراهيم عليه السلام، ومن هؤلاء قس بن ساعدة الأيادى ورئاب الشنى وبحيرا الراهب وغيرهم.

وعلى أى حال كانت الغالبية العظمى من أهل الجزيرة العربية قد وقعوا فى الشرك والضلال، وكانوا يعبدون الأصنام مثل اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها، وهى حجارة لا تضر ولا تنفع وما أنزل الله بها من سلطان،وبالطبع كانت هناك خرافات وأساطير تدور حول هذه الأصنام مثل كونها تدفع المكروه أو تنزله ببعض الناس أو أن لها كرامة عند الله تعالى وغيرها من الخرافات التى كان يروجها الكهان والجهلاء على حد سواء.

وكان العرب يتقربون إلى هذه الأصنام، ويقدمون لها القرابين، ويذبحون لها الذبائح بدعوى أنها تقربهم وتتوسط إليهم عند الله تعالى وهذا بالطبع من أثر الخرافات على هؤلاء العرب.

ولم يكن حال الأمم الأخرى فى ذلك الوقت أفضل من حال العرب ذلك أن الشرك والوثنية وعبادة الأصنام وانتشار الخرافات وظهور الفساد كان شديدا بين الأمم الأخرى مثل الفرس والروم والهنود وغيرهم، فكان بعضهم يعبد الأصنام والبعض الآخر يعتنق المسيحية بعد أن قاموا بتحريفها وتغيير حقيقتها وتبديل آيات من الإنجيل بأخرى من عندهم.

وكان من الطبيعى أن يرسل الله تعالى رسولا ليقوم بواجب الدعوة إلى الدين الحق، وإعادة الناس إلى الصواب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكان هذا الرسول هو محمد ﷺ وكانت دعوته هى دعوة كل الأنبياء والمرسلين من قبله وهى الإسلام وكانت تلك الدعوة موجهة إلى جميع البشر وليس العرب وحدهم.

* * *

كان محمد ﷺ معروفا بالصدق والأمانة والشجاعة، لدرجة أن أهل قريش أطلقوا عليه اسم الصادق الأمين، وكان معروفا بسداد الرأى فهو الذى حل مشكلة حمل الحجر الأسود وقضى على فتنة كادت تسبب الحروب بين قبائل قريش.

وكان محمد ﷺ قد عمل فى صباه فى رعى الأغنام ثم عمل بالتجارة بمال السيدة خديجة وتزوجها، وقد اشتهر عنه فى ذلك الوقت

أنه كان يحتقر الأصـنام لأنها مجردحجارة، ولم يقدم لهـا كباقى القوم قربانـا أو ذبيحة، بل إنه كـان يعبد الله تعالـى الواحد على دين إبـراهيم عليه السـلام، وهو الإسـلام، وكانت مـلة إبراهـيم مـعروفة فـى ذلك الوقت ومازال يعتنقها نفر قليل من العرب.

وبالإضافة إلى ذلك فإن محمدا لم يكـن يميل إلى اللهو ولم يعرف عنه قط أنه ذهب إلى أماكن اللهو التـى كانت منتشرة فى مكة فى ذلك الوقت والتى كان يذهب إليها معظم شباب قريش.

إذن فقد كـان محمد ﷺ ـ قـبل البعـثة ـ يعبـد الله على دين إبـراهيم ويرفض عبادة الأصنام، وكان يتمتع بالخلق القويم والاستقامة كما كان معروفاً بالصدق والأمانة والكرم والشجاعة.

وكان من عادته عندما اقترب عـمره من الأربعين،أن يذهـب إلى غار يسمى غار حراء ويقـع فى الشمال الغربى من مكة، ليـخلوإلى نفسه ، ويعبد الله على دين إبراهيم، وكانت فترة الاختلاء هذه تصل إلى الشهر أحيـانا وعرف عنـه فى ذلك الوقـت حب العزلـة والتأمل، وقـد بدأت علامات النبـوة تظهر عليه، ذلك أنـه كان يرى الرؤيا فى المنام فـتتحقق كما هى فى الواقع تماما.

نزول الوحى:

فى إحدى المرات التى كـان فيها محمد ﷺ ، يتأمل ويتعـبد على ملة إبراهيم فى غار حـراء، جاءه جبريل عليه السلام، وهـو رئيس الملائكة بأمر من الله تعالى، فقال له اقرأ، فقال مـا أنا بقارئ فضمه جبريل ضمة شديدة ثم تركه وقال: ﴿اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ ⟨١⟩ خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ ⟨٢⟩ اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ⟨٣⟩ الَّذى عَلَّمَ بالْقَلَمِ ⟨٤⟩ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فقرأها الرسول فلما انتهى من قراءتها ذهب عنه جبريل وأحس رسول الله ﷺ أنها نقشت فى قلبه نقشا.

وكانت هذه بداية الوحى، وتلك كانت أول آية تنزل من القرآن الكريم، وقد حدث هذا فى رمضان، وكان الرسول ﷺ يبلغ من العمر وقتئذ أربعين عاماً.

خرج رسول الله ﷺ من غار حراء ومشى فوق الجبل يريد العودة إلى أهله، وبينما هو فى وسط الجبل سمع صوتا من السماء يقول: يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليه، وجعل يقلب وجهه فى آفاق السماء فلا ينظر فى ناحية من السماء إلا وجد جبريل، فما زال رسول الله ﷺ واقفا حتى بعثت السيدة خديجة ببعض الناس إليه تطلب منه الرجوع.

عاد رسول الله ﷺ إلى زوجته السيدة خديجة، فحكى لها ما حدث وكان مضطربا خائفا، فهدأته السيدة خديجة حتى اطمأن وقالت له: «أبشر ابن عم، واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة».

وقالت خديجة أيضا: «والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على النوائب «أى أن السيدة خديجة آمنت به بمجرد أن أخبرها الخبر»، وقالت له: إنه نبى هذه الأمة، وإن أخلاقه تؤهله لهذا الأمر.

انطلقت السيدة خديجة إلى قريب لها يدعى ورقة بن نوفل، وكان معروفا بالاطلاع على الكتب الدينية القديمة، فأخبرته بما حدث فقال لها ورقة بن نوفل: «قدوس، قدوس، والذى نفس ورقة بيده، لئن

كنت صدقتني ياخديجة لقد جاء الناموس الأكبر، الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة، فقولى له فليثبت».

أى أن ورقة بن نوفل قد عرف من خلال اطلاعه ومن خلال ما حكته له السيدة خديجة أن هذا هو الوحى قد جاء إلى محمدﷺ كما جاء إلى الأنبياء من قبله، وأن محمداًﷺ هو نبى هذه الأمة.

رجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال لها ورقة بن نوفل، وحدث أن الرسول ﷺ التقى بعد ذلك بورقة عند الكعبة فقال له ورقة بن نوفل: «يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، أخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة بن نوفل «أقسم لك أنك نبى هذه الأمة، وأن الوحى قد جاءك؛ كما جاء موسى من قبل وأنك سوف تتعرض للتكذيب والأذى وسوف يخرجك القوم من بلدك ويقاتلونك، وأنه ـ أى ورقة ابن نوفل ـ لوعاش إلى ذلك اليوم لسوف يكون من أنصار محمد ثم قبل رأسه، وانصرف محمد ﷺ إلى منزله

وكان نص كلام ورقة بن نوفل ـ كما جاء فى سيرة ابن هشام كالتالى:

«الذى نفسى بيده أنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه!» ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

* * *

انقطع الوحى بعد ذلك عن رسول الله ﷺ بعض الوقت وشعر رسول الله ﷺ بالحزن لانقطاع الوحى، إلا أن الله تعالى لم يخذله، وعاد الوحى وبدأت رحلة الدعوة إلى الإسلام.

الدعوة إلى الإسلام

بدأ رسول الله ﷺ يـدعو إلى الإسلام بـصورة سرية فـى بادئ الأمر، وكانت الدعوة سرا فى ذلك الوقت لـضرورة اقتضتها ظروف الدعوة، ذلك أن دعـوة الإسلام هـى دعوة الـتوحـيد وتـرك الشـرك والأصنـام والخرافـات، وكذلك هـى دعوة الحق ضـد الباطـل ودعوة العـدل ضد الظلم، ومـن الطبيعى أن هـناك أنصارا أقوياء لـلشرك والوثنيـة وهناك أصحاب مصلحة فى استمرار الأحوال عـلى ماهى عليه، وهناك الجهل والتعصب اللذان يـجعلان بعض الناس تتمسك بالـباطل على حساب الحق، وكان من الـطبيعى أن أنصار البـاطل من وجهاء مكة وزعـمائها ومن المتعصبـين والجهلاء سوف يحاولون القضاء عـلى الدعوة قبل أن تقوى، هكذا كان لابـد أن تكون الدعوة سرية لفترة من الـوقـت حتـى لا يقضى أنصـار الباطل عليها فـى مهدها وقبل أن تصبـح قوية وقادرة على المواجهة.

وقد يقـول قائل إن الله تعالـى قادر على حمايـة دعوته مهمـا كانت ضعـيفة، فلـماذا أمر الله نـبيه بـأن تكون الدعـوة سرية فـى أول الأمر، ويرجع ذلـك إلى أن الله تعالى ـ وهـو القادر علـى نصرة الدعوة مـهما كانت الـظروف، يريد للأنبـياء والدعاة والصـالحين أن يعلمـوا الناس الأخذ بالأسباب من ناحية، ويريد أن يضع الناس فى اختبار حر فيترك

الحق والباطل يتصارعان حتى يقيم الحجة على الناس، فمن يؤمن يؤمن باختياره ومن يكفر يكفر باختياره فيستحق الأول الجنة ويستحق الثانى النار، ولكن لا يمنع أيضا بعد أن يحتدم الصراع ويختار كل فريق من الناس موقفه من الحق والباطل وأن تتدخل قدرة الله مباشرة لتنصر أهل الحق على أهل الباطل.

على كل حال، يجب أن يتعلم أصحاب الدعوات أن الرسول ﷺ وبأمر من ربه اختار أن يأخذ بالأسباب وأن تكون الدعوة سرية فى بادئ الأمر للمحافظة على كيان الجماعة الإسلامية الأولى الذى كان كياناً ضعيفا فى البداية لا يقوى على المواجهة.

استمرت الدعوة إلى الإسلام سرا ثلاث سنوات، أسلم خلالها عدد من الناس، وكان أول من أسلم هى السيدة خديجة رضى الله عنها زوجة الرسول ﷺ، ثم أسلم على بن أبى طالب وكان صبيا فى ذلك الوقت يبلغ من العمر عشر سنوات، وكان على رضى الله عنه يعيش مع الرسول ﷺ، وذلك لأنه فى أحد الأعوام حدثت أزمة كبيرة فى قريش، وكان أبو طالب عم الرسول ﷺ ووالد على لديه أولاد كثيرون، ولم يكن أبو طالب غنياً، وأراد الرسول ﷺ أن يخفف الأعباء عن عمه أبى طالب، فقال لعمه العباس - وكان العباس غنيا -: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فأخذ رسول الله ﷺ عليا رضى الله عنه فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل على رضى الله

عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا فاتبعه على رضى الله عنه وآمن به وصدقه.

ومن أوئل الـذين آمنوا بالرسـول ﷺ زيد بن حارثة وكان زيـد عبدا لدى السيدة خديجة فوهبته أى أهدته إلى رسول الله ﷺ فأعتقه الرسول ﷺ وجعـله حراً وذلـك قبل الـبعثة، إلا أن زيـدا فضل أن يـستمـر فى خدمة رسـول الله ﷺ ، وعندما نزل الـوحى آمن زيد بـالإسلام وصدق رسول الله ﷺ.

ثم أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وكان أقرب الأصدقاء إلى رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رجلا معروفا بحسن العشرة يحبه الناس، وكان ذا ثقافة واسعة بأحوال قريش وعاداتـها وأنسابها، كما كان تاجراً حسن الخلق والسمعة.

وقام أبو بكـر بدعوة بعض أصدقائـه إلى الإسلام فأسلم عـلى يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم جميعا.

وهكـذا نجد أن الرسـول الله ﷺ قام بتـبليـغ الدعوة فـى البدايـة إلى أقرب الناس اليه، مـثل أهل بيته خديجة زوجتـه وعلي وزيد رضى الله عنهـم، وكذلك أقرب الأصدقـاء إليه أبوبـكر الصديق رضـى الله عنه. [وقام جبـريل عليـه السلام بتـعليم الـرسول ﷺ الصلاة وقـام الرسول بدور بتعلـيم الصلاة لزوجته ولباقـى المسلمين القلائل الـذين أسلموا، وهذا يدل على أن الصلاة فرضت على المسلمين مبكرا جداً، وهذا يدل على مدى أهـميتها فى الإسلام ولذلـك ينبغى الحرص علـى أدائها فى

أوقاتـها، ولكن الـصلاة بطـريقتهـا التى تـعرفهـا الأمة وأوقاتهـا وعدد ركعاتـها قد فرضت فى لـيلة الإسراء والمعـراج وكان رسول الله ﷺ إذا جاء وقت الصـلاة خرج إلى شعاب مكـة أى إلى مكان بعيـد فى مكة حتى لا يراه أحد للمحافظة على سرية الدعوة، وخرج معه على بن أبى طالب رضى الله عنه فيصليان الـصلوات، واستمرا على هذا الحال دون أن يلاحظهما أحد، وفى إحدى المرات رآهمـا أبو طالب وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال : أى عم هذا ديـن الله ودين ملائكتـه ودين رسله وديـن نبينا إبـراهيم، وبعـثنـى الله به رسـولا إلى الـعبـاد، وأنت يـا عم أحـق من بـذلت لـه النصيحة ودعوتـه إلى الهدى وأحق من أجابنى إليه فأعـنىّ عليه، فقال أبو طالب «أى ابن أخـى إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبـائى وما كانوا عليـه، ولكن والله لا يخلـص إليك بشئ تـكرهه ما بقـيت »: أى أن أبا طالـب رفض أن يسـلم ولكـنه وعـد الرسول ﷺ أن يـحميـه من أذى قريش.

الدعوة إلى الإسلام سرا

استمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سرا ودخل فى الإسلام عدد آخر من الناس حتى زاد العدد على الثلاثين ما بين رجل وامرأة وطفل وحر وعبد،فاختار رسول الله ﷺ دار أحد المسلمين وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم ليجعل منها مكاناً لاجتماعه بالمسلمين حيث يقوم بتعليمهم أمور الإسلام وعقائده ويتلو عليهم ما نزل عليه من القرآن الكريم، وكان الرسول يحرص على ذلك الاجتماع السرى فى بيت الأرقم بن أبى الأرقم رضى الله عنه حرصا شديداً، حتى يبنى لهؤلاء المسلمين العقيدة السليمة والخلق القويم والالتزام الدقيق ليكونوا النواة «القاعدة» الصلبة للإسلام، حتى يستطيعوا الصمود أمام ما ينتظرهم من أذى الكفار.

ومع مرور الوقت كان عدد المسلمين يزيد، وكانت عقيدتهم تقوى يوما بعد يوم، وأصبح المسلمون منتشرين بين كل فئات المجتمع فى مكة فمنهم الحر ومنهم العبد، منهم الرجل ومنهم المرأة، ومنهم الطفل ومنهم السيد ومنهم الحليف «أى يحالف قبيلة أو شخصاً بهدف أن يحصل على الحماية لأنه ضعيف أو غريب أو ليس له قبيلة قوية تحميه»، وكان منهم من ينتمى إلى مختلف قبائل مكة مثل بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وبنى تيم وبنى عدى وبنى جمح وبنى عامر وغيرها من القبائل ، لأن دعوة الإسلام ليست قاصرة على الرجال دون النساء أو على الأمراء دون العبيد أو على قبيلة دون أخرى، مما

يدل على أن الذين أسلموا فى البداية قد أسلموا عن اقتناع عقلى ووجدانى بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية أو انتماءاتهم القبلية وسوف نورد أسماءهم نظرا لما قدموه من الخدمات للإسلام ونظر لدورهم الكبير فى نشر الدين الحق وحمايته والذود عنه ونظرا لفضلهم الذى لا يختلف عليه اثنان.

أولا: من أسلم من بنى هاشم:

١ ـ على بن أبى طالب .
٢ ـ جعفر بن أبى طالب.
٣ ـ أم الفضل بنت الحارث «امرأة».
٤ ـ عبيدة بن الحارث.
٥ - أسماء بنت عميس «امرأة».
٦ ـ خديجة بنت خويلد «امرأة».

ثانيا: من أسلم من بنى أمية:

١ ـ عثمان بن عفان
٢ ـ خالد بن سعيد.
٣ ـ أمينة بنت خالد «امرأة».
٤ ـ حاطب بن عمرو.
٥ ـ عبدالله بن جحش.
٦ ـ أبو أحمد بن جحش.
٧ ـ امرأته فاطمة «امراة».

ثالثا: من أسلم من بنى مخزوم:

١ ـ أبو مسلم بن عبدالله
٢ ـ عياش بن أبى ربيعة.
٣ ـ عمار بن ياسر «حليف»
٤ ـ أسماء زوجة عياش «امرأة»
٥ ـ ياسر بن عامر «حليف».
٦ ـ سمية بنت خياط «امرأة» حليف.
٧ ـ الأرقم بن أبى الأرقم.

رابعا: من أسلم من بنى تيم

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ طلحة بن عبيد الله.
٣ ـ عامر بن فهيرة«مولى».
٤ ـ بلال بن رباح «مولى».

خامساً: من أسلم من بني عدي

١ - سعيد بن زيد .
٢ - فاطمة بنت الخطاب «امرأة».
٣ - عامر بن أبي ربيعة «مولى»
٤ - نعيم بن عبدالله .
٥ - واقد بن عبدالله «حليف».
٦ - خالد بن البكير «حليف».
٧ - عامر بن البكير «حليف».
٨ - إياس بن البكير «حليف».

سادساً: من أسلم من بني زهرة:

١ - سعد بن أبي وقاص.
٢ - عبدالرحمن بن عوف.
٣ - عمير بن أبي وقاص.
٤ - عبدالله بن مسعود «حليف».
٥ - المطلب بن أزهر.
٦ - خباب بن الأرت «حليف».

سابعاً: من أسلم من بني سهم:

١ - خنيس بن حذافة .
٢ - حفصة بنت عمر «امرأة».

ثامناً: من أسلم من بني جمح:

١ - حاطب بن الحارث.
٢ - إمرأته فاطمة «امرأة».
٣ - خطاب بن ا لحارث.
٤ - امرأته فكيهة «امرأة».
٥ - السائب بن عثمان.

تاسعاً: من أسلم من بني أسد:

١ - الزبير بن العوام.

عاشراً: من أسلم من بني عامر:

١ - أبو عبيدة بن الجراح.
٢ - سليط بن عمرو.

حادي عشر: قبائل متفرقة:

١ - صهيب بن سنان « رومي».
٢ - مسعود بن ربيعة.
٣ - معمر بن حبيب.
٤ - زيد بن حارثة.
٥ - عمرو بن عبسة.
٦ - عثمان بن مظعون.
٧ - قدام بن مظعون.
٨ - عبدالله بن مظعون.
٩ - رملة زوجته «امرأة».

وإذا ألقينا نظرة على هؤلاء الذين أسلموا فى البداية ، أى فى مرحلة الدعوة السرية، نجـد أنهم موزعون على كل قبائل قريـش تقريبا، ونجد أن أكبرعدد مـنهم كان فى قبيلـة بنى عدى «ثمانية» أشـخاص» ثم فى قبيلتى بنى أمية وبنى مخزوم «لكـل منهما ٧ أشخاص » ثم فى قبيلتى بنى هـاشم وبنى زهـرة «ولكل منـهما سـتـة أشخاص» ثم قـبيلة بـنى جمح «خمسة أشخاص» ثم فى قبيـلة بنى تيم «أربعة أشخاص» ثم فى قبيلتـى بنى سهم «شخصان» وبنـى عامر «شخصان» ثم قبـيلة بن أسد «شخص واحـد» كما نلاحـظ أن بنى هاشـم وهم قبيـلة رسول الله ﷺ جاءت فى المركز الـرابع بين القبائل ويـشترك معها فى نفـس المركز بنو زهرة وهذا كله يدل على أن الإسلام كان دعوة لـلجميع وأنه انتشر فى كل القبائل بل إن قبيلة بنى هاشم وهى قبيلة رسول الله لم تكن صاحبة النصيب الأكبر فى الإيمان فى بداية الدعوة.

ومن ناحية أخـرى نجد أن عدد الأحرار الذين آمنوا فـى ذلك الوقت كـان ٤٥ حرا بـين رجـل وامرأة بـينـما كـان العـدد العـبيـد والموالـى والمحالفين ١٢ شخصا، وهذا يدل عـلى أن الإسلام انتشر بين الأحرار والعبيد على حد سواء.

ومن نـاحية ثـالثة فـإن عدد الرجال كـان ٤٥ رجلا بيـنما كـان عدد النـساء ١٢ امـرأة أى أن عدد الـرجال كـان ٧٩ ٪ وعدد الـنسـاء كان حوالى ٢١ ٪ فى ذلك الوقت.

إذن فدعوة الإسلام لم تقـتصر على قبيلة دون قبيـلة أو على الرجال دون النســاء أو على الأحرار دون العـبيد بل إنها كـانت دعوةللجـميع وآمن بها مـن جميع الفئات والطـبقات والقبائل علـى حد سواء، بل أكثر من هـذا آمن بها بعضـا من غير العرب الـذين كانوا يعيـشون فى

مكة مثل صهيب الرومى وبلال الحبشى رضى الله عنهما وسلمان الفارسى فيما بعد.

* * *

إذن فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب فى عدم جهره بالدعوة منذ البداية وجعلها سرية فى الثلاثة أعوام الأولى من الدعوة، ومما يدل على حرص الرسول ﷺ على الأخذ بأسباب الحذر والحيطة اختياره لبيت الأرقم بن أبى الأرقم ليكون مكانا سريا لاجتماعه بالمسلمين، وقد ظل أهل مكة لا يعرفون شيئا عن هذا البيت الذى يجتمع فيه المسلمون مدة طويلة، ذلك أن الأرقم بن أبى الأرقم كان من بنى مخزوم ولم يكن أهل مكة يتوقعون أن يكون أحد بيوت بنى مخزوم مقرا للدعوة ومكانا لاجتماع الرسول ﷺ بالمسلمين، بل كان من الممكن مثلا أن يتوقعوا أن يكون ذلك فى بيت من بيوت بنى هاشم أقارب الرسول مثلاً، ومن ناحية ثانية فإن الأرقم بن أبى الأرقم نفسه كان يكتم إسلامه وذلك حرصاً على سرية المكان الذى يجتمع فيه المسلمون ، ومن ناحية ثالثة فإن الأرقم بن أبى الأرقم فى ذلك الوقت كان فتى فى حدود السادسة عشرة من العمر ولم تكن قريش تتوقع أن يكون بيت هذا الفتى الصغير السن هو مكان التجمع السرى للمسلمين وكان من الممكن أن تفكر فى أن يكون هذا المكان هو بيت الرسول ﷺ أو بيت أبى بكر أو عثمان أو غيرهما من الرجال كبار السن الذين أسلموا فى ذلك الوقت.

الجهر بالدعوة

استمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام سرا لمدة ثلاث سنوات، وفى تلك الفترة دخل عدد يقارب الستين فردافى الإسلام ما بين رجل وامرأة وحر وعبد ومن مختلف قبائل قريش، وأخذ العدد يزداد يوما بعد يوم، وكان من الطبيعى أن تسمع قريش أنباء هذا الدين الجديد بعد أن دخل العديد من أبنائها فيه، وهنا نزل أمر الله تعالى إلى رسوله أن يبدأ بالجهر بالدعوة وذلك فى قول الله تعالى «فاصدع بما تؤمروأعرض عن المشركين»..، ونفذ رسول الله ﷺ أمر ربه فجهر بالدعوة وأعلنها وأعلن مبادئها وأهدافها، ولكنه احتفظ بسرية مكان اجتماع المسلمين وهو بيت الأرقم بن أبى الأرقم، كما كتم بعض المسلمين إسلامهم.

أى أن هذه المرحلة تميزت بإعلان مبادئ الدعوة والمحافظة على سرية أعضائها ومكان اجتماعهم.

وتحكى كتب السيرة أن الرسول ﷺ عندما أمره ربه بالجهر بالدعوة دعا أقاربه وعشيرته ودعاهم إلى الإسلام والإيمان بالله الواحد وترك عبادة الأصنام والإيمان به رسولا من عند الله تعالى وكان مما قاله لهم «الحمد لله، أحمده وأستعينه، أومن به وأتوكل عليه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ثم قال: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذى لا إله إلا هو، إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله

لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وأنها الجنة أبدا أو النار أبدا».

قصد رسول الله ﷺ حين بدأ بالجهر بالدعوة أن يدعو عشيرته أولا ويعلن أمامهم مبادئ الإسلام، ليحقق عدة أهداف فهو أولا يدرك أنهم لو رفضوا الإسلام فإنهم لن ينزلوا به أذى كبيرا نظر لقرابته لهم ، وهو ثانيا يريد أن يعرف رد فعلهم قبل أن يبدأ فى إعلان الإسلام أمام جميع أهل قريش، وهو ثالثا يجعلهم على علم بما سوف يفعل من إعلان الدعوة حتى لا يتخلوا عنه أمام أذى قريش بحجة أنه لم يخبرهم بالأمر من قبل..

على كل حال كان رد فعل أقارب الرسول وعشيرته يتمثل فى اتجاهين، الاتجاه الأول وهو الأكثر والأهم فكان على لسان أبى طالب عم رسول الله ﷺ حيث أعلن أنه يثق فى ابن أخيه ويصدقه ولكنه لا يريد ترك دين آبائه وأنه على أى حال سيحميه ويدافع عنه طوال حياته.

وقد قال أبو طالب مايلى «ماأحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم، غير أنى أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فو الله لا زال أحوطك وأمنعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبدالمطلب».

أما الاتجاه الثانى: فى أقارب الرسول وعشيرته فكان يمثله أبو لهب «عم الرسول» الذى أعلن رفضه للدعوة واعتبرها عملا سيئا ـ حاشا لله

ـ وطلب من أقارب «عـشيرة» الرسول أن يعاقبوه ويمـنعوه بدلا من أن يقوم بذلك غيرهم.

فقد قال أبو لهب: «هذه والله السوأة»، خـذواعلى يديه قبل أن يأخذ غيركم.

بعـد أن دعا رسـول الله ﷺ عشيرته الأقـربيـن، وعرف رد فـعلـهم وضمن حـماية أبى طـالب له ، قام رسـول الله ﷺ، بإعلان الدعـوة فى قريش كلهـا، فوقف على جبل بمكة يـسمى جبل الصفا فـجعل ينادى «يابنى فهر، يابـنى عدى وغيرها من قبائل قريش حتـى اجتمعوا فقال: «أرأيتم لـو أخبرتكم أن خيـلاً «فرسانا» بالوادى تـريد أن تغير علـيكم أكنتم مصدقى، قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا، قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»، فقال أبو لهب تبـالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا . فنزلت فى أبى لهب سورة «تبت يدا أبى لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وماكسـب . سيصلى نـاراً لهب . وامرأته حمـالة الحطب . فى جـيدها حبل من مسد».

ونلاحـظ هنا أن رسـول الله ﷺ استطـاع أن يجـعل قريـشا تعـترف بصدقه أولا قـبل أن يخبرهم بأمـر الإسلام حتى يجعلـهم فى حرج إن هم كـذبوه بعـد الاعتراف بـصدقه، ذلـك أنه سألـهم ما مـعناه هـل لو أخبرتكـم بخبر مهما كـان عظيما، كالحـرب مثلا أتصدقوننـى؟ فقالوا جميعـا فى اعتراف صريح انه مـعروف بالصدق وإنه لم يـكذب يوما، وهنا دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه رسول الله.

ونلاحظ هنا أيضا أن أكثر الناس رفضا للدعوة وكراهية لها كان أبو

لهب برغـم أنه عم رسول الله ﷺ، وعلى حـين استجاب الكـثيرون من قريش ممـن لا يمتون بصـلة القرابة للـرسول نجد أن أبا لهـب وهو عم رسول الله ﷺ رفـض الدعوة وكـان عنـيفا مـع الرسول بـل إنه قـال له تبالك، وهذا يدل عـلى أن الإيمان بالإسلام لم يكن يرتبـط بالقرابة بل كان يرتبط بمدى حسن تفكير الناس وصـلاحية قلوبهم وعقولهم لهذا الأمر ومدى توفيق الله لهم إلى طريق الهداية.

وانـطلـق رسول الله ﷺ يـدعو إلـى الإسلام ، يـدعو إلـى عبـادة الله الواحد الأحـد، الفرد، الصـمد، ويدعو إلى تـرك عبادة الأصنـام لأنها حجارة لا تضر ولا تـنفع، وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى ذلـك بطريقة واضحة لا غموض فيهـا، فلم يجامل المشركين أو يهادنـهم بشأن فساد عقائدهم، وفساد أصنامهم وفساد سلوكهم، وهذا أمر طبيعى فكل نبى أو رسول أو داعية يجب أن يعلن الحـق كاملا ولا يخاف فى هذا الحق لومة لائم.

وكان من الطـبيعى أن يتحرك المـشركون لمواجهة هذا الـدين الجديد عليهم الذى يشكل خطرا عليهـم وعلى تعصبهم وجهلهم، وكان لابد أن تقع المواجهة بين الإسلام والكفر.

المواجهة

اتقسم الناس فى مكة إلى فريقين، فريق صغير قليل العدد ضعيف العدة آمن بالرسول واطمأن قلبه بالإسلام، وفريق كبير كثير العدد قوى العدة رفض دعوة الإسلام ورفض الإيمان بالرسول ﷺ، فأما الفريق الأول ـ أى الذين أسلموا، فقد أسلموا لأنهم فكروا بعقولهم ولم يتعصبوا للتقاليد، وكانت لهم عقول سليمة وقلوب صافية، وأما الفريق الثانى ـ الذين كذبوا ـ فقد كانوا بين جاهل لا يريد استخدام عقله،وبين متعصب للتقاليد يعرف الحق ولكنه يصر «يتمسك» على الباطل وبين صاحب مصلحة لايريد للأوضاع القائمة أن تتغير وبين حاقد على الرسول يحسده على هذا الشرف ويأخذ المسألة بطريقة شخصية قائلاً لنفسه : لماذا لم يكن هو مثلا الذى ينزل عليه الوحى ويكلف بالرسالة وينال هذا الشرف العظيم.

ولما كان عدد المسلمين قليلا وعدتهم ضعيفة فإن الله تعالى أمر نبيه بألا يقاتل المشركين وأن يصبر المسلمون على الأذى، لأن القتال فى هذه الحالة لن يكون فى صالح المسلمين، ولأن الحرب هنا سوف تؤدى إلى فناء المسلمين قبل أن يشتد عودهم ويقوى جانبهم «أى قبل أن يصبحوا أقوياء» أما المشركون فقد حركتهم العصبية والجهل والاستكبار وأحسوا بخطر الدعوة الإسلامية فقرروا تصفيتها قبل أن

يشتد خطرها وقد اتبع المشركون العديد من الأساليب للقضاء على تلك الدعوة.

اجتمع زعماء قريش وتدبروا الأمر وقرروا أنه لكى يتم القضاء على الدعوة الإسلامية فإنه لا بد من القضاء على محمد ﷺ لأنه رأس الدعوة وأساسها وأن القضاء عليه يعنى القضاء على الدعوة ولكنهم خافوا إن هم فعلوا ذلك أن تحدث حرب بينهم وبين بنى هاشم، لأن التقاليد كانت تحتم على كل قبيلة حماية أبنائها مهما كان الأمر، وهنا فكر زعماء قريش فى ضرورة منع حماية بنى هاشم وخاصة أبى طالب لمحمد ﷺ وأنهم إذا نجحوا فى جعل أبى طالب محايداً فإنهم سيقضون على رسول الله ﷺ بسهولة، فذهب فريق من أشراف قريش إلى أبى طالب وطلبوا منه أن يجعل محمداً ﷺ يكف «يتوقف» عن دعوته أو يتركه لهم ليقضوا عليه، إلا أن أبا طالب استطاع أن يهدئ من ثورتهم وأن يجعلهم ينصرفون دون الحصول على ما أردوا وقد جاءت تلك الواقعة فى كتب السيرة كالتالى :-

«فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم (أى لا يرضيهم) من شئ أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب فقالوا له: «يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا «عقولنا» وضلل آباءنا فأما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه.

وشعر زعماء قريش أن أبا طالب استطاع أن يهدئ ثورتهم ويردهم

دون الحصول على ما أرادوا فقرروا أن يكرروا المحاولة معه مرة أخرى، وأن يهددوه هذه المرة بأنهم سيحاربونه مع محمد إذا لم يحقق لهم مطالبهم وهى إما أن يكف «يتوقف» محمد عن دعوته وإما أن يسلم لهم وإلا فإنهم سيحاربون محمداً ﷺ ويحاربون أبا طالب ويحاربون كل من يحمى محمداً ﷺ، وبالفعل ذهب فريق من أشراف قريش إلى أبى طالب مرة أخرى وطلبوا إليه أن يجعل محمداً ﷺ يكف «يتوقف» عن الدعوة أو يسلمه إليهم وإلا وقعت الحرب بين قريش وبين محمد وأبى طالب وأهله وهنا أرسل أبو طالب إلى الرسول ﷺ وأخبره بما حدث وطلب منه أن يكف «يتوقف» عن الدعوة للحفاظ على حياته وحتى لا يحمل عمه حملا كبيراً لا يستطيع تحمله، وظن النبى ﷺ أن عمه سوف يخذله ويسلمه إلى قريش وأنه ضعف عن نصرته، إلا أن ذلك لم يجعله يتخلى عن الدعوة بل أصر على مواصلة الطريق وأقسم لعمه أنه ماض فى دعوته مهما كانت الظروف ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من أمام عمه ومشى عدة خطوات، وهنا عرف أبو طالب أن محمداً ﷺ لن يترك دعوته مهما كانت الظروف وأنه لا سبيل إلى إقناعه بتركها فناداه وقال له إنه لن يسلمه إلى قريش وأن يفعل ما يريد.

وقد جاء ذلك فى كتب السيرة كما يلى: -

«ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له «يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له : «يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله ﷺ : «ياعم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشئ أبدا».

ونلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لم يتردد لحظة ولم يفكر لحظة بل أصر إصرارا واضحاً على التمسك بالأمر حتى لو خذله عمه ولعل هذا الإصرار والوضوح والتمسك بالحق هو الذى جعل قلب عمه يهتزله فيعود ويناديه ويقول له افعل ما شئت وسوف أحميك ولن أسلمك لقريش.

* * *

بعد أن فشلت هاتان المحاولتان من جانب قريش لدفع أبى طالب للتخلى عن رسول الله ﷺ قررت قريش القيام بمحاولة ثالثة وأخيرة مع أبى طالب، فذهبوا إليه ومعهم شاب جميل قوى من أجمل وأقوى شباب قريش وعرضوا عليه أن يأخذه فيكون له ولدا مقابل تسليم محمد ﷺ لهم. إلا أن أبا طالب قد رفض هذا العرض واعتبره خدعة منهم فكيف يسلم لهم ولده يقتلونه ويسلمونه ولدهم ليطعمه لهم وقد جاءت هذه الحادثة فى كتب السيرة كالتالى:-

«ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ

مشوا إليه بعمارة بن المغيرة، فقالوا له هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك، فرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل، فقال والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبدا، فقال المطعم بن عدى، والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم بن عدى والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك.

الإغراءات والشائعات:

بعد أن فشلت كل المحاولات فى إقناع أبى طالب أو تهديده ليسلم الرسول ﷺ إليهم قرر زعماء المشركين فى قريش أن يتبعوا أساليب أخرى فى مواجهة الدعوة الإسلامية، فبدأوا يتشاورون فى اختيار وسيلة دعائية يواجهون بها الرسول ﷺ ويمنعون بها الناس من الدخول فى دين الله، خاصة وأن موسم مجئ العرب إلى مكة لزيارة الكعبة قد اقترب، ومادام رسول الله ﷺ قد جهر بالدعوة وأصبح يعلن مبادئ الإسلام فى كل مكان فإنه سيستغل فرصة وجود العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية فى مكة ويعرض عليهم الإسلام، وربما يدخل عدد من هؤلاء فى الإسلام، فتنتشر الدعوة خارج مكة وبالتالى يصبح أمر الدعوة أكثر صعوبة على المشركين حيث لا يستطيعون مواجهته داخل مكة وخارجها.

اجتمع نفر من قريش ليتشاوروا فى الأمر، وقد استقر رأيهم على

إطلاق الشائعات على الرسول ﷺ لتشويه سمعته وتنفير الناس من دعوة الإسلام، وقال بعضهم نقول عليه كاهن بينما اقترح آخرون أن يقولوا عليه شاعر أو مجنون إلا أنهم أسقطوا هذين الرأيين وقالوا إنه لا يأتى بأعمال الجنون أو الكهانة، كما أن القرآن الذى يتلوه لا يشابه الشعر والعرب يعرفون الشعر وقواعده وبالتالى فلن يصدقوا أن هذا شعر ولن يصدقوا أن محمداً ﷺ شاعر، فاقترح البعض أن يقولوا عليه ساحر إلا أن بعض الحاضرين قال إنه لا يفعل ما يفعله السحرة.

وتحير المجتمعون فى الأمر فما داموا هم أنفسهم يعرفون أنه ليس بشاعر ولا بكاهن ولا بساحر فماذا يقولون للآخرين عنه . وعلى الرغم من اعترافهم بذلك، قرروا الاتفاق علي قول واحد يقولونه على محمد ﷺ حتى لا يكذب بعضهم بعضا أمام الناس وحتى يكون قولهم واحدا يواجهون به الرسول ﷺ، واتفقوا أخيرا على رأى الوليد ابن المغيرة فى أن يقولوا إن محمداً ﷺ ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين الإنسان وأخيه وبين الرجل وزوجته وبين المرء وعشيرته «أهله».

وقد جاء ذكر هذا الأمر فى كتب الحديث كالتالى.

«ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقوم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجتمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، فقالوا فأنت يا أبا عبد شمس والوليد بن المغيرة فقل وأقم لنا رأيا نقول به ، قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا : فنقول كاهن، قال لا والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة

الكاهن ولا سجعه، فالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخلقه ولا تخالجه ولا وسوسته فقالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس قال : إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحرا جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بالطرق التى يمر بها الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره».

ونلاحظ فى هذه الواقعة أن زعماء قريش كانوا يتمتعون بالدهاء والخبث وأنهم كانوا يتشاورون فى كيفية مواجهة الدعوة الإسلامية وأنهم عرفوا أنه لابد من مواجهة الفكرة الإسلامية بفكرة أخرى تنفر الناس منها وأنهم اختاروا أسلوب الشائعات لتحقيق ذلك.

وتدل هذه الواقعة أيضا على أن سمعة الرسول ﷺ كانت قوية جداً ونظيفة جداً لدرجة جعلت قريشا تحتار فى اختيار الفكرة التى يواجهونه بها.

كما تدل هذه الواقعة على اعتراف قريش بنظافة وقوة سمعة الرسول واعترافهم بأنه ليس بكاهن ولا مجنون ولا شاعر ولاساحر،وبرغم اعترافهم فيما بينهم بذلك إلا أنهم اختاروا أن يكذبوا

علـى رسول الله ﷺ ويـقولون عـنه إنه سـاحر جـاء بكلام يـفرق بـين الإنسان وأخيه أو زوجته أو عشيرته «أهله».

وهذه الواقـعة تدل علـى مدى اهتمـام قريش بالحـرب ضد الإسلام لدرجة أن يجلسـوا ويتشاوروا ويتفقوا على اختيار قول واحد حتى لا يكذب بـعضهم بعـضاً أى أن ينسقوا فـيما بينـهم فى الحرب الدعـائية ويتفقوا على أسلوب واحد رغم علمهم بأنهم كاذبون.

كمـا تدل أيـضا عـلى أن مـامنع قـريشـا من الإسـلام لم يـكن إلا التعـصب والاستكبار،فـهاهم يعتـرفون فيما بـينهم بأن محـمداً ﷺ لم يكن كذابـا أو ساحر أو شاعرا أو مجـنونا، أو كاهنا فـماذا يكون إذن؟ إلا أن يكون رسول الله الصادق الأمين.

وحاولت قريش أن تجـرب أسلوب الإغراءات لعله ينـفع مع رسول الله ﷺ، وخاصـة بعـد أن بدأ بـعض الأقـوياء يـدخلـون فى الإسـلام، وخاصـة بعـد أن كثـر عدد الـذين يـؤمنـون بالـرسول ويـدخلـون فى الإسلام، وقد اقترح أحد أشراف قريش وهو عـتبة بن ربيعة أن يذهب إلى محـمد فيعرض علـيه بعض الإغراءات لعـله يتخلى عـن الدعوة، فوافـقت قريـش علـى ذلك وذهب عـتبة بـن ربيـعة إلى الـرسول ﷺ وعرض عليه أن تجمع له قريش الأموال حتـى يصبح أغناهم جميعا أو يجعلوا الرسول ﷺ سيدا عليهم ورئيسا لهم أو ملكا عليهم إن أراد، أو أن يطلبوا له العلاج إن كان به مرض.

وعنـدما انتهـى عتبة مـن عروضه، واجـهه رسول الله ﷺ بآيـات من القرآن الكريم فتـأثر بها عتبة تأثرا شديدا لدرجة أن وجـهه تغير، بل انه اقتنع بـصحة وصدق الرسالة التـى جاء بها الرسول ﷺ إلا أنه اسـتكبر

أن يعلن إسلامه، وعاد إلى أصحابه فلاحظوا فيه تغيرا، وعندما سألوه ماذا حدث اعترف لهم بأنه سمع قولا لم يسمع بمثله قط، وأن القرآن الذى يتلوه رسول الله ﷺ ليس شعرا ولا سحرا ولا كهانة ثم نصحهم بعدم التعرض له، إلا أنهم رفضوا نصيحته.

وقد جاءت تلك الحادثة فى كتب السيرة كالتالى «حدث أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوما وهو جالس فى نادى قريش، ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد وحده، يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخى إنك منا حيث علمت من السلطة (الشرف) فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ : «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع (الصاحب من الجن) على الرجل حتى يداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد. قال: نعم قال: فاسمع منى . قال إفعل . فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ ثم مضى الرسول الله ﷺ يقرأ على عتبة وكان عتبة منصتا وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها إلى أن انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد . ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ماوراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى إنى سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها بى، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيى فاصنعوا مابدا لكم.

كرر زعماء قريش محاولة إغراء محمد ﷺ بالمال والجاه والسلطان وغيرها من الإغراءات، وقد جاء العرض هذه المرة من زعماء قريش كلهم ذلك أن أشراف قريش من كل قبيلةوهم عتبة بن ربيعة وشبية بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام والأسود بن المطلب وزمعة ابن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل ابن هشام وعبدالله بن أبى أمية والعاص ابن وائل ونبيه بن الحجاج ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف اجتمعوا بعد غروب الشمس عند

ظهر الكعبة وبعثوا إلى الرسول ﷺ ليكلموه فجاءهم رسول الله ﷺ، فعرضوا عليه المال أو الملك أو السلطان أو العلاج إن كان مريضا، وهى نفس العروض جميعا وقال لهم: «مابى ماتقولون، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم».

وهكذا نجد أن زعماء قريش أرادوا إغراء الرسول بالمال والجاه ليتخلى عن دعوته،وهو أسلوب يتبعه كل الزعماء والرؤساء مع أصحاب الدعوات، إلا أن الرسول رفض كل هذه الإغراءات لأن التمسك بالحق أغلى وأفضل من كل أموال الدنيا وسلطانها. وقد يقول قائل لماذا لم يأخذ الرسول ﷺ المال والسلطان ويستخدمها فى سبيل دعوته فيكون الطريق أيسر وأسهل، ولكن هذا الكلام غير صحيح لأن فيه خداعا لا يليق بأصحاب دعوة الحق، ولأن الوصول إلى الحق لا يكون إلا باتباع الطريق المستقيم الواضح الذى لا التواء فيه، ولأن الرسول لا يتصرف على هواه بل يتصرف وفق ما يأمره به ربه سبحانه وتعالى.

استمرار المواجهة الفكرية:

لم تقتصر المواجهة الفكرية بين دعوة الإسلام والمشركين من قريش على حرب الشائعات وطريق الإغراءات بل شملت أيضا قيام بعض المشركين بمحاولة صرف «إبعاد» الناس عن رسول الله ﷺ وذلك بأن يحكوا لهم بعض القصص والحكايات عن الأمم القديمة وذلك حتى

يثبت لـلناس أنه يمكن لـه أن يفعل مثلمـا يفعل الرسول عنـدما يذكر القصص القديمة التى حدثت فى بعض الأمم أو سيرة بعض الأنبياء.

وقد برز مـن هؤلاء النضـر بن الحارث، وكان قـد سافر إلى الحـيرة وتعلم بها بعض القصص من ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسـا يذكر فيه الله، ويحذر قـومه مما أصاب من قبـلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه فى مجلسـه إذا قام ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستـم وغيرهم ثم يقول: بماذا محمـد أحسن حديثا منى.

وفى إطار المـواجهة الفكـرية كان المشركون مـن قريش يطلـبون من الرسول ﷺ أن يفجر لـهم الأنهار أو يأتيهم بملك مـن عند الله أو يبعث لهم الأموات أو ينزل عليهم عقابا من الـسماء أو يأتى بسلم فيطلع إلى السماء أمامهم أو غيرها من الأمور ولـكن الرسول ﷺ لم يكن يلتفت إليهم بل يمضى فى دعوته ويتلو القرآن الكريم، الذى هو فى حد ذاته المعجـزة الكبرى لمن يـريد المعجزات، ذلـك أن الله تعالى جعـل القرآن الكريم معجزة تصلح لكل زمـان ومكان ولكل أهل علم من العلوم أو فن مـن الفنون، فـفيه الإعجـاز الذى يستـطيع كل مـن يريد أن يعـرفه ويصل إليه ويكتشفه بسهوله ويسر.

فبالنسبة لأهل مكة، وهم أصحاب بلاغة ـ كان القرآن معجزة بلاغية ولغوية يستطيع أى إنسان فى مكة أن يدرك أنه ليس من عند البشر وأنه لا يسـتطيـع بشر أن يـأتى بمثـل هذا الـقول بل هـو من عنـد الله، وقد تحداهم القرآن الكـريم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ولكـنهم عجزوا عن ذلك، وفى الحقيقة فإنهم كانوا يعـرفون بمالهم من خبرة فى فنون القول

والكلام أن هذا القرآن معجزة بل واعترف الكثيرون منهم بذلك بل وقالوا إنه ليس بسحر ولا بشعر ولا بكهانة.

وسيظل القرآن الكريم معجزة الإسلام لكل زمان ومكان، ذلك أن المتخصصين فى علم من العلوم أو فن من الفنون سيجدون فى القرآن الكريم الإشارات الدالة على أنه من عند الله وليس من قول البشر، فمثلا فى العصر الحديث ومع تقدم علوم الطب والصيدلة والهندسة والكيمياء والفيزياء والأحياء والفلك وغيرها نجد أن العلماء يكتشفون صحة كل الحقائق العلمية التى جاءت فى القرآن الكريم، وأن هناك إعجازا علميا واضحا فى القرآن الكريم فى كل هذه المجالات وغيرها.

إيذاء الرسول ﷺ وإيذاء المسلمين:

استعمل المشركون فى قريش كل الوسائل والأساليب للقضاء على دعوة الإسلام، وفى الوقت الذى كانت الحرب الفكرية على أشدها ضد الرسول ﷺ والإسلام، فإن الأذى والتعذيب والتنكيل بل ومحاولات القتل كانت تتكرر يوميا ضد الرسول ﷺ وضد المسلمين الأوائل.

تعرض الرسول ﷺ مثلا لأنواع مختلفة من الأذى، فعلى سبيل المثال كانت أم جميل زوجة أبى لهب عم رسول الله ﷺ، تحمل الحطب والشوك وتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر فأنزل الله تعالى فيها: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

وعندما سمعت أم جميل بهذه الآية، أخذت فى يدها بعض

الأحجار وذهبت إلى حيث يجلس رسول الله ﷺ فى الكعبة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وأرادت أن تقذفه بالحجارة، إلا أن الله تعالى جعلها لا ترى رسول الله ﷺ، وأخذت تحول بصرهافى كل الاتجاهات فلا ترى إلا أبا بكر الصديق رضى الله عنه، فقالت لأبى بكر رضى الله عنه أين صاحبك فقد بلغنى أنه يهجونى، «يسبنى ويشتمنى» والله لو وجدته لضربته بهذه الأحجار ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال : ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى.

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ شتمه أو سخر منه.

ووصل الأمر إلى أن عقبة بن معيط لعنه الله قد تفل أى بصق فى وجه رسول الله ﷺ.

وكان بعض جيران رسول الله ﷺ من المشركين يؤذونه فى بيته مثل أبى لهب والحكم ابن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط وعدى بن حمراء الثقفى، وابن الأصداء الهزلى، فكانوا يلقون عليه بقايا الذبائح وهو يصلى حتى اضطر أن يصلى جنب الجدار حتى لا يستطيعوا إلقاء القاذورات عليه.

ووصل الأمر إلى حد محاولة قتله ذلك أن أبا جهل قد حمل حجرا كبيرا وقرر أن يتربص بالرسول ﷺ حتى إذا صلى قام فضربه به على رأسه فقتله، وعندما اقترب أبو جهل من الرسول ﷺ وجد فحلا ضخما من الإبل مخيفا شرسا، يهم أن يأكله، فخاف أبو جهل ورجع إلى قومه ممتقع «أصفر شاحب» الوجه وحكى لهم ماحدث.

وقد كان ذلك حماية من الله تعالى لرسوله ﷺ ونوعا من المعجزة فى نفس الوقت.

لم تنقطع المحاولات لقتل الرسول ﷺ أو إيذائه، ففى إحدي المرات قام أحد المشركين وهو عقبة بن معيط بخنق رسول الله ﷺ خنقا شديدا بينما كان الرسول يصلى، إلا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قام بدفع عقبة بعيداً عن الرسول ﷺ وقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟».

* * *

وتعرض المسلمون الأوائل لعذاب شديد من قريش، ذلك أن كل قبيلة راحت تفتش عمن أسلم منها لتحاول أن ترده عن الإسلام بالإغراء أو التعذيب أو محاربته فى تجارته أو رزقه.

فمثلا كان أبو جهل إذا عرف أن هناك رجلا غنياقد أسلم هدده بأن يحاربه فى تجارته وماله وجاهه «نفوذه»، إما إذا كان رجلا ضعيفا ضربه وأغرى «حرض» الآخرين بضربه.

وكان عم عثمان بن عفان رضى الله عنه يلفه فى أوراق النخيل ثم يشعل من تحته.

وكانت أم مصعب بن عمير تقوم بتجويع ابنها أو طرده من بيته حتى يرتد عن دينه دون جدوى.

أما بلال رضى الله عنه فقد تعرض لألوان شتى من التعذيب على يد سيده أمية بن خلف، فقد كانت أمية بن خلف يسلمه إلى الصبيان يطوفون به فى جبال مكة وقد وضعوا فى عنقه حبلا، حتى يترك الحبل أثرا شديدا فى عنقه، كما كان يضربه بالعصا ضربا شديدا أو يجلسه ساعات طويلة فى حر الشمس فى الصحراء، جائعا عطشان. كما كان يأتى به فى الظهيرة، وهو وقت شديد الحر فى مكة فيطرحه على الأرض ويأتى بصخرة ثقيلة فيضعها على صدره ثم يقول له سأتركك

هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعود إلى عبادة الأصنام، فيرد بلال رضى الله عنه قائلا أحد . أحد.

وكان المشركون يمسكون بعض الصحابة ثم يلقونهم فى حر الشمس ويلبسون بعضهم درعا من الحديد ثم يلقونه على صخرة ساخنة ملتهبة.

ووصل الأمر بالمشركين مثل أبى جهل، وكان سيداً لعمار بن ياسر أى أن عمار بن ياسر وأباه ياسر وأمه سمية كانوا عبيدا عند بنى مخزوم الذين يتزعمهم أبو جهل، إلى حد أنهم كانوا يعذبونهم تعذيبا شديداً بوضع الصخر الملتهب على صدورهم أو يغرقونهم فى الماء، بل وقام أبو جهل بطعن سمية بحربة فماتت فكانت أول شهيدة فى الإسلام.

ونلاحظ أن المرأة قامت بدور عظيم فى دعوة الإسلام على عهد النبى ﷺ، فقد كان أول من أسلم امرأة وهى السيدة خديجة زوجة الرسول ﷺ ، وكان أول شهيد فى الإسلام امرأة هى سمية أم عمار بن ياسر رضى الله عنهما، كما تلقت النساء المؤمنات الكثير من العذاب وصبرن عليه فإحداهن وتدعى النهدية ظلت تحت العذاب حتى ذهب بصرها وعميت فى سبيل الله، وفاطمة بنت الخطاب قامت تدافع عن زوجها فضربها أخوها عمر بن الخطاب قبل إسلامه حتى تفجر «سال» الدم من وجهها، ولا ننسى أن الكثيرات من زوجات المسلمين الأوائل قد هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة وتحملن المشقة من أجل الدعوة، وكانت المرأة دائما فى طليعة المجاهدين والصابرين فى سبيل الدعوة، وقد كلام الإسلام المرأة وأعطاها مكانة متميزة وعظيمة.

وفى إطار التعذيب الذى تعرض له المسلمون الأوائل على يد المشركين فى قريش نذكر خباب بن الأرت وكان عبدا عند أنمار بنت

سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه ألوانا شتى من التعذيب يلوون عنقه ومرة يشدون شعره ومرة يضجعونه على جمر «نار» ملتهب، وتارة يضعون على صدره حجرا ثقيلا وهكذا...

وفى الحقيقة فقد تعرض عدد كبير من المسلمين الأوائل للتعذيب والتنكيل على يد مشركى قريش فمثلا زنيرة النهدية فقدت بصرها تحت وطأة التعذيب وكذلك تعرضت ابنتها للتعذيب أيضا، وتعرضت أم عبس وجارية بنى نوفل وغيرهن من النساء إلى التعذيب الوحشى، ولكن الرجال والنساء والصبيان الذين أسلموا صبروا على الأذى، لأن إيمانهم كان عظيماً.

كيف واجه الرسول ﷺ والمسلمون هذه المحنة:

ولا شك أن التعذيب والتنكيل الذى تعرض له الرسول ﷺ والمسلمون الأوائل كان محنة شديدة، ولولا الإيمان القوى والصبر العظيم لما تحمل المسلمون هذا الأمر. وقد واجه الرسول ﷺ والمسلمون معه هذه المحنة بالإيمان والصبر، وكان إيمان المسلمين والتربية التى تلقوها على يد رسول الله ﷺ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم تربية عظيمة ظهر أثرها واضحا فى تحمل المسلمين لمحنة التعذيب والتنكيل دون أن يرتد أحد منهم عن دينه، ولا شك أن التربية الإيمانية ضرورة لأى صاحب دعوة لكى يواجه مشقات الدعوة وأعباء الطريق.

وكان الرسول ﷺ وصحابته يتبعون عددا من الأساليب لتخفيف آثار التعذيب عن بعضهم بعضا، فمثلا كان رسول الله ﷺ يمر على المسلمين وهم تحت التعذيب ويقول لهم قولا يخفف من معاناتهم ويشد أزرهم مثل قوله لآل ياسر «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»،

ولا شك أن تلك الكلمات كان لها فعـل كبير فى تخفيف العذاب عن المسلمين وعلى زيادة صبرهم وتحملهم.

كما أن الله تعالى أباح للمسلمين أن يكفروا بألسنتهم أمام المشركين لينقذوا أنـفسهم من العذاب والتنـكيل، ولكن كان هذا الكفـر باللسان مع اطمئنان القلب بالإسلام وهذا بالطبع فى حالة وصول التعذيب إلى درجة لا تحتمل.

كما كان بعض الصحابة رضوان الله عليـهم ـ مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ـ يقـوم بشراء العبيد الذيـن أسلموا ثم يعتقـهم لوجه الله حتى يخلصهم من تعذيب السادة لهم.

* * *

وتروى كتب السيرة أن أبا بكر الصديـق قد أعتق فى مكة أيام محنة التـعذيب كـلا من بلال بـن رباح، عامـر بن فـهيرة، أم عـبيس، زفـيرة النـهدية، بـنت الـنهديـة، جارية بـنى مؤمـل. [إذن فقـد كان الصـبر، ومواساة الرسول ﷺ وإعتاق العبيد من المسلمين وغيرها هى الأساليب التى اتبعـها الرسول لتخفيف حدة الـتعذيب على المسلميـن، كما اتخذ وسيلـة أخرى هى وسيلـة الهجرة إلى الحبشة لإنقـاذ بعض المسلـمين وإبعادهم عن مكان التعذيب والفرار بدينهم.

الهجرة إلى الحبشة:

اشتد الأذى عـلى المسلميـن بمكة لدرجة أن بـعض المسلميـن أصبح معـرضا لـلمـوت، وفكـر رسول الله ﷺ فـى طريـقة يـنقـذ بهـا هؤلاء المسلمين وخاصة الضعفاء منهم، واستقر رأيه على أن يأمرهم بالهجرة إلى الحبشة علـى أساس أن بها ملكا عادلا وهو النـجاشى. قال رسول

الله ﷺ لأصحابه لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

وفى الواقع فإن الهجرة إلى الحبشة قد تمت مرتين، المرة الأولى: كانت فى شهر رجب فى العام الخامس بعد نزول الوحى، وكانت تضم عددا قليلا من المسلمين، وقد أقام هؤلاء فى الحبشة شهران هما شعبان ورمضان، وقد علموا أن قريش قد كفت الأذى «توقفت عن الأذى» عن الرسول، ولم يكن هذا الخبر صحيحا، فعادوا إلى مكة فى شهر شوال، وعلى مقربة من مكة علم هؤلاء أن قريشا مازالت تؤذى الرسول والمسلمين، فخافوا أن يدخلوا مكة. وطلبوا الحماية من بعض رجال قريش، ثم دخلوا إلى مكة حيث وجدوا أن التعذيب مازال شديدا وتعرضوا هم وغيرهم ومن المسلمين لألوان شديدة من التعذيب، فأمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فهاجر هذه المرة ثلاثة وثمانون رجلا، ومن النساءتسع عشرة امرأة.

وكان الهدف من هذه الهجرة هو تحقيق النجاة للمسلمين من العذاب الذى يتعرضون له فى مكة وفى نفس الوقت تحقيق الدعوة فى مكان آخر وجعله قاعدة لانطلاق الإسلام أيضا إلى كل مكان فى الأرض. ويؤكد هذا الهدف الثانى، وهو تحقيق الدعوة فى مكان جديد وجعله قاعدة للانطلاق ، أن من بين المهاجرين إلى الحبشة كان يوجد بعض المسلمين الأقوياء الذين لم يكونوا يتعرضون للأذى بسبب قوة نسبهم أو حسبهم أو غيرها، مثل جعفر بن أبى طالب والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وأبو سلمة المخزومى وعثمان بن عفان وغيرهم ومن النساء حبيبة بنت أبى سفيان وغيرها.

ولعل تجربة الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة وكذلك الهجرة فيما بعد إلى المدينة تؤكد أن العقيدة أقوى من الانتماء إلى الوطن أو الأهل. فهؤلاء الذين هاجروا ضحوا بالحياة فى بلادهم ووسط أهلهم ومالهم وفضلوا الهجرة فرارا. بالدين أو من أجل تقوية هذا الدين ونشره فى أماكن أخرى.

* * *

ما إن وصل المسلمون إلى الحبشة حتى استقبلهم النجاشى أحسن استقبال وقد أسلم النجاشى نفسه بعد ذلك ولولا البطاركة ورجال الدين المسيحى عليه لأعلن إسلامه ولكنه كتمه خوفا من ثورة البطاركة ولأسباب سياسية كان يدركها باعتباره ملكا على الحبشة.

وعندما علمت قريش بنبأ الهجرة إلى الحبشة شعرت بالغيظ والخوف لأن الدعوة ستنتشر فى بلاد أخرى لا يمكن السيطرة عليها، كما أن هؤلاء المهاجرين قد نجوا من عذاب قريش، وقررت قريش أن تحاول استعادة المهاجرين إلى الحبشة إلى مكة مرة أخرى وأرسلت وفدا من زعمائها إلى النجاشى ليطلب منه ذلك.

كان هذا الوفد مكونا من رجلين معروفين بالدهاء هما عبدالله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص، وقد حمل الوفد معه الكثير من الهدايا الثمنية إلى النجاشى وإلى البطاركة «أى رجال الدين الأحباش»، وقرر كل من عبدالله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص أن يعطيا الهدايا أولا إلى البطاركة فلم يتركوا بطريكا إلا وأعطوه هدية ثمينة، واتفقا مع هؤلاء البطاركة على تأييد مطلبهما أمام النجاشى.

ثم قدما الهدايا إلى النجاشى وطلبا إليه أن يسلمهما المسلمين

المهاجرين إلى الحبشة، وقد أيدهما البطاركة فى هذا الطلب على حسب الاتفاق السابق . إلا أن النجاشى رفض أن يسلمهم، إلا بعد أن يسمع منهم . ثم أرسل إلى المهاجرين فجاء وفد منهم برئاسة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال النجاشى لوفد المهاجرين: «ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين إحدى هذه الملل؟».

فقال جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه : «أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، نخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وأمربالصلاة والزكاة والصيام، وعدد له أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به وأتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من بعد عبادة الله تعالى، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك».

فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شئ؟

فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأ على . فقرأ عليه صدرا من ﴿كهيعص﴾ فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكى أساقفته «رجال الدين المسيحى» حتى ابتلت الأوراق التى فى أيديهم، ثم قال النجاشى «إن هذا والله والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ـ أى من نفس المصدر».

ثم التفت إلى عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة وقال لهما انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، خرج عمرو بن العاص مغتاظا حانقا وقال لزميله: «والله لآتيه غدا بما استأصل به خضراءهم » أى سوف أدبر حيلة أحتال بها على النجاشى تؤدى إلى نهاية هؤلاء المهاجرين.

ثم ذهب عمرو بن العاص فى اليوم التالى إلى النجاشى فقال له: «أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه. فأرسل إليهم النجاشى ليسألهم، وتدبر المهاجرون أمرهم واستقر رأيهم على أن يقولون الحقيقة مهما كانت النتائج فلما دخلوا على النجاشى قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى بن مريم. فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ يقول: «هو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته التى ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

فضرب النجاشى على الأرض بيده فأخذ منها عودا ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، أى أن النجاشى اعترف بصحة قول الرسول ﷺ فى عيسى بن مريم.

وهنا ثار عليه البطاركة حين قال ما قال ، فلم يهتم بهم وقال

للمهاجرين المسلمين: «أنتم شيوم بأرضى - أى آمنون بأرضى من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم».

ثم أمر برد الهدايا إلى وفد قريش فخرج كل من عمرو بن العاص وعبدالله ابن أبى ربيعة من عنده وقد فشلا فى مهمتهما التى أرسلتهما قريش من أجلها.

استمر المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة فيها وقتا طويلا آمنين على دينهم، وحتى بعد أن هاجر الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة لم يأمر الرسول ﷺ مهاجرى الحبشة بالذهاب إلى المدينة إلا بعد صلح الحديبية، أى بعد أن استقرت الأوضاع تماما لصالح المسلمين فى المدينة، وقد يرجع ذلك إلى أن الرسول ﷺ تركهم فى الحبشة طالما كانت المدينة مهددة بالمشركين من حولها، أى لتكون الحبشة قاعدة احتياطية بديلة لانطلاق الإسلام فى حالة هزيمة المسلمين أو فشل تجربتهم فى المدينة، وهذا من حسن سياسة الرسول ﷺ وحكمته.

على كل حال، عاد المهاجرون من الحبشة وذهبوا إلى المدينة فى يوم معركة خيبر بناء على أوامر الرسول ﷺ الذى كان قد بعث يطلب رجوعهم إلى المدينة بعد أن استقر الأمر بها لصالح الإسلام وبعد أن لم يعد هناك خطر من المشركين خارج المدينة على الإسلام، وبالتالى لم يعد هناك حاجة لقاعدة بديلة أو احتياطية.

إسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما

فرح رسـول الله ﷺ عندما أسـلم حمـزة بن عبـدالمطلب وفـرح مرة أخرى عنـدما أسلم عمـربن الخطاب، وكذلـك فرح المسلمـون بذلك، وحزنت قريش أشد الحزن عندما أسلم حمزة وعندما أسلم عمر.

ومن الطبـيعى أن يفرح الرسـول ﷺ ويفرح المسلمـون بأى شخص جديد يـدخل فى الإسلام لأن معـنى هذا أن الدعوة تـنتشر وتسـير فى طريق النـصر،ومن الطبيعـى أن تحزن قريش عندما يـدخل أى شخص جديد فـى الإسلام لأن معنى هـذا زيادة عدد المسـلمين وتنـاقص عدد المشـركين، ولـكن عنـدما أسلم حـمزة وعنـدما أسلـم عمر كـان فرح الرسول ﷺ وفرح المسـلمين أكبر من فرحهم فـى كل مرة، وكان حزن قريش أشد من حزنهم فى كل مرة يدخل فى الإسلام شخص جديد.

ذلك لأن حمزة وعمر لم يـكونا شخصين عاديين، بل كانـا يتمتعان بالقـوة والشجاعة والجـرأة، الأمر الذى يجعـل إسلام كل منهـم نصرا كبيرا للإسلام وخسارة كبيرة لمعسكر المشركين.

إسلام حمزة

كان أبو جهل قـد لقى رسول الله ﷺ فى مكان بمكة يقـال له الصفا، فآذاه وشتمه، ولم يرد عليه رسول الله ﷺ وانصرف إلى بيته.

وكان حمزة بـن عبدالمطلب فى ذلك الـيوم راجعا من رحلة لـلصيد

وكان من عادته أنه إذا رجع من الصيد يمر على أماكن تجمع قريش فيسلم عليهم ويتحدث إليهم، فأخبرته أحد النساء، وهى مولاة ـ أى عبدة ـ لعبد الله بن جدعان بما حدث من أبى جهل للرسول ﷺ وكانت تلك المرأة قد رأت وسمعت ما حدث من أبى جهل للرسول ﷺ. وحمزة بن عبدالمطلب هو عم رسول الله ﷺ إلا أنه كان مايزال مشركا، وكان من أقوى فتيان قريش وأشدهم.

قالت له تلك المرأة: «لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم «أى أبى جهل» وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه ﷺ.

اغتاظ حمزة وغضب غضبا شديدا حينما عرف بنبأ إيذاء أبى جهل لابن أخيه محمد ﷺ، وانطلق يبحث عن أبى جهل ليأخذ منه حق ابن أخيه، حتى وجده فى الكعبة جالسا مع بعض رجال قريش، فأقبل نحوه وضربه بالقوس ضربة أسالت منه الدماء ثم قال له حمزة «أشتمته وأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك على إن استطعت».

فقام رجال من أقارب أبى جهل من بنى مخزوم إلى حمزة يريدون ضربه، إلا أن أبا جهل خاف أن تحدث معركة كبرى بين بنى مخزوم وبين بنى هاشم فقال لهم دعوا أبا عمارة «أى اتركوا حمزة»فإنى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

وهكذا أعلن حمزة إسلامه، وعندما علمت قريش بذلك خف أذاها بعض الشئ عن رسول الله ﷺ نظرا لأنهم كانوا يعملون حسابا لحمزة بسبب قوته وشجاعته وجرأته.

بعد هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة بقليل - أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ففى أحد الأيام قرر عمر بن الخطاب أن يقتل محمدا ﷺ، وحمل عمر سيفه وذهب ليقتل محمدا ﷺ، وفى الطريق قابله نعيم بن عبدالله فقال له: أين تريد يا عمر؟ أريد محمدا هذا الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها «عقولها» وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال عمر وأى أهل بيتى، قال نعيم: أختك فاطمة وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو زوجها ، فقد أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما.

رجع عمر قاصدا إلى بيت فاطمة وزوجها سعيد ليعرف حقيقة الأمر، وكانت فاطمة وزوجها سعيد فى ذلك الوقت يستمعان إلى القرآن الكريم الذى كان يقرأه لهما خباب بن الأرت رضى الله عنه وكان خباب يقرأ سورة طه من صحيفة معه، وقد سمع عمر بن الخطاب شيئا من هذه السورة عندما اقترب من بيت أخته وعندما أحست فاطمة بنت الخطاب بأن أخاها عمر على الباب قامت فخبأت الصحيفة تحت فخذها، كما قام خباب ابن الأرت واختبأ فى أحد أركان البيت حتى لا يبطش به عمر.

ودخل عمر بيت أخته فاطمة وقال لها ما هذه الهمهمة : «أى ما هذا الكلام؟» الذى سمعت - قالت فاطمة وزوجها سعيد فى وقت واحد: «ما سمعت شيئا» قال عمر: بل والله، لقد أخبرت «علمت» أنكما

تابعتما محمدا على دينه، ثم ضرب زوج أخته فسال منه الدم فلما تقدمت فاطمة تدافع عن زوجها ضربها عمر وأسال دماءها أيضا، فلما فعل عمر ذلك قالت فاطمة وزوجها : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر الدم ينزف من فاطمة رق قلبه لها وندم على ماصنع وقال لأخته : «إعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد» وكان عمر يعرف القراءة والكتابة، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال : لا تخافى وحلف لها أن يردها لها بعد قراءتها، فلما قال ذلك طمعت فاطمة فى إسلامه فقالت له : «يا أخى، إنك نجس على شركك وأنه لا يمسها إلا الطاهر» فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها آيات من سورة طه فقرأها، فلما قرأ شيئا منها قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، وكان خباب بن الأرت لا يزال مختبئا، فلما سمع ذلك خرج من مخبئه وقال عمر والله إنى لأرجو الله أن يكون قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» فالله الله يا عمر.

وهنا طلب عمر من خباب أن يدله على مكان رسول الله ﷺ ليذهب إليه ويعلن إسلامه، فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه.

وكان رسول الله ﷺ فى ذلك الوقت مع بعض أصحابه فى بيت الأرقم بن أبى الأرقم فى ناحية من مكة تسمى الصفا، وتوجه عمر إلى هناك وهو يحمل سيفه حتى وصل إلى المنزل المذكور، فقرع الباب «دق الباب» فلما سمع الرسول ﷺ والصحابة صوت عمر قام رجل

من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من ثقب الباب، فرأى عمرا حاملا سيفه، فرجع إلى رسول الله ﷺ خائفا وقال: «يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا «حاملا السيف» فقال حمزة وكان موجودا معهم: «فأذن له فإن كان يريد خيرا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله ﷺ : «إئذن له» فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ فجذب ثوبه بشدة وقال له :ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ماأرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة «مصيبة» فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله.

وهنا كبر «كبر، أى قال الله أكبر» رسول الله ﷺ بصوت عال سمعه كل من فى البيت، فأدركوا أن عمر قد أسلم.

وشعر أصحاب رسول الله ﷺبالقوة فى أنفسهم لأن إسلام حمزة من قبل وإسلام عمر اليوم سيجعلان الرسول ﷺ فى مأمن من أذى قريش نظرا لقوة الرجلين.

وبعد أن أسلم عمر، فكر فى نفسه فيمن يكون أشد أهل مكة عداوة للرسول ﷺ حتى يذهب إليه فيخبره بإسلامه، وقال عمر لنفسه إنه أبو جهل، فانتظر حتى الصباح ثم ذهب إلى بيته فلما فتح له الباب قال عمر لأبى جهل: «جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ وصدقت بما جاء به . فاغتاظ أبو جهل وأغلق الباب فى وجه عمر وقال : «قبحك الله قبحك الله قبح ما جئت به».

ولم يكتف عمر بن الخطاب رضى الله عنه بإخبار أبى جهل بإسلامه، بل أنه ذهب إلى جميل بن معمر الجمحى وكان مشهورا بأنه ينقل الأخبار بين الناس بسرعة، وقصد عمر من ذلك أن يخبر جميلا

بالخبـر حتى تعرفـه كل قريش فـى أقرب وقت، وهذا يدل عـلى مدى شجاعة عمروتحديه للمشركين بمجرد إسلامه.

ذهب عمر إذن إلى جمـيل بن معمر وأخبره أنه أسلـم فنادى جميل بأعلى صـوته أن ابن الخطاب قد صبأ «أى خرج على دين آبـائه» فقال عمر وهـو خلفه «كـذبت ولكنـى قد أسلمـت». واندفع إليـه عدد من المشركين بمجـرد سماعهم لذلك ودخل عمر معـهم فى صراع وشجار استمر لعدة ساعات.

وفى إطار إعلان التحدى بعد إسلام عمر،أشار عمر على رسول الله ﷺ أن يعلن المسلمون التحدى لقريش، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك وخـرج المسـلمـون فى صـفيـن كـان علـى رأس أحدهـما حـمزة بـن عبدالمطلب وعلى رأس الآخر عمر بن الخطاب، وقطعت تلك المظاهرة الطـريق فى مـكة حتى وصـلت إلى الـكعبـة، وقريش تنـظر إلى تـلك المظاهرة وهى تشعر بالحزن والكآبة.

ومنذ ذلك الـيوم لم يعد أحد من المسـلمين يكتم إسلامـه، ويحكى صهيب بـن سنان الرومى رضى الله عنـه عن ذلك قائلا: لما أسـلم عمر ظهر الإسلام، ودعى إليـه علانية وجلسنا حول البيت حـلقا «حلقات» وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتى به.

وهكذا كان الإسلام عمر فارقا بين مرحـلتين، مرحلة كان المسلمون فيها يكتمون إسلامهم ويتـعرضون للأذى من قريش إذا علمت بإسلام أحدهم، ومـرحلة أعلن فيـها المسلمون إسـلامهم ولـم يعودوا يـخافون الأذى من قـريش، لذلك أطـلق رسول الله ﷺ علـى عمر بن الخـطاب «الفاروق».

بعد إسلام كـل من حمزة وعمر، وبـعد أن دخل الكثيـرون فى دين الله، وبعد أن فشلـت كل الوسائل التى اتبـعتها قريش فى القـضاء على دعوة الإسلام أو المسلـمين عن دينـهم أو قتـل رسول الله ﷺ أو جعله يكف عـن دعوته بأى طريـقة، وبعد أن عاد وفـد قريش إلى النـجاشى فاشلا خائبا وقد رفض النجاشى تسليم المهاجرين المسلمين إلى قريش، وبعـد أن بدأ الإسـلام ينـتشر خـارج مكـة فى أحيـاء العـرب وقبـائل والجزيـرة العربـية، أحـست قريـش أنه لابد مـن اتبـاع أسلوب جـديد للقضـاء على الدعوة الإسلامية. وتـشاورت قريش فيما بيـنها وقررت استخدام المقاطعة ضد الرسول ﷺ وضـد المسلمين وضد من يدافع عن الرسول ﷺ.

المقاطعة

فشلت كل الأساليب والوسائل التى اتبعها المشركون فى قريش للقضاء على الدعوة الإسلامية، وقرر هؤلاء المشركون اتباع أسلوب جديد لعله ينجح فى القضاء على تلك الدعوة.

وكان أبو طالب وعشيرته وهم أقارب الرسول، ما يزالون يقدمون الحماية لمحمد رغم عدم إسلام معظمهم لأن ذلك كان من عادة القبائل العربية، وهى عادة حماية القبائل لأبنائها مهما كان الأمر.

وقررت قريش أن تنزل العقاب بأبى طالب وعشيرته لعل هذا العقاب يكون دافعا لهم لترك حماية محمد ﷺ وتسليمه لهم.

واتفقت قريش على عمل مقاطعة شاملة لأبى طالب وعشيرته، ويمكننا أن نسمى تلك المقاطعة حصاراً اقتصاديا واجتماعيا ، وقامت قريش بكتابة ذلك فى صحيفة وعلقوا الصحيفة فى داخل الكعبة وقد جاء فى تلك الصحيفة أن قريشا قد تعاهدت على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا لهم شيئا ولايبتاعوا منهم ولا يقبلوا معهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل: « النكاح هو الزواج».

أى أن قريشا اتفقت على ألا يتزوج منها أحد من بنى هاشم أو

يزوجوا أحدا من بنى هاشم منهم وألا يبيعوا لهم أو يشتروا منهم وألا يصالحوهم إلا إذا سلموا محمدا ﷺ للقتل.

وكان معنى هذا أن بنى هاشم وبنى عبدالمطلب وهم أقارب الرسول الذين يحمونه ويدافعون عنه عليهم أن يعيشوا فى عزلة اجتماعية، وعليهم أن يدفعوا ثمن الحماية خسارة فى أموالهم، لأن عدم البيع والشراء لهم أو منهم معناه كساد تجارتهم والقضاء على موارد أرزاقهم.

وكانت قريش تعرف أن هذا ثمن غال، ربما يدفع بنى هاشم إلى تسليم محمد ﷺ خصوصا وأن الكثيرين من بنى هاشم لم يكونوا قد أسلموا بعد، فما الذى يجعلهم يدفعون هذا الثمن الغالى من أجل محمد وهو على دين غير دينهم.

ولكن رجولة بنى هاشم وبنى عبدالمطلب ورجولة أبى طالب وتعصبهم لابن أخيهم كانت أقوى من ذلك الحصار ورغم عدم إسلام الكثيرين منهم إلا أنهم رفضوا الخضوع لمطالب قريش وصبروا على الحصار.

ولم يشذ «يخرج» على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب إلا أبو لهب فإنه انحاز إلى قريش وترك أهله وعشيرته، ومن المعروف أن أبا لهب هو عم رسول الله ﷺ وهو من أبناء عبدالمطلب.

حوصر بنو هاشم وبنو عبدالمطلب ومن معهم من المسلمين ومعهم رسول الله ﷺ فى شعب بنى عبدالمطلب وصبر المسلمون منهم على ذلك من أجل دينهم، وصبر المشركون منهم تعصبا لابن أخيهم وتعصبا لقبيلتهم.

وكان الحصار شديدا والمقاطعة شاملة، حتى إنهم كانوا يأكلون ورق الشجر، ووصل الأمر إلى حد أنه إذا جاء بعض التجار من خارج مكة إليها وأراد بنو هاشم أن يشتروا منهم الطعام قام أهل قريش بإغراء هؤلاء التجار بأسعار أعلى حتى لا يبيعوا شيئا من الطعام أو البضائع إلى بنى هاشم وذلك حتى يكون الحصار شاملا.

استمر ذلك الحصار من السنة السابعة بعد البعثة إلى السنة العاشرة بعد البعثة أى حوالى ثلاث سنوات، عانى فيها بنو المطلب ومعهم المسلمون ورسول الله ﷺ معاناة شديدة.

وبعد مرور تلك المدة، وجد عدد من عقلاء قريش أن الحصار لم يحقق هدفه، وأن بنى هاشم لم تقبل تسليم الرسول ﷺ للقتل، وبالتالى فلا جدوى من استمرار هذا الحصار.

وكان بنو هاشم على قرابة لبعض بطون (قبائل قريش) الأخرى، فقد كانوا أخوال بعض رجال قريش مثل هشام بن عمرو وزهير بن أمية وغيرهما، وشعر هؤلاء بالعطف على أخوالهم من بنى هاشم، وقرروا العمل على نقض الصحيفة، واجتمع على ذلك عدد من رجال قريش من أقرباء بنى هاشم فبالإضافة إلى هشام بن عمرو وزهير بن أمية انضم إليهما المطعم بن عدى والنجدى بن هشام وزمعة بن الأسود.

وفى اليوم التالى نادى زهير بن أمية على قريش قائلا: «يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يباع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة».

فقال أبو جهل: «كذبت والله لا تشق».

وهنا تدخل الرجال الآخرون الذين كانوا قد اتفقوا على نقض الصحيفة ودخلوا فى حوار مع أبو جهل واستطاعوا إسكات صوته.

وأحس أبو جهل أنه هزم، وقال لنفسه إن هؤلاء الأشخاص لابد أنهم دبروا الأمر فيما بينهم واستسلم أبو جهل للأمر الواقع.

وهنا قام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد أن الأرضة - وهى حشرة صغيرة - وقد أكلت الصحيفة كلها إلا باسمك اللهم وما كان فيها من اسم الله فلم تأكله. وكان أكل تلك الحشرة للصحيفة كلها إلا اسم الله نوعا من المعجزة التى جعلت الكفار يحسون بالغيظ واليأس.

عام الحزن والخروج إلى الطائف

انتهت عملية حصار بنى هاشم بالفشل ، وازداد الرسول قوة وكان ذلك فى العام العاشر بعد البعثة، واستمر الرسول ﷺ فى مكة بعد ذلك ثلاث سنين حدثت خلالها الكثير من الحوادث، ولم تنقطع فيها المكائد والحيل التى تدبرها قريش ضد الرسول ﷺ وضد المسلمين والإسلام، ولكن تلك المكائد والحيل كلها كانت تنقلب على قريش فى النهاية.

ففى أحد الأيام، بينما كان رسول الله ﷺ يجلس فى الكعبة، جاء رجل من إراش، وكان قد باع إلى أبى جهل عددا من الإبل إلا أن أبا جهل ماطله فى تسديد ثمنها، جاء الرجل يصرخ قائلا يا معشر قريش «من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام «أبى جهل» - فإنى رجل غريب، ابن سبيل وقد غلبنى على حقى». أى أن الرجل يطلب من رجال قريش أن يساعدوه فى أخذ حقه من أبى جهل وخاصة أنه غريب ووجد الجالسون من أهل قريش هذه فرصة للسخرية من رسول الله ﷺ وإحراجه، فقالوا للرجل أترى ذلك الرجل الجالس، وأشاروا إلى ناحية رسول الله ﷺ إذهب إليه فإنه يؤديك حقك أى يساعدك على الحصول على حقك.

وكان هؤلاء القرشيون يريدون بذلك السخرية والاستهزاء بالرسول ﷺ لأنهم يعلمون مدى العداوة بينه وبين أبى جهل، وفى نفس الوقت

يحرجون رسول الله ﷺ لأنه لو رفض نصرة الرجل فإنه بذلك يكون قد خذل رجلا غريبا ولم ينتصر لرجل مستضعف، وهم يعرفون أن من مبادئ الإسلام نصرة المظلوم والغريب وابن السبيل.

ذهب الرجل إلى حيث يجلس رسول الله ﷺ، وهو لا يعرف من هو، وقال له يا عبدالله إن أبا الحكم بن هشام أى أبا جهل قد غلبنى على حق لى عنده، وأنا رجل غريب، ابن سبيل.

وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه «أى يأخذ لى حقى منه» فأشاروا لى إليك، فخذ لى حقى منه يرحمك الله.

فقال له الرسول ﷺ : انطلق إليه، وقام معه فلما رأى القوم ذلك قالوا لرجل منهم اتبعه فانظر ماذا يصنع.

وخرج رسول الله ﷺ مع الرجل، واتجها إلى بيت أبى جهل، فطرق بابه، فقال أبو جهل من هذا، فقال رسول ﷺ: محمد فاخرج إلى، فخرج إليه أبو جهل وهو خائف مذعور قد اصفر وجهه، فقال له محمد ﷺ أعط هذا الرجل حقه، فقال أبو جهل نعم : «لا تبرح» أى لاتتحرك حتى أعطيه حقه الذى له، فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه «أى أعطاه له» ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للرجل، الحق بشأنك أى اذهب حيث شئت، فتوجه الرجل إلى حيث القوم وقال لهم: «جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لى بحقى» يقصد أن محمدا ﷺ قد نجح فى الحصول له على حقه.

أما الرجل الذى كان القوم قد أرسلوه ليعرف ماذا صنع الرسول ﷺ مع أبى جهل ـ فقد عاد إليهم، فقالوا له: ويحك ماذا رأيت؟. «قال:

«عجبا من العجب والله ما أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه ومامعه روحه «أى خائفا مذعورا» فقال له أعط هذا الرجل حقه فقال نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه بحقه، فدخل فخرج إليه بحقه فاعطاه إياه.

وبعد مدة قصيرة جاء أبو جهل إلى القوم، فقالوا ويلك مالك والله ما رأينا مثل ماصنعت قط، قال أبو جهل ويحكم والله ماهو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلنى أى أنه رأى فحلا مخيفا يريد أن يأكله.

وهذه القصة تدل على أن الرسول ﷺ لم يكن يتأخر لحظة عن نصرة الضعفاء والغرباء وأبناء السبيل مهما كان الأمر، وتدل على مدى الهيبة التى يتمتع بها رسول الله ﷺ والتى جعلها الله تعالى له أمام المشركين بل أقوى المشركين وهو أبوجهل، وكذلك فإن رؤية أبى جهل لفحل ضخم من الإبل مخيفا يريد أن يأكله هى نوع من المعجزات التى أيد الله بها نبيه ﷺ.

الرسول يرفض المساومة على العقيدة:

عندما مرض أبو طالب، وأحست قريش أنه اقترب من الموت، وكانت تعرف أن الإسلام قد انتشر ولم تعد هناك فرصة للقضاء على هذا الدين، خاصة بعدما أسلم حمزة وعمر، وبعدما دخل فى الإسلام الكثير من الناس من مختلف قبائل قريش بل وخارجها، أرادت قريش أن تصنع صلحا أو سلاما مع الرسول، بحيث يتعايش الدينان فى مكة

وأن يصل الرسول ﷺ معهم إلى حل وسط بحيث يتركهم محمد ﷺ فى شأنهم ويتركونه فى شأنه.

ومشى أشراف قريش مثل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب وغيرهم إلى أبى طالب وقالو له: «يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعه ودينه».

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن أخى «هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ نعم كلمة واحدة تعطونيهاتملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم «فقال أبو جهل «نعم وأبيك وعشر كلمات» قال الرسول ﷺ: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه» فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا إن أمرك لعجب ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه.

أى أن المشركين قد يئسوا من الوصول مع الرسول ﷺ إلى حل وسط وأدركوا أنه لن يساوم على العقيدة. وهذه الحادثة تدل دلالة قاطعة على أنه لم يقبل أن يهادن المشركين فى أمور العقيدة ولم يقبل أن يتركهم فى شأنهم بل أصر على استمرار إعلان فساد عقائدهم وأن ما يعبدونه من دون الله باطل وأنهم على ضلال وهذا يدل على أنه لابد للمسلم ألا يساوم على عقيدته وأنه لابد أن يعلن فساد العقائد الأخرى الباطلة.

كما تدل تلك الحادثة على أن قريشا كانت تعرف أن كلمة لا إله إلا الله ليست مجرد كلـمة، ولو كانت مجرد كلمة لقالـوها، بل هى منهج فى التفكير والسلوك، فى العقيدة وأمور الحياة كلها.

وفاة خديجة ووفاة أبى طالب:

فى العام العاشـر من بعثة الرسول ﷺ توفيت السـيدة خديجة رضى الله عنها، ثم توفى بعدها بخمسة وثلاثين يوما أبو طالب عم رسول الله ﷺ.

وقد شعر الرسول بالحزن لذلك لأنـه بموت خديجة قد فقد الزوجة الصالحة التى أعطته الحنـان والحب والتى كانت أول من أسلم وصدق، والتى كانت مـعه فى السراء والضراء، وتعـينه بنفسها ومـالها، وتدافع عنه، وتشير علـيه المشورة الصحيحة إذا ما طلب مشورتـها، ويجد فيها الصدر الحنون الذى يبثه الشكوى ويجد فيه السلوى والراحة.

وبموت أبـى طالب، فقـد الرسول ﷺ، أكـبر وأهم شـخصية قـامت بحمايته ولـم تقبل أن تسلمه إلى المشركين ليقتلوه مهما كان الأمر.

وقد أطلق على هذا العام عام الحزن نظرا لذلك.

* * *

وجدت قريش أن الفرصة مهـيأة لإيذاء رسول الله ﷺ بعد موت أبى طالب الـذى كان يحميـه ويدافع عنه، وبدأت عـملية الإيذاء لـلرسول تظهر من جديد، فـقام سفيه من سفهاء قريش فنـثر على رأس الرسول الكـريم ﷺ الـتراب، ودخـل الرسول ﷺ بـيتـه والتـراب علـى رأسه، فقامـت إحدى بناته وغسـلت التراب عن رأسـه وهى تبكى، فقـال لها

رسول الله ﷺ «لاتبك يابنية فإن الله مـانع أباك» «أى يحميه» ومما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما نالت منى قـريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب».

هجرة الرسول إلى الطائف:

والطائف هى مدينة بالجزيرة العربية قريبة فى موقعها من مكة، وكان يسكنها قوم من العرب يسمون ثـقيفا، وقد اتجه رسول الله ﷺ إليها بعد موت عمه أبى طالب، لـيلتمس نصرتها أو إسلامها بـعد أن اشتد عليه أذى قريـش، ولأنه أحـس أنه مـن الضرورى الانـطلاق بـالدعـوة إلى خارج مكة،لأن الإسلام دعوة للعالمين كلهم، ولأن قريش، مازالت فى معظمها مستمرة على الشرك والـكفر، وبالتالى فمن الضرورى البحث عن قاعدة أخرى لانطلاق الدعوة تكون أكثر أمانا.

خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ومعـه زيد بن حارثة رضى الله عنه، وعندما وصـل إليها ذهب إلى زعمـائها يدعوهم إلى الإسـلام ويطلب منهم النصرة والحماية ، إلا أنهم رفضوا ذلك، فطلب منهم الرسول الله ﷺ أن يكتموا هذا الأمر عن قريش حتـى لا تشمت به قريش، فرفضوا ذلك أيـضا، وحـرضوا عـليـه الغـلمان والـسفـهاء والـعبـيد يـسبـونه ويصيحـون به حتى تجمع الناس عـليه، واضطر أن يخرج مـن الطائف وهم وراءه يطاردونـه ويلقون عليه الأحـجار حتى سالت مـنه الدماء، كما سـالت الدماء من جـسم زيد بن حارثة، اسـتمرت المطاردة بـعيدا خارج الطـائف ، حتى وصـل رسول الله ﷺ وزيد بن حـارثة رضى الله عنه إلـى بستان لعتـبة بن ربيعـة، فرجع عنه الـغلمان والسفـهاء. وكان التـعب والجراح قد بـلغا برسـول الله ﷺ مبلـغا كبيـرا فجلس فـى ظل

شجرة عنب ليستريح، وكان ابنا صاحب البستان ينظران إليه، فلما اطمأن رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة العنب رفع رأسه ودعا الله تعالى بذلك الدعاء المشهور : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى عبد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعندما سمع ابنا صاحب البستان هذا الدعاء من الرسول ﷺ تحركت الشفقة في قلبيهما، فأمرا غلاما يعمل عندهما وكان نصرانيا يدعى عداس بأن يحمل طبقا من العنب إلى الرسول ﷺ ، فلما وضع الغلام العنب بين يدى رسول الله ﷺ، وقال له : كل . مد الرسول ﷺ يده إلى العنب قائلا : بسم الله ثم أكل، فقال الغلام متعجبا: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول ﷺ، ومن أى البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال الغلام نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى قرية بالموصل فقال له الرسول ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى ». فقال الغلام: وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله ﷺ: ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى، فاندفع الغلام على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فلما عاد الغلام إلى صاحبى البستان قالا له : «مالك تقبل رأس هذا

الرجل ويـديه وقدميـه، قال الغلام: يا سـيدى، مافى الأرض خـير من هذا لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى.

ترك رسـول الله ﷺ ومعه زيـد بن حـارثة البـستان واتجـه إلى مـكة، وبينما هو علـى مسيرة يومين من مكة، قام فى جوف الـليل يصلى فى مكان يسمى «نخلة»، وكان يتلو القرآن الكريم فى صلاته فسمعه بعض الجن وهو يتلو القرآن، فأعجبوا بالقرآن الكريم وآمنوا بالرسول ﷺ وقد أخبر الله تعالى الرسول ﷺ بذلك فى آيـات من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن الآيتان :١ , ٢].

اقترب رسول الله ﷺ مـن مكة، وهنا قال له زيد بـن حارثة رضى الله عنـه: كيـف تدخـل علـيهم يـا رسول الله وهـم أخرجـوك ؟. فقـال له الرسـول ﷺ : «يا زيـد إن الله جاعل لمـا ترى فرجـا ومخـرجا، وإن الله ناصر ديـنه ومظهر نـبيه» ثم أرسل الـرسول ﷺ إلى بعض رجـال مكة يطلـب حمايتهم إلا أنـهم رفضوا فأرسل إلـى مطعم بن عدى يـطلب الحماية فوافق مطعم ابن عـدى على ذلك، ودخل الرسول ﷺ مكة فى حمايـته وقد حفظ الرسـول ﷺ هذا الجميل لمطعم بن عدى فقـال بعد معـركة بـدر: «لو كان مـطعم بـن عدى حـيا لوهـبت لـه هؤلاء » أى لأطلقت سـراح الأسرى إكراما له. وكان المسلمون قد أسروا سـبعين رجلا من قريش فى هذه المعركة.

الإسراء والمعراج

حدثت رحلة الإسراء والمعراج فى السابع والعشرين من شهررجب فى السنة العاشرة من الهجرة ذلك أن جبريل عليه السلام جاء إلى الرسول ﷺ وهو نائم فى فراشه فأخذه إلى المسجد الحرام وأركبه دابة تسمى «البراق» وهى دابة سريعة جدا أسرع من الطائرات والصواريخ، فذهب به إلى المسجد الأقصى حيث اجتمع هناك جميع الأنبياءوالمرسلين، فصلى بهم الرسول ﷺ إماما وذلك لأن الرسول هو خاتم الأنبياء والمرسلين والإسلام هوالدين الخاتم وأنه لا دين بعد الإسلام ولا دين مع الإسلام وأنه يجب على أتباع كل الأنبياء والمرسلين من قبل أن يتبعوا الإسلام ويؤمنوا بالرسول محمد ﷺ كما فعل أنبياؤهم وإلا كانوا على ضلال.

ثم عرج بالرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماء وعندما وصل إلى السماء الدنيا رأى آدم أبو البشر فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام واعترف بنبوته.

ثم إلى السماء الثانية، ورأى فيها يحيى بن زكريا وعيسي ابن مريم عليهما السلام فسلم عليهما وردا عليه السلام ورحبا به واعترفا بنبوته.

ثم وصل إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به واعترف بنبوته.

ثم وصل إلى السماء الرابعة فرأى فيهـا إدريس فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به واعترف بنبوته.

ثم وصل إلى السماء الخامسة فرأى هـارون «أخا موسى»فسلم عليه ورحب به واعترف بنبوته.

ثم وصل إلى السماء السادسة فرأى فيـها موسى فسلم عليه ورحب به واعترف بنبوته.

ثم وصل إلى السماء السابعة فوجد فيها إبراهيم فسلم عليه ورحب به واعترف بنبوته.

ثم ذهب إلى سدرة المنـتهى ورفع له البيت المعمـور، ثم عرج به إلى الله تعـالى، فاقـترب منـه حتى كـان قاب قوسـين أو أدنى، فـأوحى الله لرسـوله ماأوحى وفـرض عليه الـصلاة بمواقيـتها وطريـقة أدائها الـتى يعرفها المسلمون الآن والتى يقومون بها إلى الآن.

وقد حدثت الكثـير من الأمور فى تلك الرحلة منـها أنه عرض على الرسول ﷺ إنـاءين أحدهمـا به لبن والآخر به خـمر فشرب مـن اللبن وترك الخمر، فـقال له جبريل ما معـناه هديت إلى الفطـرة أى اهتديت إلى الطريق الصحيح، ولو شربت من الخمر لضلت أمتك.

كمـا رأى الرسول ﷺ الجـنةوالنـار، ورأى فى الجنـة نهران ظـاهران ونهران بـاطنان، والنـهران الظاهـران هما النـيل والفرات ، كـما رأى خازن النار وهو لا يضحك وليس علـى وجهه إلا العبوس وليس عليه بشاشة.

ورأى فى النار أكـلة أموال اليتامى، يـقذفون فى أفواههم بـقطع من النار فتخرج من أدبارهم.

كما رأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يستطيعون أن يتحركوا من شدة كبر هذه البطون.

ورأى بعض الناس أمامهم لحم طيب فيتركونه ويأكلون لحما نتنا وهؤلاء هم الذين يزنون. ورأى بعض النساء معلقات من أثدائهن لأنهم كن يدخلن على أزواجهن من ليسوا من أولادهم.

كما رأى الرسول ﷺ فى رحلة العودة إلى مكة قافلة تجارية من قريش عائدة إلى مكة.

وفى الصباح أخبر الرسول ﷺ قريشا بما حدث فأخذوا يكذبونه، وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس وكانوا يعرفون أنه لم يزره من قبل، فأخذ يصفه لهم وصفا دقيقا لأن الله تعالى جاء ببيت المقدس أمامه وهو جالس فى مكانه مع قريش، ومع ذلك لم تصدقه قريش كما أن الرسول ﷺ أخبرهم بأمر القافلة التجارية وأعطى لهم علاماتها وموعد وصولها وقد صدق فى ذلك ومع ذلك لم تصدقه قريش.

ثم إن بعض قريش ذهب إلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أخبره بما يقول محمد ﷺ من أنه ذهب إلى بيت المقدس وعرج إلى السماء فى جزء من ليلة واحدة، فقال لهم أبو بكر أنه يصدق كل مايقوله محمد ﷺ فسمى أبو بكر لذلك «بالصديق».

الهجرة إلى المدينة

كان من عادة القبائل العربية أن يأتى بعض من أهلها إلى مكة فى أيام معينة من كل عام بهدف زيارة الكعبة، وكان الرسول ﷺ يستغل فرصة وجودالعرب فى مكة فى تلك الأيام من كل عام ويقوم بدعوتهم إلى الإسلام، وقد تكرر ذلك فى كل عام بدءا من السنة الرابعة للنبوة وحتى قبل الهجرة،وفى السنة العاشرة للنبوة، قام الرسول ﷺ بدعوةالعديد من القبائل العربية للإسلام ولكنها رفضت، كما طلب منها تقديم الحماية له إلا أنها رفضت أيضا أو كانت تشترط شروطا يرفضها الرسول ﷺ.

كان الرسول ﷺ يدعو القبائل فى كل عام بصورة جماعية كما يدعو بعض الأفراد من هذه القبائل بصورة فردية، وقد أسلم بعض الأفراد من شتى القبائل إلا أنهم كانوا مجرد أفراد قلائل.

وفى العام الحادى عشرللنبوة فعل الرسول ﷺ كما يفعل كل عام دون جدوى، وبينما هو فى منطقة تسمى «عقبة منى» وجد ستة من أهل يثرب «المدينة» فذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأجابوا الرسول ﷺ وأسلموا، وقالوا لبعضهم بعضا لعل هذا الرسول يكون طريقا إلى وقف العداوة بين قبائل المدينة، وكانت العداوة والحرب مشتعلة بين قبيلتى الأوس والخزرج فى المدينة المنورة.

رجع هؤلاء الستة إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام بين أهل المدينة فأسلم عدد كبير من أهل المدينة على أيديهم،وكان هؤلاء الستة هم أسعد بن زرارة، عوف ابن الحارث، رافع بن مالك، قطبة بن عامر، عقبة بن عامر، جابر بن عبدالله.

بيعة العقبة الأولى:

وفى العام التالى، أى فى العام الثانى عشر للنبوة، جاء إلى مكة اثنا عشر رجلا من أهل المدينة الذين كانوا قد أسلموا، واتصلوا بالرسول ﷺ وبايعوه على عدم الشرك بالله وعلى عدم السرقة أو الزنا أو الكذب وعدم قتل الأولاد وعلى الطاعة فى المعروف، وسميت تلك البيعة بيعة العقبة الأولى وهى لم تشتمل على مبدأ الحرب والجهاد والقتال، وكان هؤلاء المبايعون من قبيلتى الأوس والخزرج، إلا أن معظمهم كان من الخزرج.

وبعد أن تمت البيعة، وأراد هؤلاء الرجوع إلى المدينة أرسل الرسول ﷺ معهم رجلا من الصحابة هو مصعب بن عمير ليقوم بتعليمهم مبادئ الإسلام الحنيف، ولما وصل هؤلاءإلى المدينة ومعهم مصعب بن عمير أخذوا يدعون أهل المدينة إلى الإسلام واستجاب عدد كبير من أهل المدينة وأسلم الكثير من الرجال والنساء.

بيعة العقبة الثانية:

وفى العام الذى بعده، أى فى العام الثالث عشر للنبوة، عاد مصعب ابن عميرإلى مكة وأخبر الرسول ﷺ وبشره بإسلام عدد كبير من أهل المدينة، وكان عدد من أهل المدينة من المشركين ومن المسلمين على

السواء قد جاءوا إلى مكة بغرض زيارة الكعبة وكان من بينهم أكثر من سبعين مسلما. واتصل هؤلاء المسلمون بالرسول ﷺ بصورة سرية واتفقوا معه على موعد معين للقاء عند العقبة وفى الموعد المحدد تسلل هؤلاء المسلمون دون أن يشعر بهم باقى أهل المدينة الذين كانوامعهم، وذهبوا بعد أن نام الباقون إلى المكان المحدد للقاء وفى العقبة، والتقوا بالرسول ﷺ وبايعوه على عدد من الأمور الإسلامية ومن بينها الحرب والقتال والجهاد، ولذلك سميت هذه البيعة بيعة الحرب وكان عدد هؤلاء الذين بايعوا الرسول ﷺ فى ذلك اليوم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين.

وبعد أن تمت البيعة طلب الرسول ﷺ منهم أن ينتخبوا من بينهم اثنى عشر نقيبا «زعيما أو رئيساً» ليكونوامسئولين أمامه عن تنفيذ بنود هذه البيعة وشروطها، فقام هؤلاء باختيار اثنى عشر نقيبا من بينهم فأخذ الرسول من هؤلاءالنقباء ميثاقا وعهدا بصفتهم رؤساء ومسئولين عن الباقين.

وبعد ذلك عاد هؤلاء القوم إلى باقى أهل المدينة وناموا معهم وكأن شيئا لم يكن.

وعندما علمت قريش بالأمر فى اليوم الثانى عن طريق أحد الشياطين ذهبوا إلى المكان الذى يقيم أهل المدينة فيه واحتجوا عليهم ولم يكن هؤلاء يعلمون شيئا عن تلك البيعة إلا المسلمين منهم بالطبع، فأنكر هؤلاء ذلك، ونظر المسلمون منهم إلى بعضهم بعضا واستمروا صامتين ولم يتكلموا.

وبعد ذلك تأكدت قريش من صحة هذا الخبر، إلا أن أهل المدينة

كانوا قد رحلوا عن مكة، وسارع عددمن فرسان قريش للحاق بهم إلا أنهم لم يلحقوا بهم ، ولكن استطاع هؤلاء الفرسان أن يروا كلا من سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وكانا متأخرين بعض الشئ عن قومهما، فقاموا بمطاردتهما ونجح المنذر بن عمرو فى الهرب إلا أن سعد بن عبادة وقع فى أيدى فرسان قريش فقاموا بتقييده والعودة به إلى مكة وأخذوا يضربونه ضربا شديداً، إلى أن جاء كل من المطعم بن عدى والحارث بن حرب فخلصاه من أيديهم، لأن سعد بن عبادة كان يحمى لهما تجارتهما عندما تمر بالمدينة، وأخيرا استطاع سعد بن عبادة أن يلحق بقومه، وكان أهل المدينة يفكرون فى الرجوع لتخليصه من أيدى قريش إلا أنه وصل إليهم قبل الرجوع وانطلق الجميع إلى المدينة.

وبدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة الواحد بعد الآخر حتى لم يبق بمكة إلا عدد قليل جدا من المسلمين مثل الرسول ﷺ وأبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وبعض الضعفاء والمرضى الذين لا يستطيعون الهجرة.

وكان المسلمون يهاجرون سرا خوفا من بطش قريش بهم إلا عمر ابن الخطاب ، فعندما أراد أن يهاجر أعلن هذا الأمر فى قريش، وقال لهم مامعناه: «من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليتبعنى خلف هذا الوادى» أى من أراد أن يموت أو يقتل فتصبح أمه ثكلى وزوجته أرملة وابنه يتيما فليحاول منع عمر عن الهجرة.

كانت الهجرة عملا عظيما لأن المهاجرين المسلمين قد ضحوا بديارهم وأموالهم وأوطانهم فى سبيل الله، لأن الإسلام أهم من المال

والوطن والأولاد، ويحكى أن صهيبا الرومى رضى الله عنه عندما أراد أن يهاجر وعلمت قريش بذلك جاءوا إليه وقالوا له إن أردت أن تهاجر فاترك كل أموالك لنا، ووافق صهيب على الفور وترك لهم كل أمواله واختار الهجرة وفضلها على المال، وعندما علم رسول الله ﷺ قال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

هجرة الرسول ﷺ:

أحست قريش أن هجرة المسلمين إلى المدينة وإسلام عدد كبير من أهل المدينة معناه أن الإسلام أصبح له قاعدة قوية يستطيع أن ينطلق منها إلى كل مكان وأنه من الصعب بعد ذلك القضاء على الإسلام، كما أحسوا بالخطر على أنفسهم من ذلك كله، واجتمعت قريش فى مكان مخصص لاجتماعاتها يسمى دار الندوة فى يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة وأخذت تتشاور فيما بينها فى حل هذه المشكلة، وجاء إليهم «إبليس» اللعين فى صورة رجل من نجد وسمحوا له بالاجتماع معهم.

وأخذا يتداولون الرأى فيما بينهم، فقال أحدهم علينا أن نطرده من مكة، إلا أن إبليس الذى جاء فى صورة رجل من نجد قال لهم إن ذلك معناه أن يذهب إلى مكان آخر فيدعو فيه إلى الإسلام فيؤمن الناس به لأنه يمتلك حجة قوية ومنطقا عظيما، ثم يأتى إليكم فى قوة عظيمة ويقاتلكم فى مكة وينتصر عليكم. فاقترح رجل آخر أن يقوموا بحبس الرسول ﷺ ولكن إبليس اعترض أيضا على هذا الرأى وقال إنه سوف يجد وسيلة للاتصال بأصحابه ويستطيع مع أصحابه فى النهاية أن ينتصر عليكم.

ثم اقترح أبو جهل أن يأخذوا من كل قبيلة شابا قويا له حسب ونسب ثم يعطوا كل واحد من هؤلاء الشباب سيفا بتاراً ويذهب هؤلاء الشباب بسيوفهم إلى محمد ويضربوه جميعا مرة واحدة فيقتلوه، وبذلك يتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع أقاربه أن يأخذوا بثأره لأنهم لا يستطيعون محاربة كل القبائل، فيضطرون إلى قبول ديته، فنعطيها لهم وبذلك نستريح منه.

وقال إبليس أن هذا الرأى رأى سديد وصحيح ووافق المجتمعون فى دار الندوة على هذا الرأى واستعدوا لتنفيذه فوراً.

وجاء جبريل عليه السلام فأخبر الرسول ﷺ بالأمر وأمره أن يهاجر إلى المدينة.

وانطلق الرسول ﷺ إلى بيت أبى بكر فى ساعة الظهيرة وكان الجو شديد الحرارة، وكان أهل مكة فى ذلك الوقت لا يخرجون من بيوتهم خوفا من الحر الشديد، فلما علم أبو بكر بمجئ الرسول ﷺ فى هذا الوقت أحس أن الأمر خطير، لأن الرسول ﷺ لم يكن متعودا أن يذهب إلى بيت أبى بكر فى مثل هذا الوقت، وقد اختار الرسول وقت الظهيرة حتى لا يراه أحد من قريش.

وأخبر رسول الله ﷺ أبا بكر بالأمر، ففرح أبو بكر فرحا شديدا حتى بكى من شدة الفرح، لأنه سيكون رفيق الرسول ﷺ فى رحلة الهجرة، وكان أبو بكر من قبل كلما استأذن الرسول ﷺ فى الهجرة، منعه من ذلك وكان أبو بكر يتمنى أن يكون الرسول رفيقه فى الهجرة وقد تحقق له هذا الأمل، وكان أبو بكر قد استعد لذلك اليوم واشترى دابتين وأخذ يعلفهما فى انتظار يوم الهجرة.

واتفق الرسول ﷺ مع أبى بكر على خطة الهجرة ثم عاد إلى منزله.

تجمع شباب قريش حول منزل الرسول ﷺ وكل منهم يحمل سيفا قاطعا بانتظار ساعة الصفر لينقضوا على الرسول ﷺ مرة واحدة فيقتلوه، إلا أن الرسول ﷺ خرج من منزله ليلا واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من التراب فألقاها على رؤوسهم، وكان الرسول ، يتلو سورة يس حتى قوله تعالى «فأغشيناهم فهم لا يبصرون» ومر الرسول من بينهم دون أن يراه أحد منهم لأن الله أعمى أبصارهم فى تلك اللحظة فلم يبصروا شيئا.

وكان فى فراش الرسول ﷺ فى ذلك الوقت على بن أبى طالب رضى الله عنه، حيث كان الرسول ﷺ قد أمره بأن ينام فى فراشه ويتغطى بغطائه الأخضر، حتى إذا نظر المشركون إلى الفراش ظنوا أن الرسول ﷺ ما يزال نائما، وقد نفذ على بن أبى طالب هذا الأمر برغم خطورة ذلك على حياته لأنه كان يحب الله ورسوله حبا شديدا.

ظل المشركون الذين كانوا يحاصرون منزل الرسول ﷺ فى مكانهم وهم لايعرفون أن الرسول ﷺ قد خرج من المنزل، وجاء إليهم رجل من قريش فقال لهم: ماذا تنتظرون؟ قالوا ننتظر محمدا. قال خبتم وخسرتم، لقد مر بكم وألقى على رؤوسكم التراب، فأخذوا يتحسسون رؤوسهم فإذا عليها تراب، فتطلعوا من الباب إلى فراش الرسول ﷺ فوجدوا فيه شخصا نائما ومغطى بغطاء أخضر فظنوه الرسول، ولكنه كان على بن أبى طالب، وفى الصباح قام على من الفراش فلما رأوه شعروا بالخيبة وسألوه عن الرسول فقال لهم لا علم لى به.

عندما خرج الرسول ﷺ فى تلك الليلة من داره، واخترق المشركين المحاصرين لمنزله دون أن يروه، ذهب إلى بيت أبى بكر الصديق وفقا للخطة التى اتفقا عليها، وهناك وجد أبو بكر الصديق ينتظر فخرج الاثنان من الباب الخلفى فى بيت أبى بكر الصديق حتى لا يراهما أحد، واتجها إلى الجنوب حتى وصلا إلى غار على بعد خمسة أميال من مكة يسمى غار ثور فاختبآ فيه ثلاثة أيام.

وقد فعل الرسول ﷺ ذلك لعدة أسباب أولها: أن المدينة كانت تقع إلى الشمال ومع ذلك اتجه الرسول جنوبا حتى إذا علمت قريش بالخبر اندفعت تبحث فى اتجاه الشمال لأنها كانت تتوقع أن يذهب الرسول إلى المدينة وبذلك يكون الرسول قد كسب الوقت ليصل إلى غار ثور فيختبئ فيه مع أبو بكر، وثانيهما: أن قريش كانت لابد ستفتش تفتيشا شديدا فى اتجاه المدينة ثم فى كل مكان للبحث عن محمد وصاحبه، ولذلك قرر الرسول ﷺ الاختفاء فى غار ثور ثلاثة أيام حتى تهدأ عملية البحث وتيأس قريش من البحث عنهما فينطلقا بعد ذلك إلى طريقهما.

وكان الرسول ﷺ قد أعد خطة عظيمة لخداع قريش وتأمين عملية الهجرة، ذلك أنه أثناء وجود الرسول وأبى بكر فى غار ثور كان عبدالله ابن أبى بكر يأتى إليهما ليلا فيخبرهما بأخبار قريش، كان عامر بن فهيرة وهو رجل كان يعمل عند أبى بكر الصديق فى رعى الغنم يقوم برعى الأغنام فى الطريق بين مكة وغار ثور حتى يخفى آثار أقدام عبدالله بن أبى بكر فى الذهاب والرجوع كل يوم، وفى نفس الوقت

كان يذهب إلى الرسول وأبى بكر بالغنم ليحلب لهما اللبن فيشربا أو يذبح لهما إحداها فيأكلا.

كان أبو بكر الصديق يحب الرسول ﷺ حبا شديدا فحمل الرسول ﷺ حين بلغ الجبل الذى فيه الغار حتى لا يصاب الرسول بالأذى فى قدميه من الأحجار لأن الطريق كان طريقا وعرا «صعبا» وكذلك فإن أبا بكر دخل إلى الغار أولا ونظفه حتى لا يصاب الرسول بلدغة من الحشرات أوغيرها ثم دخل الرسول ﷺ إلى الغار ونام ووضع رأسه على حجر أبو بكر، ولدغت إحدى الحشرات أبو بكر فى رجله فلم يتحرك حتى لا يوقظ الرسول ﷺ وتحمل أبو بكر الألم، حتى سقطت دموعه على وجه الرسول ﷺ ، فقال الرسول: مالك يا أبا بكر؟ قال: لدغت أى عضتنى حشرة فداك أبى وأمى فتفل الرسول على رجله فذهب الألم على الفور.

وعندما علمت قريش بالخبر - جن جنونها وطار صوابها وأخذت على بن أبى طالب وحبسته فى الكعبة وأخذت تضربه وتسأله عن مكان الرسول ﷺ ولكن عليا رفض أن يعترف بشئ. وكان الرسول ﷺ قد أمر عليا أن ينام فى فراشه وأن يظل بمكة ثلاثة أيام حتى يؤدى الودائع التى كان الناس قد أودعوها عند الرسول ﷺ إلى أهلها، ثم يلحق به بعد ذلك إلى المدينة.

وانتشر الناس فى كل مكان يبحثون عن محمد وصاحبه طمعا فى المكافأة وقد وصل بعضهم بالفعل إلى غار ثور، ولو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى الرسول ﷺ وأبا بكر، ولكن الله جعلهم فى غفلة عن هذا، وكان أبو بكر كلما رأى ذلك يشعر بالخوف فيطمئنه الرسول ﷺ

ويقول له: «لاتحزن إن الله معنا» أو يقول له اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما.

وبعد أن قضى الرسول وأبو بكر ثلاثة أيام فى غار ثور وهدأت عملية البحث عنهما بعد أن يئست قريش من العثور عليهما، جاء إليهما فى الغار رجل يسمى عبدالله بن أريقط، وهو رجل مشرك ولكنه كان يكتم السر، وكان الرسول وأبو بكر قد استأجراه من قبل ليدلهما على الطريق وأعطياه الدابتين واتفقا معه على أن يأتى إليهمافى غار ثور بعد ثلاثة أيام، وقد جاء الرجل فى الموعد المحدد ومعه الدابتان على حسب الاتفاق، كما جاءت أسماء بنت أبى بكر لهما بالزاد فلما وصلت إليهما اكتشفت أنها لم تربط الزاد، فخلعت نطاقها «الرباط الذى تربط به المرأة وسطها» وقطعته إلى قطعتين فربطت بإحداهما الزاد وربطت الآخرحول وسطها ولذلك سميت أسماء بنت أبى بكر بذات النطاقين.

وركب كل من الرسول ﷺ وأبو بكر دابته، وكان معهما كل من عبدالله بن أريقط ليدلهما على الطريق، وعامر بن فهيرة وهو رجل كان يرعى الغنم عند أبى بكر، واتجه الجميع إلى الطريق، وقد اختاروا طريقا لا يسير فيه الناس وغير معروف للكثير من الناس حتى يضمنوا عدم وصول قريش إليهم.

وفى الطريق رآهم رجل من بنى مدلج، وعرف أنهم محمد وأصحابه فعاد مسرعا إلى قومه وأخبرهم بذلك، وكان من ضمن هؤلاء القوم رجل يسمى سراقة بن مالك، فلما سمع سراقة بذلك أراد أن يأخذ الجائزة التى أعلنت عنها قريش وحده، فقال للرجل أنهم

ليسوا محمدا وأصحابه بل قوما آخرين وأنه رأى هؤلاء الآخرين يسيرون فى هذا الاتجاه للبحث عن شئ ضاع منهم، ثم استمر سراقة جالسا مع قومه بعض الوقت حتى لا يلفت نظرهم، ثم قام وركب فرسه وانطلق فى الطريق وهو يحدث نفسه بالحصول على جائزة قريش واستطاع بالفعل أن يصل إلى مقربة من الرسول ﷺ وأصحابه، إلا أن الفرس التى كان يركبها سقطت على الأرض وسقط من فوقها سراقة، فقام سراقة وضربها وركبها مرة ثانية واقترب من الرسول حتى إنه كان يسمع قراءته للقرآن إلا أن فرسه سقطت مرة أخرى وانغرزت قدماها الأماميتان فى الأرض حتى الركبتين ، فقام سراقة وضربها حتى نهضت فلم تكد تقوم حتى ارتفع غبار كالدخان فى السماء، فعرف سراقة حينئذ أن الله يحمى محمدا وأصحابه وأنه لا فائدة ولا يمكن أن يصل إليهم، ثم شعر بخوف شديد، فطلب من الرسول ﷺ أن يعطيه الأمان فأعطاه الرسول ﷺ الأمان، فركب سراقة فرسه ولحق بالرسول وأصحابه، وعرض عليهم الزاد فرفض الرسول ذلك وطلب منه أن يكتم الأمر وأن يضلل قريش فعاد سراقة إلى قريش وأخذ يخدعها ويقول لها إن الرسول ﷺ وأصحابه فى جهة أخرى غير الطريق الذى كانوا يسيرون فيه.

وفى الطريق إلى المدينة مر الرسول وأصحابه بخيمة امرأة تسمى أم معبد فسألوها أن تعطيهم شيئا من الطعام فقالت لهم إنه لا طعام عندها والغنم ليس بها لبن، فنظر الرسول ﷺ إلى شاة فى طرف الخيمة، وكانت شاة ضعيفة هزيلة، وطلب من أم معبد أن تحلبها فتعجبت المرأة وهى تعرف أنه ليس فى الشاة لبن، ثم أخذ الرسول

الشاة ومسح بيده على ضرعها وسمى الله ودعا فإذا بضرع الشاة يمتلأ باللبن، فحلبها الرسول ﷺ فى إناء حتى امتلأ الإناء فسقى أم معبدحتى شبعت ثم سقى أصحابه حتى شبعوا ثم شرب هو أيضا حتى شبع، ثم حلب نفس الشاة مرة أخرى حتى امتلأ الإناء، ثم ترك الإناء لأم معبد وسار مع أصحابه فى طريقهم. ولما عاد زوج أم معبد تعجب من وجود اللبن وسأل امرأته فحكت له ما حدث فعرف أن رسول الله ﷺ قد مر بمنزلهم.

* * *

وفى الطريق أيضا التقى الرسول ﷺ برجل يسمى أبا بريدة وكان رئيسا لقومه، وقد خرج ليبحث عن الرسول لعله يفوز بالجائزة التى أعلنت عنها قريش، فلما واجه الرسول وتحدث معه، انشرح صدره إلى الإسلام، وأسلم جميع قومه، وكان هذا الأمر خيرا كثيرا للمسلمين لأن أبا بريدة وقومه أصبحوا نقطة استطلاع بين مكة والمدينة، ويقومون بنقل أخبار قريش إلى الرسول ﷺ بالمدينة.

الرسول ﷺ يصل إلى المدينة
أيام فى المدينة

لما علم أهل المدينة بنبأ خروج الرسول ﷺ من مكة قاصدا المدينة، كانوا يخرجون فى كل يوم بعد صلاة الصبح إلى خارج المدينة ينتظرون وصول الرسول ﷺ وكانوا لايتركون مكانهم حتى تشتد حرارة الشمس ولا يجدون شيئا يستظلون به،حتى إذا كان يوم وصول الرسول ﷺ خرج أهل المدينة كما كانوا يخرجون وانتظروا كما كانوا ينتظرون حتى إذا اشتدت الشمس عادوا إلى المدينة ودخلواإلى بيوتهم، وعندما وصل الرسول ﷺ رآه أحد سكان المدينة من غير المسلمين وكان يهوديا، فصرخ بأعلى صوته يابنى قيلة «أى يا أهل الأوس والخزرج لهم وجدة كانت تسمى قيلة هذا جدكم قد جاء، يقصد قد جاء الرسول ﷺ ، ومعنى الجد هنا هو الحظ أى أن هدفكم قد وصل،فتدافع أهل المدينة إلى خارجها ليستقبلوا الرسول ﷺ وكان معه أبوبكر الصديق رضى الله عنه، وكان أكثر أهل المدينة لم ير الرسول ﷺ من قبل، وقد عرف هؤلاء الرسول عندما قام أبو بكربفرد ثوبه عليه حتى يظلله من الشمس، وهنا ازدحم الناس على الرسول ﷺ، وبعد ذلك نزل رسول الله ﷺ فى بيت خارج المدينة فى منطقة تسمى قباء وكان ذلك يوم الأثنين الموافق ١٠ من ربيع الأول فى العام الأول للهجرة. وهو بيت كلثوم بن هند وهو من سكان قباء واستقر رسول

الله ﷺ فى قباء أربعة أيام هى الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فى شهر ربيع الأول من العام الهجرى الأول وأسس بها مسجدا هو مسجد قباء، وقد لحق به على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قباء ونزل معه فى بيت كلثوم بن هند وكان على رضى الله عنه قد تخلف فى مكة ثلاثة أيام حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس بمكة.

وفى يوم الجمعة خرج رسول الله ﷺ من قباء واتجه إلى المدينة فلما جاء وقت الصلاة، وكان رسول الله ﷺ فى ذلك الوقت فى منطقة مملوكة لبنى سالم فى بطن واد يسمى رانوناء، فأدى الرسول ﷺ الصلاة وأداها معه بنو سالم وغيرهم ممن كان موجودا مع الرسول ﷺ، ثم انطلق رسول الله ﷺ فى داخل المدينة وكان يركب ناقة، وكان كلما مر بقوم من أهل المدينة أمسكوا بزمام الناقة وطلبوا من الرسول أن ينزل عندهم إلا أن رسول الله ﷺ كان يقول لهم «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، أى اتركوهافإن الله تعالى قد أمرها بالمكان الذى تنزل فيه، واستمرت الناقة تسير حتى وصلت إلى مكان معين فبركت فيه ثم قامت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت فى نفس المكان، فنزل عنها رسول الله ﷺ وكان ذلك فى أرض مملوكة لفلاحين يتيمين من بنى النجار، وكان اليتيمان فى كفالة معاذ ابن عفراء، فاشترى رسول الله ﷺ تلك الأرض بثمن كبير ورفض أن يأخذها هدية، وكان الكفيل الذى يكفل الطفلين قد عرضها هدية على الرسول وكذلك عرضها اليتيمان عليه هدية إلا أنه رفض، ثم قام الرسول ﷺ ببناء مسجد المدينة - وهو مسجد الرسول ﷺ فى ذلك المكان، وكان يعمل فيه بنفسه مع المهاجرين والأنصار فكان بذلك أول عمل قام به الرسول فى المدينة هو بناء المسجد، لأن للمسجد دورا هاما فى المجتمع الإسلامى، فالمسجد

هو محور ومركز الحياة ففيه تؤدى الصلوات وفيه يتم تدارس العلم، وفيه يجتمع المسلمون لاتخاذ قرارات الحرب والسلم وإدارة شئون المجتمع .

وكان أهل المدينة قد استقبلوا الرسول ﷺ استقبالا عظيما بمجرد وصوله إلى المدينة،حتى أن جوارى الأنصار كن يضر بن بالدفوف وينشدن:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا ياخير داع

استقر الرسول ﷺ بالمدينة، وأتم بناء المسجد وبنى لنفسه بيوتا بجانب المسجد، واستمر أهل المدينة يدخلون فى الإسلام حتى أسلم معظم أهل المدينة، إلا أنه بقى بها بعض الناس لم يسلموا، كما كان بالمدينة عدد من قبائل اليهود ولم تسلم تلك القبائل اليهودية، وهكذا كان بالمدينة فى ذلك الوقت المسلمون من المهاجرين، والأنصار وعدد من أهل المدينة غير المسلمين، وكذلك اليهود، وقام الرسول بكتابة عهد ينظم العلاقات والحقوق والواجبات بين هؤلاء جميعا، وكان هذا العهد يشبه ما يسمى الدستور حاليا، وكان طويلا ومكتوبا وقد دخل فيه المهاجرون والأنصار واليهود إلا أن اليهود خانوا العهد بعد ذلك.

ثم قام الرسول ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وقال: «تآخوا فى الله أخوين أخوين» ، وقد نفذ المسلمون هذه المؤاخاة تنفيذا يدل على مدى تضحيتهم فى سبيل الله وحبهم للإسلام ولإخوانهم أكثر من أنفسهم، حتى إن الواحد منهم كان يعرض على

أخيه المسلم نصف ماله ويعرض عليه أفضل زوجتيه ليطلقها فيتزوجها أخوه المسلم بعد انقضاء العدة .ومما يحكى فى هذا الأمر أن الرسول ﷺ كان قد آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع إنى أكثر الأنصار مالا فاقسم مالى نصفين، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لى، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبدالرحمن بن عوف: «بارك الله لك فى أهلك ومالك ، وأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع» فذهب فباع واشترى وحصل على رزقه حتى صار فيما بعد من أغنى المسلمين.

وهكذا أقام رسول الله ﷺ الدعائم القوية لهذا المجتمع الإسلامى الوليد ليصبح قاعدة ينتشر منها الإسلام إلى كل بقاع الأرض.

الأذان:

كان المسلمون فى المدينة يجتمعون إلى الصلاة فى مواعيدها بغير دعوة أو أذان أوغيرها وفكر الرسول ﷺ أن يتخذ بوقا أو ناقوسا للنداء على الصلاة وإعلان وقتها، إلا أن أحد الأنصار وهو عبدالله بن زيد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له إنه رأى فى المنام رجلا عليه ثوب أخضر يحمل ناقوسا فى يده فقال له: أتبيع هذا الناقوس، فقال الرجل: وما تصنع به؟، قال عبدالله: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك قال عبدالله: وماهو؟ قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهدألا إله إلا الله، أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فقال له رسول الله ﷺ «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقهاعليه فليؤذن بها، فإنه أندى» «أى أحلى منك صوتا».

فلما أذن بـها بلال بن رباح رضى الله عنـه سمعها عمـر بن الخطاب رضى الله عنه وهوفى بيته، فخـرج إلى رسول اللهﷺ مسرعا وهو يقول: «يا نبى الله والذى بعثك بالحق لـقد رأيت مثل الذى رأى » فقال رسول الله ﷺ «فلله الحمدعلى ذلك».

المشركون يدبرون الفتن والمؤامرات

شعر المشركون مـن أهل المدينة بالغيظ بعد أن استـقر الأمر للرسول ﷺ بالمدينة، وأصبح قائدها وزعيمها، وكان على رأس هؤلاء المشركين عبدالله بن سلول، وكان يحقد على الرسول ﷺ لأنه أصبح زعيما على المدينة وكان عبدالله بـن أبى سلول يعد نفسه ليكون زعيـما على المدينة وكـان أهل المـديـنة قـبـل الدخـول فـى الإسلام وهـجـرة الرسـولﷺ وصحابته إلى المدينة يستعدون لتنصيب عبدالله بن أبى رئيسا عليهم.

وكانت قريش قد أرسلت إلى عبدالله بـن سلول تهدد بالزحف على المدينة وقتل رجالـها واستباحة نسائها، وعرف أهل المديـنة هذا التهديد وانتشر خبـره بينهم وخافواعلـى أنفسهم، واستغل عـبدالله بن أبى هذه الفرصة، وقال لقـومه: إن وجود الإسلام والرسول ﷺ بالمدينة يـجعلها عرضة لـلهجوم مـن قريش، ويعرضـنا للمـتاعب وإنه لابـد من إعلان الحرب على الرسول والمسلمين وطرد الرسول من المدينة، ونجح عبدالله ابن أبى فى جمع المشركين من أهل المديـنة لقتال المسلمين وكادت تقع معركة بيـن المشركين من المدينـة وبين المسلمين فـيها، إلا أن رسول الله ﷺ استطاع بـحكمته أن يهـدئ الخواطر الثائرة وأن يـنزع فتيل الفـتنة، وأن يمنع وقوع الحرب، وكانت هذه حكمـة بالغة من الرسول وسياسة عظيـمة حتى يتـفرغ المسلمـون لمواجهة الخـطر الأكبر وهو قـريش، ثم

طلب سعد بن عبادة وكان مسلما من الأنصار من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عبدالله بن أبى، فعفا الرسول ﷺ عنه.

ولم يقتصر الأمر على هذه الحادثة وحدها، فقد حدث العديد من حوادث الفتنة فى المدينة، على مراحل وأوقات مختلفة، ففى إحدى هذه المرات، مر أحد المشركين وهو شاس ابن قيس وكان رجلا كبير السن شديد المكر وكان يكره الإسلام، ووجد أن أهل المدينة من قبيلتى الأوس والخزرج قد جلسوا مع بعضهم البعض يتحدثون وقد امتلأت قلوبهم بحب بعضهم بعضا والتجمع على الإسلام، وكانوا من قبل فى عداوة وشقاق ومعارك، وقد تناسوا العداوة بفضل الإسلام وبفضل رسول الله ﷺ الذى استطاع أن بجمعهم على الإسلام والإيمان والأخوة والحب فى الله .

وأراد هذا الرجل المشرك أن يوقع الفتنة بين هؤلاء، فأمر شابا من يهود المدينة وكان يسير معه أن يجلس معهم ثم يحدثهم ويذكرهم بأمر العداوة القديمة، وخاصة معركة كباش وهى معركة كانت قد وقعت بين الأوس والخزرج، فى ذلك اليوم، وفعل الشاب اليهودى ذلك، ونجح فى أن يثير الحماسة فى نفوس هؤلاء القوم، وكادت تقع معركة بين الأوس والخزرج، إلا أن رسول الله ﷺ عندما علم بالخبر أسرع إليهم وأطفأ الفتنة بحكمته وذكائه وقال لهم : «يامعشر المسلمين الله..الله».. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم الجاهلية، واستنقذكم بها من الكفر وألف بين قلوبكم».

فلما سمع القوم هذا الكلام، عرفوا أن الشيطان قد أوقع بينهم وندموا على ذلك وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا إخوة متحابين مع رسول الله ﷺ .

معركة بدر

نجح الرسول ﷺ فى فترة قصيرةأن يثبت أركان الإسلام فى المدينة، وأن يقضى على كل عوامل الفتنة والمؤامرات داخل المدينة وكان هذا يغيظ المشركين عامة وقريش خاصة، وكان من الطبيعى أن تفكر قوى الشرك فى عمل شئ للقضاء على هذا المركز الإسلامى العظيم الذى نشأ فى المدينة، ولكن رسول الله ﷺ الذى يتحرك بهدى من الله والذى أعطاه الله الحكمة والذكاء وحسن السياسة اتبع سياسة هجومية فى مواجهة ذلك، وكان مستعدا دائما لأى معركة قد تنشب فجأة، وكان يؤمن بأن خير وسائل الدفاع هو الهجوم، وكان جميع المسلمين فى المدينة فى ذلك الوقت من مهاجرين وأنصار قد تطوعوا للقتال وكانوا ينامون والسلاح بأيديهم خوفا من أى هجوم مفاجئ من المشركين على المدينة، وكان الرسول ﷺ يأمر المسلمين بأن يخرج عدد منهم فى عمليات حربية أو استطلاعيةصغيرة من وقت إلى آخر، حتى يشعر المشركون من حول المدينة ويشعر أهل قريش أن المسلمين فى حالة يقظة بل وقادرون على الهجوم والقتال، فيؤدى ذلك إلى منعهم من التفكيرفى الهجوم على المدينة، ويجعلهم فى حالة دفاع، وقد قام المسلمون فى تلك الفترة أى فى الفترة منذ شهر صفر فى العام الثانى للهجرة وحتى نهاية رجب من العام نفسه أى حوالى ستة شهور قاموا بتنفيذ ثمانى طلعات وعمليات صغيرة تسمى سرايا، وكانت سبع منها

لاعتراض قوافل قريش أما الثامنة فكانت ردا على هجوم قام به كرز ابن جابر الفهرى وكان قادة كل هذه السرايا من المهاجرين. وقد بدأت هذه السرايا فى شهر صفر من العام الثانى للهجرة أى بعد حوالى ١١ شهرا من الهجرة، وهى غزوة «الإبواء»، وكان رسول الله ﷺ يريد بها قريشا وكذلك قبيلة بنى ضمرة، ثم تصالحت معه بنى ضمرة ثم رجع الرسول ﷺ إلى المدينة ولم يحدث قتال.

ثم أرسل الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث بن عبد مناف على رأس ستين أو ثمانين فارسا من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ منطقة تسمى «ثنية المرة» فلقى بها عددا كبيرا من قريش إلا أنه لم يقع قتال بين الطرفين فيما عد أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ يسهم فكان أول سهم رمى به فى الإسلام، ثم انصرفت قريش وانصرف المسلمون، وقد أحست قريش وغيرها بأن للمسلمين قوة وشوكة.

ثم بعث رسول الله ﷺ بعد ذلك حمزة بن عبدالمطلب على رأس ثلاثين فارسا من المهاجرين إلى شاطئ البحر فى منطقة تسمى «العيص» ولقى هناك أبا جهل بن هشام ومعه ثلاثمائة مقاتل من أهل مكة إلا أن مجدى بن عمرو الجهنى، وكان فى سلام مع الطرفين قام بالحجز بينهما، فانصرف كل منهما عن بعضه بعضا ولم يحدث قتال.

ثم قاد رسول الله ﷺ بنفسه عددا من المسلمين فى شهر ربيع الأول للعام الثانى للهجرة يريد قافلة لقريش حتى بلغ منطقة تسمى «بواط» وهى جبل بالقرب من مدينة ينبع، إلا إن الرسول ﷺ رجع إلى المدينة دون قتال وتسمى تلك الغزوة غزوة «بواط». وفى جمادى الأول عام

اثنين هجرية قاد رسول الله ﷺ عددا من المسلمين مرة أخرى يريد قافلة لقريش، وقد مر الرسول أثناء تلك السرية على الكثير من المواقع واستمرت تلك السرية حوالى الشهر وتصالح فيها مع «مدلج وحلفائهم من بنى ضمرة».

ثم رجع إلى المدينة ولم يحدث قتال وتسمى تلك الغزوة بالعشيرة. وكان الرسول قد بعث فى نفس الوقت سرية مكونة من ثمانية من المقاتلين المسلمين تحت قيادة سعد بن أبى وقاص، وقد وصل بها سعد إلى منطقة تسمى «الخرار» من أرض الحجاز، ولم يحدث قتال وعاد سعد إلى المدينة.

وعندما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد غزوة العشيرة، واستقر بها أقل من عشرة أيام، قام أحد الأعراب ويسمى كرز بن جابر الفهرى بالإغارة على «سرح المدينة» أى على المكان الذى «ترعى فيه إبل المدينة ومواشيها » فخرج رسول الله ﷺ ليطارده واستمرت المطاردة حتى بلغ واديا يسمى وادى سفوان بالقرب من ماء بدر، إلا أن الرسول ﷺ لم يلحق به فرجع إلى المدينة، وتسمى هذه الغزوة غزوة سفوان أوغزوة بدرالأولى.

وفى شهر رجب عام اثنين من الهجرة بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش على رأس ثمانية من المهاجرين، وكتب له كتابا وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير يومين وأمره ألا يكره أصحابه على شئ فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب «أى الخطاب» فنظر فيه فوجد فيه «إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى ينزل «نخلة» بين مكة والطائف فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارهم».

ولما علم عبدالله بن جحش مضمون الخطاب، أخبر أصحابه بما فيه وقال لهم إن الرسول ﷺ يأمره بالسير إلى منطقة تسمى نخلة «بين مكة والطائف» ليعرف أخبار قريش، وأن الرسول ﷺ أمره ألا يكره أحدا من المصاحبين له على السيرمعه فمن أراد سار معه ومن أراد تخلف عن ذلك، إلا أن أحدا من أصحابه لم يتخلف، فساربهم عبدالله ابن جحش حتى إذا وصل إلى منطقة تسمى «بحران» شرد بعير من سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان فانطلقا يبحثان عنه فتاها فى الصحراء وتخلفا عن السرية، فانطلق عبدالله بن جحش ومعه الباقون حتى وصلوا إلى المكان المقصود وهو «نخلة» ونزلوا به، وبعد فترة قصيرة مرت بهم قافلة لقريش تحمل تجارة وبضائع لقريش، وشاهدها المسلمون وتشاوروا فيما بينهم هل يتركونها أم يقاتلونها وكان ذلك فى آخر رجب وهو وقت كان العرب لا يقاتلون فيه لأنه من الأشهر الحرم التى يحرم القتال فيها، وقال المسلمون لبعضهم بعضا مامعناه أننا لو تركناهم لدخلوا فى مكة وأصبح من الصعب قتالهم لأنهم سيحتمون بباقى قريش ولو قاتلناهم الآن لقال عنا العرب إننا نقاتل فى الشهر الحرام . تردد المسلمون بعض الوقت ثم عزموا على قتالهم وأخذوا مامعهم من غنيمة فرمى أحد المسلمين وهو وافد بن عبدالله التميمى أحد المشركين وهو عمر بن الحضرمى بسهم فقتله، واستطاع المسلمون أسر اثنين من المشركين ، وأخذ بعض الغنائم، ثم عادوا إلى المدينة ومعهم الأسيران والغنائم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم: «ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام» ورفض أن يأخذ الغنائم والأسيرين، وحزن هؤلاء المقاتلون حزنا شديدا وظنوا أنهم أغضبوا الله ورسوله ولام عليهم باقى المسلمين فى هذا العمل.

وقد اتخذت قريش هذا الحادث ذريعة للتشنيع على المسلمين وقالوا: «قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوافيه الأموال وأسروافيه الرجال، ونزل قول الله تعالى: «يسألونك عن الشهرالحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله»أى أن ما يقوم به المشركون من تعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم ومن محاربة دعوة الله والكفر به وإخراج المسلمين من مكة ومن المسجد الحرام ومنعهم من دخوله وغيرها من أعمال المشركين أكبر عند الله وأشد.

فلما نزلت هذه الآيةفرح المسلمون بعد حزن، وعرفوا أن الله تعالى راض عما قام به عبدالله ان جحش وأصحابه، فأخذ الرسولﷺ الأسيرين والغنائم، وأرسلت قريش تريد استعادة الأسيرين مقابل فدية فرفض الرسول ﷺ حتى يعود المسلمان اللذان كان قد تاها فى الصحراء بعد الخروج مع عبدالله بن جحش ولم يكونا قد عادا بعد حتى تلك اللحظة، وكان الرسول ﷺ يخشى أن يقع هذان المسلمان فى أيدى قريش فيقتلوهما وقرر بالتالى أن يحتفظ بالأسيرين المشركين احتياطيا فإذا وقع المسلمان التائهان فى الأسر بادل بهما المشركين اللذين تحت يده، إلا أن المسلمين التائهين وهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان مالبثا أن عادا إلى المدينة سالمين، وعند ذلك قبل الرسول ﷺ قبول الفدية فى الأسيرين المشركين، إلا أن أحدهما وهو الحكم بن كيسان أسلم وحسن إسلامه ورفض الرجوع إلى مكة وظل مع رسول الله ﷺ مجاهدا فى سبيل الإسلام حتى استشهدفى يوم «بئر معونة»، وأما الآخر وهو عثمان بن عبدالله فعاد إلى مكة ومات بها كافرا والعياذ الله.

وهكذا نفذ الرسول والمسلمون ثماني غزوات وسرايا صغيرة قبل غزوة بدر في زمن قصير، أقل من عام. وهذا يدل على حكمة الرسول وحسن تدبيره لأنه بهذه السرايا والغزوات استطاع أن يخيف المشركين من حول المدينة ويخيف قريشا ويجعلهم لايفكرون في الهجوم على المدينة، وفي نفس الوقت فإن هذه السرايا والغزوات الصغيرة كانت نوعا من التدريب والاستعدادواستمرار التأهب للمعارك الكبرى القادمة.

تغيير اتجاه القبلة:

كان المسلمون يصلون حتى قبيل معركة بدر بقليل باتجاه بيت المقدس، وقد ظل الحال هكذا قبل الهجرة و١٧ شهرا بعد الهجرة، وكان الرسول ﷺ يتمنى أن يجعل الله القبلة إلى الكعبة وطلب ذلك من جبريل إلا أن جبريل قال له: «إنما أنا عبد فادع ربك واسأله» فجعل يدعو الله لتحقيق ذلك حتى استجاب الله لدعائه وأمره بتغيير القبلة الكعبة في نصف شعبان للعام الثاني للهجرة.

معركة بدر الكبرى:

يعتبر المؤرخون أن معركة بدر من أهم معارك التاريخ البشرى على الإطلاق وذلك لأن تلك المعركة كانت نقطة تحول في التاريخ كله فقد جعلت قواعدالإسلام تثبت وفتحت الطريق أمام انتشار وانتصار هذا الدين الحق، ولو هزم المسلمون فيها لاقدر الله لكان من الصعب أن تقوم لهم قائمة بعد ذلك، ولأنها كانت معركة خطيرة فقد احتفل بها الإنس والجن والملائكة على حد سواء.

وكان القرآن الكريم قد نزل منذ تسع سنوات قبل معركة بدر يبشر المسلمين بهذا النصر، إلا أنهم لم يدركوا معنى هذه الآيات التى تحمل البشرى إلا بعد ذلك فإنه قبل معركة بدر بتسع سنين قدحدثت معركة بين الفرس والروم انتصرت فيها الفرس وهم وثنيون على الروم وهم أهل كتاب، وتمنى المسلمون لو أن ينتصر الروم على أساس أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من الوثنيين ونزلت الآية الكريمة من سورة الروم: ﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم الآيات من ١:٦] ومعنى هذه الآيات أن الروم سينتصرون على الفرس بعد عدد من السنين ـ تسع سنوات ـ وأنه فى نفس اليوم سوف ينتصر المسلمون على المشركين، وقد حدث هذا بالضبط ففى نفس يوم بدر جاءت الأخبار أن الروم قد انتصرت على الفرس، وكانت هذه من التنبؤات القرآنية التى تحققت فى حياة الرسول ﷺ.

ونظرا للأهمية الكبيرة لتلك المعركة فإن الله تعالى أسماها الفرقان فى القرآن الكريم: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [سورة الأنفال من الآية ٤١].

وقد بدأت أحداث تلك المعركة عندما بلغ رسول الله ﷺأن هناك قافلة تجارية لقريش قادمةمن الشام إلى مكة يقودها أبو سفيان بن حرب، وأراد الرسول ﷺ أن يأخذ المسلمون هذه القافلة غنيمةلهم تعويضا عما تركوه من أموالهم فى مكة فدعا المسلمين إلى الخروج

للحصول على تلك الغنيمة، فخرج معه البعض وتخلف البعض الآخر لأنهم ظنوا أن الأمر لن يتطور إلى معركة كبيرة وبالتالى فليس هناك حاجة لخروجهم جميعا. وكان أبو سفيان ابن حرب رجلا يتمتع بالذكاء، فكان يتحسس الأخبار ويسأل من يلقى من الناس فى طريقه، فعرف أن الرسول ﷺ قدخرج على رأس مجموعة كبيرة من المسلمين يريد الوصول إليه وأخذ القافلة التجارية كغنيمة، فأرسل أبو سفيان إلى قريش ليخبرها الخبر، وليطلب منها أن تأتيه بالنجدة، وعندما وصل الخبر إلى قريش قررت الخروج لقتال المسلمين واستعدوا لذلك بالسلاح والعتاد والمؤن وأخذ بعضهم يحث البعض الآخر على الخروج، إلا أنهم كانوا يخافون إن هم خرجوا أن تأتى قبيلة بنى بكر وكانوا على عداء معها وتهاجم مكة أو تفعل شيئا من خلفهم، إلا أن إبليس اللعين قد جاء إليهم فى صورة رجل من العرب يعرفونه وهو سراقة بن مالك فقال لهم إنه سوف يضمن لهم عدم قيام بنى بكر بشئ مما تكرهونه ثم خرج معهم إبليس، إلا أنه عندما احتدم القتال ورأى الملائكة قد جاءت لنصرة المسلمين بأمر من الله فر هاربا، وعندما تشبث به أحد المشركين وهو الحارث بن هشام وهو يظنه سراقة ضربه فى صدره فألقاه على الأرض واستمر فى هروبه فلما قال له المشركون إلى أين ياسراقة ألم تكن قد وعدتنا أنك لا تفارقنا قال إبليس اللعين «إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب» ثم فر حتى ألقى نفسه فى البحر،وقد ذكر القرآن الكريم هذا الحادث فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال الآية ٤٨].

خرج الرسول ﷺ ومعه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، ومعهم سبعون من الإبل،وخرجت قريش فى أكثر من تسعمائة رجل، ولما علم رسول الله ﷺ بخروج قريش استشار أصحابه، فأشارعليه أبو بكر الصديق بالاستمرار فى الزحف وملاقاة المشركين وقتالهم وقال له المقداد بن عمر:«يا رسول الله ، أمض لماأراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «إذهب أنت وربك فقاتلا إناهاهنا قاعدون» ولكن «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون...».

ثم قال رسول الله ﷺ مرة أخرى أشيروا على أيها الناس وكان يقصد الأنصار بذلك ، فقام سعد بن معاذ فقال: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هوالحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله » وشعر الرسول بالسرور من قول سعد بن معاذ وأمر المسلمين بالسير لملاقاة العدو وبشرهم بأن الله قد وعده بالظفر بقافلة قريش التجارية التى يقودها أبو سفيان أو بالنصر على جيش قريش وسقوط المشركين قتلى بسيوف المسلمين.

ثم وصل الجيش المسلم إلى مكان قريب من بدر، وأخذ يتحسس الأخبار عن قريش ويسأل فى ذلك الناس، وقد سأل شيخا فحدد له مكان قريش ثم أرسل إحدى المجموعات من المقاتلين المسلمين وكانت

تضم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص لتستطلع أخبار قريش بالقرب من ماء بدر، ووجدت تلك المجموعة غلامين يسقيان بعير قريش، فأسروهما وأتوا بهما إلى الرسول وكان رسول الله ﷺ يصلى فى ذلك الوقت وعندما فرغ من صلاته، سأل الغلامين عن قريش، قالا له إنها وراء هذا التل من الرمال وأشارا إلى أحد التلال، وعندما سألهما رسول الله ﷺ كم عددهم قالوا إنهم لا يعرفون فسألهم عن عدد الإبل التى يذبحونها كل يوم، فقالوا: يذبحون يوما تسعا ويوما عشرا. ففهم رسول الله ﷺ أن عددهم ما بين تسعمائة إلى ألف ثم أخذ الرسول يسأل عن أشراف قريش الذين خرجوا مع الجيش وغيرها من الأسئلة ليعرف كل شئ عن قريش وجيشها لأن معرفة العدو من أهم أسباب النصر فى المعارك.

كان أبو سفيان يتحرك بالقافلة التجارية ويتسمع الأخبار وقد استطاع أن يغير طريقه ويسلك طرقا أخرى حتى لا يقع فى أيدى المسلمين إلى أن أفلت فى النهاية من الوقوع فى قبضة المسلمين واستطاع أن ينجو ومعه القافلة وأن يصل بها سليمة، ولما فعل ذلك طلب من قريش أن ترجع إلى مكة بدون قتال، لأن هدفها فى حماية القافلة التجارية قد تحقق إلا أن أبو جهل أصر على عدم الرجوع وقرر الذهاب إلى ماء بدر ليقيم هناك ثلاثة أيام ليذبح الذبائح ويسقى الخمر وتعزف له الموسيقى وكان يقصد من ذلك أن تسمع العرب بهذه الأخبار فتخشى قوة قريش وتعمل لها حسابا.

انطلق جيش المسلمين فى اتجاه ماء بدر واتجه جيش المشركين أيضا إلى هناك، وهنا نزل مطر من السماء كان خفيفا ناحية المسلمين بحيث

لم يعطلهم عنه الوصول إلى مكان الماءقبل المشركين وكان غزيرا ناحية المشركين بحيث لم يستطيعوا أن يمشوا فى ذلك الوقت، وكان هذا من فضل الله على المسلمين الذين استطاعوا أن يصلوا أولا إلى الماء وأن ينزلوا فى أدنى مكان منه، وفى أثناء ذلك سأل الحباب بن المنذر رسول الله ﷺ إن كان هذا المكان الذى نزلوا فيه هو أمر من الله تعالى أم أن اختيار المكان فى هذا الوقت متوقف على المشورة واختيار المكان المناسب، فعرفه الرسول ﷺ أن الأمر هو المشورة والحرب والمكيدة ، هنا أشار الحباب بن المنذر بالنزول إلى أدنى مكان من الماء ثم ببناء حوض وملئه بالماء ثم يدفنون الآبار ويجعلونها غير صالحة.، وبذلك يتحقق للمسلمين شرب الماء ويمنع عن ذلك المشركون، فاستحسن الرسول ﷺ ذلك الرأى وأمر بتنفيذه.

ثم أشار سعد بن معاذ ببناء عريش للرسول ﷺ فوافق الرسول على ذلك، وكان سعد بن معاذ يقصد من ذلك حماية الرسول فى حالة الهزيمة حتى يرجع إلى المدينة ليلحق بباقى المسلمين ويعد العدة من جديد للقتال والنصر.

اقترب الفريقان من بعضهما بعضا، ورأت قريش أنها قد حرمت من الماء وأرادت أن تشرب من الحوض الذى بناه المسلمون، فسمح لهم الرسول بذلك على أساس أن المعركة لم تبدأ بعد، وعندما بدأت المعركة منعهم المسلمون من ذلك فحاول أحدهم وهو الأسود المخزومى اقتحام هذا الحوض وقام حمزة إليه فقتله عند الحوض.

ثم خرج بعض المشركين يريد المبارزة مثل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأخيه، والوليد بن عتبة بن ربيعة ابنه فخرج إليهم ثلاثة من

الأنصار فرفض هؤلاء مبارزتهم وطلبوا أن يبارزهم رجال من المهاجرين فأمر رسول الله ﷺ كلا من عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبدالمطلب وعلى بن أبى طالب بذلك ففعلوا ونجح على فى قتل الوليد بن عتبة سريعا ونجح حمزة فى قتل شيبة بن ربيعة سريعا أما عبيدة بن الحارث الذى بارز عتبة بن ربيعة فقد أصاب كل منهما الآخر، وهنا انقض على وحمزة على عتبة بن ربيعة فقتلاه وحملا عبيدة بن الحارث وعادا به إلى أصحابه جريحا.

وحميت المعركة وكان الرسول يدير المعركة ويلقى بالأوامر وقام بتعديل الصفوف ثم رجع إلى العريش وأخذ يدعو الله ويتضرع إليه حتى أشفق عليه أبو بكر الصديق من كثرة الدعاء وطمأنه بأن الله منجز له وعده«أى سوف ينصره الله» وقد رأى الرسول ﷺ جبريل والملائكة وقد أرسلهم الله كمدد من عنده للمسلمين وبشرى لهم، فقال الرسول ذلك للمسلمين وبشرهم بنصر الله وحرضهم على القتال ووعدهم بأن الجنة هى مصير من يقتل فى ذلك اليوم من المسلمين، وكان أحد المسلمين وهو عمير بن الحمام أخو بنو سلمة يأكل تمرات فى يده، فألقاها وقال بخ بخ أفما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء وأخذ سيفه فقاتل حتى استشهد.

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال شاهت الوجوه، ثم ألقاها عليهم، وأمر أصحابه بالهجوم، فتحقق النصر للمسلمين، وسقط من المشركين سبعون قتيلا وأسر منهم سبعون أسيرا، وكان من بين القتلى عدد كبير من زعماء قريش، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا وقد شاركت الملائكة فى هذه

المعركة فقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ⑨ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ٩ ـ ١٠].

وقد فرح بهذا النصر المؤمنون من الإنس والجن وكذلك الملائكة وحزن له الشياطين والكافرون من الإنس والجن.

وقد وقعت تلك المعركة فى يوم ١٧ رمضان من العام الثانى للهجرة.

أما مصير الأسرى من المشركين، فإن الرسول ﷺ قد استشار أصحابه فى ذلك فأشار عليه أبو بكر الصديق أن يأخذ منهم فدية من المال ويتركهم يعودون إلى مكة وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم لأنهم أئمة الكفر وزعماء الشرك ولكن النبى ﷺ أخذ برأى أبى بكر الصديق وترك الأسرى مقابل الفدية إلا أن القرآن نزل يؤيد رأى عمر بن الخطاب.

وقد حدث فى تلك الموقعة أيضا أنه بعد أن انتهت المعركة، وقف رسول الله ﷺ فى الليل فى المكان الذى دفن به قتلى المشركين ويسمى القليب وناداهم بأسمائهم وقال..هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فإنى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا فقال المسلمون يا رسول الله أتنادى قوما قد جيفوا «أى ماتوا وأصبحوا جثثا نتنة» قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى».

غزوة السويق:

لما رجع المشركون منهزمين إلى مكة، حاول أبو سفيان أن يرد اعتبار قريش بعد الهزيمة، وأعد العدة لذلك، وقام ومعه مائتان من المقاتلين

المشركين بالهجوم على أطراف المدينة وحرق بعض النخل وقتل رجلين كانا يعملان فى حقل لهما، ثم فر هاربا مع رجاله قبل أن يأتى المسلمون ليقاتلوه، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك خرج يطاردهم إلا أنه لم يلحق بهم فعاد إلى المدينة، وقد حدثت هذه الغزوة فى شهر ذى الحجة للعام الثانى للهجرة.

غزوة ذى أمر:

بعد رجوع الرسول ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة حتى نهاية ذى الحجة ثم قاد المسلمين فى هجوم على نجد وغطفان، وهى غزوة ذى أمر، واستمر فى نجد حوالى الشهر. إلا أنه لم يحدث قتال فعاد إلى المدينة.

غزوة الفرع من بحران:

ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشا حتى بلغ بحران فأقام بها شهرى ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع المدينة بدون قتال.

بنو قينقاع واليهود يخونون العهد:

فى شهر شوال من السنة الثانية للهجرة، حدث أن امرأة مسلمة كانت قد ذهبت إلى السوق لتبيع شيئا لها، فباعته ثم جلست إلى صائغ بالسوق، فالتف حولها بعض الناس وطلبوا منها أن تكشف وجهها فرفضت، فقام هذا الصائغ بربط طرف ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت انحسر الثوب وانكشفت سوءة المرأة المسلمة، فضحكوا منها، فصاحت المرأة، فوثب رجل من المسلمين على هذا الصائغ وكان يهوديا فقتله، فقام اليهود بقتل هذا الرجل المسلم، فقام أهله

يستصرخون المسلمين على اليهود فسار الرسول ﷺ ومعه المسلمون إلى بنى قينقاع وحاصرهم خمسة عشر يوما حتى استسلموا له إلا أن عبدالله بن أبى زعيم المنافقين والعياذ بالله طلب إلى الرسول أن يعفو عنهم.

وألح فى الطلب حتى تغير وجه الرسول وتضايق، ومع ذلك فإن الرسول وافق على العفو عنهم من أجل عبدالله بن أبى وقال له: «هم لك» لعل ذلك يجعل صدره ينشرح للإسلام ويقلل من نفاقه ونفاق من وراءه واكتفى الرسول برحيل بنى قينقاع عن المدينة وهكذا خرج بنو قينقاع من المدينة ورحلوا عنها.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة من مياه نجد:

كانت قريش قد غيرت طريق التجارة إلى الشام بحيث يكون بعيدا عن متناول المسلمين فكانت قريش تسلك طريق العراق، وقد خرج فى ذلك الوقت تجار قريش ومعهم تجارة عظيمة واتبعوا هذا الطريق البعيد، إلا أن رسول الله ﷺ أرسل سرية بقيادة زيد بن حارثة حتى ذلك المكان واستطاع أن يلحق بالقافلة وأن يأخذها غنيمة، ورجع بتلك الغنيمة إلى المدينة.

اغتيال بعض زعماء الشرك:

قام المسلمون بعد غزوة بدر بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيال الفردى لشخصيات كافرة، شديدة الكفر، تؤذى الرسول ﷺ أو تدبر المكائد والمؤامرات للإسلام والمسلمين بالرغم من أنهم كانوا قد دخلوا فى عهد النبى على نصرته والتحالف معه إلا أنهم خانوا هذا

العهد.ومن تلك العمليات قيام عمير بن عدى الخطمى رضى الله عنه باغتيال عصماء بنت مروان فى يوم ٢٥ رمضان فى السنة الثانية للهجرة، أى بعد معركة بدر بثمانية أيام، وذلك لأن عصماء بنت مروان كانت تؤذى الرسول ﷺ وتعيب على الإسلام وتحرض الناس على رسول الله ﷺ وتقول شعرا تسب به النبى ﷺ والمسلمين وتحرض على محاربة الرسول وأصحابه.

وكان عمير بن عدى الخطمى، وكان رجلا ضريرا «أعمى» قد نذر لئن رجع الرسول ﷺ من بدر سالما فإنه سوف يقتل عصماء بنت مروان، وقد وفى الرجل بنذره رغم أنه أعمى وذلك بأن دخل عليها بيتها ليلا ووضع سيفه فى صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم قام فى الفجر فذهب إلى الصلاة مع رسول الله ﷺ فسأله الرسول ﷺ : «أنت قتلت ابنة مروان ؟ قال نعم يا رسول الله فقال: «نصرت الله ورسوله يا عمير»، ثم قال الرسول ﷺ لأصحابه: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب. فانظروا إلى عمير بن عدى».

فلما رجع عمير بعد ذلك وجد أبناء عصماء يدفنونها فلما سألوه: «يا عمير أنت قتلتها» قال نعم وتحداهم أن يفعلوا به شيئا فلم يفعلوا شيئا.

وبعد ذلك بشهر قام سالم بن عميرباغتيال عفك اليهودى وكان رجلا كبير السن إلا أنه كان يؤذى النبى ﷺ ويحرض على عداوته ويكيد للمسلمين.

اغتيال كعب بن الأشرف:

وبعد مرور عام على موقعة بدر تم اغتيال كعب بن الأشرف وكان رجلا يهوديا يتكلم فى أعراض المسلمين، ويكيد للإسلام وللرسول

ﷺ، وكان الرسول ، قد قال للمسلمين: «من لى بابن الأشرف فقد آذانى » أى من يقتل كعب بن الأشرف فقال محمد بن مسلمة أنا به يا رسول الله أى أنا أقتله يا رسول الله قال فافعل وأمره أن يشاور فى ذلك سعد بن معاذ وهو من زعماء الأنصار المسلمين فاجتمع محمد بن مسلمة مع نفرمن الأوس منهم عباد بن بشر وأبو نائلة والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر، وقرروا اغتيال كعب بن الأشرف واستأذنوا رسول الله ﷺ فى ذلك فأذن لهم، وكان محمد بن مسلمة وأبو نائلة أخوين من الرضاعة لكعب بن الأشرف ولكن حبهما للإسلام وكراهيتهما للكفركانت أكبر من أخوة الرضاعة، وجاء أبو نائلة إلى كعب بن الأشرف وحدثه عن أنه لا يحب الرسول ﷺ وكان يخدعه فى ذلك بالطبع، فاطمأن إليه كعب بن الأشرف، وقال له إن هناك آخرون على مثل رأيه وأنهم سيأتون إليه ليشتروا منه الطعام والتمر ويتفقوا معه على تدبير المؤامرات للرسول ﷺ وللمسلمين، فوافقه كعب على ذلك، إلا أنه اشترط عليه أن يرهنوا عنده شيئا مقابل ذلك، فوافق أبو نائلة على أن يرهنوا عنده الدروع والسلاح، واتفق معه على الموعد المحدد، وفى الموعد المحدد جاء أبو نائلة ومعه أصحابه بعد أن صلوا العشاء ونادى على كعب فنزل من بيته وسار معهم إلى خارج المدينة حتى إذا كانوا فى مكان يسمى «شرج العجوز» أمسك أبو نائلة برأسه وضربه أصحابه بأسيافهم كما غرز أبو نائلة سيفه فى بطن كعب فصاح صيحة عالية حتى سمع اليهود صيحته، ثم قاموا بقطع رقبته وحملوها إلى رسول الله ﷺ، وكان قد خرج معهم حتى وصل إلى البقيع فانتظرهم هناك وأخذ يصلى.

فلما بلغوه كبروا أى قالوا الله أكبر فكبر الرسول ﷺ، وألقى هؤلاء الرجال رأس كعب بين يدى الرسول ﷺ فحمد الله على قتله».

ثم «تفل» على جرح أحدهم وهو الحارث بن أوس وكان قد جرح بسيوف بعض أصحابه فبرأ أى شفى على الفور وفى الصباح قال رسول الله ﷺ للمسلمين « من ظفرتم بـه من رجال يهود فاقتلوه» ومنذ ذلك خاف اليهود وكفوا عن سب الرسول وإيذائه وكان الرسول ﷺ يقصد بهذا القول هؤلاء اليهود الذين خانوا العهد ودبروا المؤامرات أو قالوا فى الرسول أو الإسلام قولا سيئا.

اغتيال ابن سنينة:

وكان ابن سنينة من يهود بنى حارثة، وكان يؤذى النبى وكان حليفا لحويصة ابن مسعود، فقام محيصة بن مسعود أخو حويصة بن مسعود بقتله، فجعل أخوه حويصة يضربه أى يضرب أخاه لأنه قتل حليفه فقال لـه أخوه والله لو أمرنى رسول الله ﷺ بقتلك أنت أيضا لقتلتك فتعجب حويصة من شدة حب المسلمين للرسول وشدة ولائهم للإسلام وقال:«إن دينا بلغ بك هذا لعجب» وأعلن إسلامه.

ملاحظة هامة:

كان اليهود فى المدينة يتكونون من عدد من القبائل مثل بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر ، وكذلك كان عدد قليل جدا من أهل المدينة من مختلف القبائل يدينون باليهودية أى أنهم كانوا من قبائل المدينة وكانوا مجرد أفراد، وكان هناك عهد بين الرسول وبين المشركين من أهل المدينة يدخل فيه الأفراد اليهود من هذه القبائل، ولكن بعض هؤلاء الأفراد اليهود قد خالفوا شروط هذا العهد، وتآمروا مع قريش

فى بعض المواضع، وقاموا بإلقاء الشعر فى سب الرسول والإسلام واختلاق الشائعات مما جعل الرسول ﷺ يهدر دماءهم ويأمر المسلمين بقتلهم، وكانت القبائل العربية فى المدينة والتى ينتمى إليها هؤلاء اليهود تعرف أنهم خالفوا العهد الذى تعاهدوا عليه مع الرسول ﷺ ولم يعترضوا على ذلك ولم يقولوا للرسول أنه لا يجب قتلهم أوغيرها من الأقوال وعلى سبيل المثال فإن ابن كعب كان قد ذهب إلى مكة وتحالف مع قريش وأعلن ذلك صراحة بل إنه حزن لموت زعماء قريش فى بدر وقال فيهم شعرا برغم الحلف الذى كان داخلا فيه مع الرسول، وهو الحلف الذى ينص على التحالف والتناصر أى أن هؤلاء الذين تعرضوا للاغتيال كانوا قد خالفوا نصوص العهد مع الرسول قبل أن يأمر الرسول ﷺ باغتيالهم.

أما القبائل اليهودية غير العربية مثل بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وخيبر فإن عهدهم مع الرسول كان يحمل شروطا أخرى غير الشروط التى دخلت فيها القبائل العربية، وكلما خالفت إحدى هذه القبائل اليهودية شروط المعاهدة كلما قام المسلمون بقتالهم وإجلائهم عن المدينة.

وهكذا فإن الرسول لم يكن يأمر بقتل أحد هؤلاء سواء كان يهوديا أو غير يهودى إلا بعد أن يقوم هذا الشخص بمخالفة العهد، والقيام بالكيد للإسلام والمسلمين وتدبير المؤامرات ضد الإسلام أو الرسول ﷺ أو المسلمين.

معركة أحد

وقد حدثت هذه المعركة فى شهر شوال للعام الثالث للهجرة، وقد بدأت أحداثها حينما اجتمع زعماء قريش وقرروا الثأر لمعركة بدر وخرجوا فى جيش يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم النساء لكى يحثوهم على الحرب وعدم التراجع، وعندما سمع رسول الله ﷺ بهذا الأمر رأى أن من الأفضل البقاء فى داخل المدينة والاستعداد للدفاع عنها، ولكن عددا من المسلمين الذين لم يحضروا معركة بدر أشاروا على النبى ﷺ أن يخرجوا لقتال العدو، وكان هؤلاء يريدون قتال العدو حتى ينالوا شرف القتال لأنهم لم يحضروا معركة بدر، ومع أن الرسول ﷺ كان يدرك أن رأيه هو الصواب إلا أنه استجاب لرأى أصحابه، وكان من الأفضل الاستماع إلى رأى رسول الله ﷺ لأن الدفاع عن المدينة داخلها سيكون أسهل وأنه ربما كان جيش الأعداء يعود دون أن يقاتل عندما يرى الأعداء أن المسلمين لم يخرجوا إليهم، فيخاف الأعداء أن يهاجموا المدينة لأن ذلك كان صعبا وهم يعرفون مدى صعوبته. على أى حال، فإن الرسول ﷺ استجاب للرأى الآخر، ولم يتمسك برأيه وخرج المسلمون إلى القتال، وفى أثناء الطريق قام عبدالله بن أبى بالرجوع بثلاثمائة من أصحابة وترك جيش الرسول ﷺ، وكان هؤلاء الذين رجعوا هم المنافقون وكان زعيم المنافقين هو عبدالله ابن أبى، والمنافقون هم الذين يظهرون الإسلام، ويخفون الكفر لأنهم جبناء، وهم من أشد الفئات خطرا على المجتمع الإسلامى.

لم يبق مع الرسول ﷺ، إلا سبعمائة رجل من المسلمين الصادقين، وقد جاء إلى الرسول ﷺ فى ذلك الوقت صبيان يبلغان من العمر خمسة عشر عاما يريدان الانضمام إلى جيش المسلمين والقتال معه وهما رافع بن خديع وسمرة ابن الجندب إلا أن الرسول ﷺ ردهما لأنهما صغيران ، فأخذا يلحان على الرسول ﷺ حتى قبلهما فى جيش المسلمين وهذا يدل على مدى إيمان هذين الصبيين وشجاعتهما وحبهما للجهاد فى سبيل الله.

عسكر المسلمون فى مكان من جبل أحد بحيث تكون ظهورهم إلى الجبل وأمر الرسول ﷺ عددا من الرما ة «حوالى سبعين راميا» بأن يكونوا خلف الجيش ليحموا ظهور المسلمين وأمرهم بألا يتركوا أماكنهم مهما كانت الظروف ، وجعل عليهم قائدا هو عبدالله بن جبير.

ثم أمسك الرسول بسيف ، وقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه»، فأقبل أبو دجانة رضى الله عنه وقال أنا آخذه بحقه فأعطاه الرسول ﷺ إياه ثم لبس أبو دجانة عصابة حمراء على رأسه، وكان يفعل ذلك عندما يريد القتال، وقد وفى أبو دجانة بحق هذا السيف وقاتل قتالا شديدا.

وبدأت المعركة وأظهر المسلمون شجاعة كبيرة وراحوا يقتلون المشركين حتى إن لواء المشركين قد سقط ولم يتقدم أحدهم لحمله ، وأخذ جيش المشركين يفر مذعورا من أمام جيش المسلمين وتبعهم المسلمون وأنزلوا بهم القتل والموت وأخذوا يجمعون الغنائم، وظن البعض أن المعركة قد انتهت وأن المشركين قد هزموا فاهتموا بجمع الغنائم، وكان الرماة الذين يحمون ظهر المسلمين يرون ذلك، فقالوا إن

الحرب قد انتهت وعلينا أن نذهب لنحصل على الغنائم، إلا أن رئيسهم عبدالله بن جبير قال لهم لا تتركوا أماكنكم لأن رسول الله ﷺ قد أمركم بألا تتركوا أماكنكم مهما كان الأمر، إلا أن معظمهم لم يستمع إلى نصيحته، واندفعوا ليأخذوا الغنائم مع باقى الجيش ولم يبق منهم إلا عدد قليل جدا مع رئيسهم عبدالله بن جبير، وعندئذ رأى خالد بن الوليد ـ وكان لم يسلم بعد ـ وكان أحد فرسان جيش المشركين فى تلك المعركة، رأى أن الفرصة مهيأة للالتفاف على جيش المسلمين من ورائهم، وهذا يدل على الذكاء العسكرى الذى كان خالد ابن الوليد يتمتع به، وجمع خالد عددا من فرسان قريش والتف بهم حول جيش المسلمين، وقام عبدالله بن جبير، ومن تبقى معه من الرماة بإلقاء السهام عليهم ولكن عدد الرماة كان قليلاً فلم يستطيعوا صد الهجوم. ونجح خالد ومن معه من فرسان قريش فى قتلهم وقتل رئيسهم عبدالله بن جبير وبذلك استطاع فرسان قريش أن يلتفوا من خلف جيش المسلمين الذى كان مشغولا بجمع الغنائم، وتجمع جيش المشركين من جديد وأوقع القتل فى صفوف المسلمين، واضطرب جيش المسلمين اضطرابا شديدا، وأشاع المشركون أن الرسول ﷺ قد قتل، وحدث ضعف فى نفوس بعض المسلمين إلا أن البعض الآخر تمسك بالصبر والشجاعة والإيمان واستمر يقاتل قتالا شديدا.

وكان رسول الله ﷺ فى تسعة من أصحابه يدير المعركة وعندما رأى أن فرسان قريش قد التفت حول جيش المسلمين من الخلف خاطر بنفسه وصاح مناديا أصحابه للتجمع حوله حتى يجعل جيش المسلمين يتماسك مرة أخرى، وسمع المسلمون صوت الرسول ﷺ فعرفوا أنه مازال حيا وكان هذا حافزا لهم على الشجاعة والقتال، كما سمع

المشـركون صوت الـرسول ﷺ فعـرفوا أنـه مازال حيـا، فأرادوا قتـله، فحاصروه وهاجموه ومن معه بقوة، وقاتل الصحابة التسعة الذين كانوا حول رسول الله ﷺ فى ذلـك الوقت قتالا شديدا ودافعـوا عن الرسول ﷺ بقوة وبسـالة وتضحية حـتى استشهد سبـعة منهم ولم يـبق معه إلا طلحة بـن عبيد الله وسعد بن أبـى وقاص فقاما بالـدفاع عن رسول الله ﷺ دفاعـا شديـدا حتى قـطعـت أصابع طـلحـة وهو يقـاتل عـشرات المشركين ويصدهـم عن الرسول ﷺ وأظهر طلحة بطولة عـظيمة حتى إنه استطاع إصابـة تسعة وثلاثين من المشركيـن وحده يوم أحد، وحتى أن أبا بكر الـصديق كان إذا ذكر يوم أحد قـال ذلك اليوم كله لـطلحة، نظر للدور البارز الذى قام به طلحة فى ذلك اليوم.

وكذلك فعل سعد بن أبى وقاص الذى أخذ يرمى المشركين بالنبال هو وطلحة حتى استطاعا أن يردا مفرزة المشركين «عدد كبير منهم» عن رسول الله ﷺ، وقد جـرح الرسول ﷺ وسالـت منه الدمـاء إلا أنه ظل ثابـتا ومـع ثبـات الرسول ﷺ وقـيام طـلحـة وسعد بـالدفـاع عنـه بدأ المسلمون يتجمعون حول الرسولﷺ مـن جديد منهم أبو بكر الصديق وأبو دجـانة ومصـعب بن عـمير، وعمـر بن الخطـاب، وعلى بـن أبى طالب وأم عمـارة وزوجها وولداها وغيـرهم، وكان أبو دجانة يـحمى الرسولﷺ بجسـمه من النبال حتى انـغرزعددكبير منهـا فى ظهره دون أن يتزحزح عن مكانه.

واستـمر المشركـون يضغطـون على رسـول الله ﷺ ويتزايد عـددهم حوله واستـمر الصحابة يقـاتلون عن رسول الله ﷺ واستـطاع الرسول ﷺ فى النـهاية أن يخرج مـع أصحابه القلائـل من الحصار وأن يلـتقى بجيـش المسلمـين الذين تـشجعوا عـندما رأوه واستـطاعوا أن يعـيدوا

التوازن مع جيش المشركين، وقاتل رسول الله ﷺ بنفسه وقتل من المشركين أبي بن خلف ، وبعد فترة من الوقت هدأت المعركة وبدأ المشركون ينسحبون فى اتجاه مكة وقد سقط من المسلمين فى ذلك اليوم أربعة وسبعون شهيدا منهم حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ، وبعد انسحاب المشركين، أرسل الرسول ﷺ على بن أبى طالب ليعرف أخبار جيش المشركين، وقال له إن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة أى أنهم إذا كانوا مايزالون يركبون الخيل فإنهم سوف يعودون للقتال، فذهب على بن أبى طالب ورآهم يركبون الإبل فعرف أنهم يقصدون الرجوع إلى مكة فعاد وأخبر الرسول ﷺ فاطمأن الرسول ﷺ لعدم رجوعهم وقام يدفن الشهداء من المسلمين.

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة وأخذ اليهود والمنافقون يظهرون الفرح والشماتة، وقرر الرسول ﷺ أن يظل ليلةواحدة فى المدينة ثم يعود للخروج بجيش المسلمين مرة أخرى ، لأنه كان يدرك أن قريشا ربما تفكر فى العودة للهجوم على المدنية وأمر بلال بن رباح أن ينادى فى الناس فى اليوم التالى لمعركة أحد أن يخرجوا مرة أخرى مع الرسول ﷺ بشرط ألا يخرج معهم أحد لم يخرج فى معركة الأمس ، انطلق الرسول ﷺ إلى خارج المدينة وعسكر بمنطقة تسمى «حمراء الأسد» على بعد ثمانية أميال من المدينة وكان توقع الرسول ﷺ صحيحا، لأن قريشا بعد أن سارت باتجاه مكة وأصبحت على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة ، أخذوا يلومون بعضهم بعضا وقالوا إننا لم نصنع شيئا وقرروا الرجوع إلى المدينة لقتال المسلمين بهدف القضاء عليهم نهائيا .
وعندما بدأت قريش تسير باتجاه المدينة جاء إليهم أحد الرجال وهو معبد بن أبى معبد الخزاعى وأخبرهم أن الرسول ﷺ قد خرج إليهم فى

جيش عظيم فخافت قريش وقررت العودة من جديد إلى مكة، وكان هذا الرجل وهو معبد قد أسلم منذ قليل ولم تكن قريش قد علمت بإسلامه، وكان قد لقى الرسول ﷺ عند خروجه من المدينة إلى حمراء الأسد وقال له الرسول ﷺ أن يذهب إلى قريش فيخبرهاأن المسلمين قد خرجوا لهم فى جيش عظيم حتى تخاف قريش ففعل الرجل مثلما أمره الرسول ، ويعد خروج الرسول ﷺ من المدينة فى اليوم الثانى من أحد وخطته التى أمر معبدا بها من الأعمال العسكرية العظيمة، لأن الرسول ﷺ بذلك نجح فى إلقاء الرعب فى قلب قريش ومنعها من العودة للقتال وجعل الجميع يدرك أن المسلمين مازالوا أقوياء برغم هزيمة أحد.

ومن المواقف المثيرة فى تلك المعركة، أن عمرو بن الجموح وكان رجلا أعرج شديد العرج، وكان له أربعة من الأبناء يقاتلون مع رسول الله ﷺ، وفى يوم أحد أراد هذا الرجل الأعرج أن يخرج للقتال، فمنعه أولاده الأربعة وقالوا له إن لك العذر فى عدم الخروج للقتال لأنك أعرج، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ واشتكى له من ذلك وقال له : فوالله أنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة» فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقدعذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لأبنائه: «ما عليكم أن تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة، أى أن الرسول ﷺ أحس برغبة الرجل الشديدة فى الجهاد والاستشهاد ودخول الجنة فرق قلب الرسول ﷺ له وطلب من أولاد الرجل ألا يمنعوه من الخروج إلى القتال، وقد خرج الرجل إلى القتال وقاتل واستشهد يوم أحد وكذلك خرج حنظلة بن عامر إلى القتال بمجرد أن سمع الأمر به ولم يتأخر لحظة واحدة، وكان جنبا لم يغتسل ولم يرد أن يتأخر لحظة عن داعى الجهاد، فخرج على

هذه الحالة وقاتل واستشهد، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة» أى أن الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر فلما أخبر المسلمون زوجته بذلك قالت: «خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة»، أى خرج بدون أن يغتسل عندما سمع نداء الجهاد.

ومن هذه المواقف أيضا أن الأصيرم بن عبد الأشهل قد أسلم يوم أحد وانطلق بمجرد إسلامه إلى المعركة وقاتل شديدا حتى استشهد ، وعندما كان الناس يفتشون عن شهدائهم إذا بهم يرون الأصيرم بن عبد الأشهل وقد أصيب إصابة شديدة، فسألوه: ماذا جاء بك قال: رغبة فى الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت على رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى «ثم ما لبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال «إنه من أهل الجنة».

وقد أصبح الأصيرم مثلا يضرب على رجل دخل الجنة بدون أن يصلى قط.

ومن تلك المواقف أن الرسول ﷺ قد قاتل بنفسه فى تلك المعركة وأظهر شجاعة عظيمة، ذلك أنه عندما تقدم إليه أبى بن خلف وقال: «أى محمد لانجوت إن نجوت» طلب بعض المسلمين من الرسول ﷺ أن يذهب أحدهم فيقاتله، فطلب منهم الرسولﷺ أن يتركوه له، فلما اقترب الرجل تناول الرسولﷺ حربة كانت بيد أحد المسلمين وهو الحارث بن الصحة وانتفض بها انتفاضة شديدة جعلت أصحابه يتطايرون من حوله من شدة الانتفاضة، وتوجه إلى أبى بن خلف وطعنه فى عنقه طعنة جعلته يتدحرج من فوق فرسه، وقد مات بعد ذلك بسبب هذه الضربة وهو فى طريق العودة إلى مكة بعد معركة

أحد وكان هذا الرجل المشرك ـ أى أبى بن خلف ـ يؤذى الرسول ﷺ بمكة قبل الهجرة وكان كلما قابل رسول الله ﷺ يقول له: «بل أنا أقتلك إن شاء الله » وقد حقق الله أمنية الرسول ﷺ فقتله يوم أحد بنفسه. ومن هذه المواقف أنه عندما مالت الكفة لصالح المشركين وأحاطوا بالرسول ﷺ يريدون قتله تدافع المسلمون للدفاع عن رسول الله ﷺ بأجسامهم وأنفسهم واستشهد الكثيرون منهم فى ذلك، حتى أن أحدهم وهو أبو دجانة رضى الله عنه قد جعل من جسمه حائطا يحمى الرسول ﷺ من النبال حتى امتلأ ظهره بالنبال دون أن يتزحزح خطوة واحدة عن الرسول ﷺ .

ومن هذه المواقف أن الرجل كان لا يفكر إلا فى أمر الرسول ﷺ حتى ولو كان هذا الرجل يقترب من الموت، مثل ما فعل سعد بن الربيع، حيث قال لأحد المسلمين وهو فى سكرات الموت أن يبلغ رسول الله ﷺ عنه السلام ويقول له : «إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته»، وأن يبلغ المسلمين أن سعد ابن الربيع يقول لهم: «أنه لا عذر لكم عند الله أن خلص» أى أصاب «إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف» قال ذلك سعد بن الربيع ثم مات.

وكذلك كانت المرأة المسلمة لا تفكر فى شئ الا فى سلامة رسول الله ﷺ ، مثل تلك المرأة من بنى دينار ـ التى استشهد زوجها وأبوها وأخوها، فلما علمت بذلك، قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: «خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين» قالت أرونى حتى أنظر إليه، فأشاروا لها عليه فنظرت إليه فلما اطمأنت على سلامة رسول الله ﷺ قالت: «كل مصيبة بعدك جلل» أى أن أى مصيبة لا تصيب الرسول ﷺ تعد صغيرة، أى أن كل شئ يهون مادام الرسول ﷺ بخير.

ومن أحداث معركة أحد أن نساء قريش قمن بالتمثيل بجثث الشهداء من المسلمين، لأن الكفار لا أخلاق لهم، والتمثيل بالجثث عمل فظيع وسيئ ولا يقره الإسلام كما لا تقره أية قوانين أو أعراف لأنه يتنافى مع المروءة، وتحكى كتب السيرة أن هند زوجة أبى سفيان كانت تمثل بجثث المسلمين، فتقطع الآذان أوالأنوف وتتخذ منها هى والنسوة معها قلائد وأحذية وغيرها كما أنها فتحت بطن حمزة رضى الله عنه، وأكلت جزءا منها فلما وضعتها فى فمها وجدتها شديدة المرارة، فألقتها ثانية من فمها، وعندما علم الرسول ﷺ بذلك عزم على أن يفعل نفس الشئ أو أكثر منه عندما تسنح له الفرصة إلا أن القرآن نزل ينهاه عن ذلك ويطلب إليه الصبر.

ومن أحداث يوم أحد أيضا أن أبا سفيان بن حرب وهو أحد زعماء قريش عندما أراد الانصراف بعد المعركة وقف وأخذ يقول كلاما يثنى فيه على نفسه وعلى المشركين وعلى آلهتهم وقال: «أعل هبل» وهبل هو أحد الأصنام فلما سمعه رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب أن يرد عليه فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال : «الله أعلى وأجل لا سواه» أى ليس المسلمين كالكافرين «قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار».

وقد نزل القرآن الكريم فيما بعد فحلل أسباب هذه الهزيمة، وعرف المسلمون أخطاءهم، فاستفاد المسلمون من ذلك، لأن إدراك الدروس والعبر هو الطريق إلى النصر، وتعد هزيمة أحد اختبارا للمسلمين لأن الله تعالى يختبر عباده بالهزائم والمصائب، فيصبر المؤمنون على قضاء الله ويرضون به، ويجزع ضعاف الإيمان وتزعزع ثقتهم فى إيمانهم.

اغتيال سفيان بن خالد الهندلى:

بعد موقعة أحد مباشرة، قام سفيان بن خالد الهندلى بجمع عدد كبير من الناس من مختلف المناطق والقبائل، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك وعلم أن هذا الرجل يريد تجميع الناس لقتال المسلمين، وأن القضاء عليه سيفرق جمع هؤلاء الناس ويجعلهم ينفضون ويذهب كل منهم إلى حال سبيله، قرر الرسول ﷺ أن يأمر أحد المسلمين بالذهاب لاغتيال هذا الرجل وبذلك يوفر على المسلمين عناء معركة كبيرة خاصة وأنهم كانوا قد خرجوا من معركة أحد منذ فترة قصيرة، ومازالت آثارها وجراحاتها تؤثر عليهم، وقد اختار رسول الله ﷺ لهذه المهمة، عبدالله بن أنيس لأنه كان شجاعا لا يهاب الناس، وخرج عبدالله بن أنيس حتى وصل إلى مكان سفيان بن خالد، ووجد وراءه عددا كبيرا من المقاتلين وقال له عبدالله إنه رجل من قبيلة خزاعة وإنه لما سمع به جاء إليه لينضم إلى جيشه ليقاتل محمدا معه، ثم أخذ يتحدث مع سفيان ويذكر محمدا بالسوء «من وراء قلبه طبعا» حتى اطمأن سفيان له، وفى الليل وعندما نام الناس قام عبدالله بن أنيس فقتل سفيان وقطع رأسه ثم انطلق هاربا حتى اختفى فى غار، وعندما علم أصحاب سفيان بالأمر أخذوا يبحثون عن عبدالله بن أنيس فى كل مكان فلم يجدوه، واستمر عبدالله يختفى فى النهار ويسير بالليل حتى وصل إلى المدينة ووضع الرأس بين يدى رسول الله ﷺ فبشره رسول الله ﷺ بالجنة وأعطاه عصا هدية له، فكان يعتز بهذه العصا حتى أنه أوصى بأن توضع معه فى كفنه بعد موته. وهكذا استطاع الرسول ﷺ بهذه العملية الفردية أن يقضى على مشكلة كبيرة كادت تواجه المسلمين، فقد تفرق جيش سفيان بعد موته.

يوم الرجيع ـ بئر معونة
إخراج يهود بنى النضير

يوم الرجيع:

وحدث فى السنة الثالثة للهجرة، أن جاء إلى الرسول الله ﷺ رجال من قبيلتى عضل والقارة فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين، ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ ستة من أصحابه معهم وهم مرتد ابن أبى مرتد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وزيد ابن الدثنة وعبدالله بن طارق وخرج هؤلاء الستة مع القوم حتى وصلوا إلى مكان بالحجاز يسمى «الرجيع» بالقرب من هذيل فأظهر القوم الغدر بهؤلاء الصحابة وانضم إليهم فى هذا الغدر قوم من قبيلة هذيل عددهم مائة فأخذ الصحابة الستة سيوفهم واستعدوا للقتال، إلا أن هؤلاء القوم قالوا لهم إنهم لا يريدون قتلهم ولكنهم يريدون تسليمهم إلى قريش مقابل بعض المال ووعدوهم بألا يقتلوهم، إلا أن ثلاثة من الصحابة وهم مرتد بن أبى مرتد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت أصروا على القتال وقاتلوهم حتى استشهدوا جميعا، وأراد القوم أخذ رأس عاصم بن ثابت ليبيعوه إلى سلافة بنت سعد التى كانت قد نذرت أن تشرب الخمر فى إناء مصنوع من رأس عاصم لأنه كان قد قتل ولديها يوم أحد، إلا أن هؤلاء القوم لم يستطيعوا الاقتراب من رأس عاصم لأن النحل والزنابير اجتمعت حوله ولم تجعلهم قادرين

على الاقتراب منه، فقال القوم لننتظر إلى المساءحتى تذهب عن رأسه النحل والزنابير فنحمله معنا، إلا أن الله تعالى أرسل ريحا حملت رأس عاصم بعيدا ولم يستطع القوم أخذها ، وكان عاصم قد عاهد الله على ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا، وعندما علم عمر بن الخطاب أن القوم لم يستطيعوا الاقتراب من رأس عاصم قال: «يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع فى حياته».

إذن فقد استشهد الصحابة الثلاثة الذين قرروا عدم الاستسلام للقوم أما الثلاثة الآخرون وهم زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبدالله بن طارق فقد قرروا الاستسلام لأن عدد القوم كان كبيرا ولا يمكن الانتصار عليهم ورأوا أن من الأفضل الاستسلام حتى تحين فرصة للهرب أو النجاة.

وسار القوم بهؤلاء الثلاثة الذين أصبحوا أسرى باتجاه مكة وكانوا قد ربطوهم بالحبال، وعند منطقة تسمى الظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من الحبال ثم أخذ سيفه وفر هاربا إلا أن القوم رموه بالحجارة فاستشهد.

أما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقد باعهما القوم بمكة مقابل أسيرين من هذيل كانا بمكة فأما زيد بن الدثنة فقد اشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف وكان زيد قد قتل أمية بن خلف من قبل فى معركة بدر، فلما أخرجه المشركون لقتله واجتمع عدد منهم ليشاهد هذا القتل فى مكان بالقرب من مكة يسمى التنعيم سأله أبو سفيان قائلا: «أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك؟ قال زيد: «والله ما أحب أن محمدا الآن

فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى، فقال أبو سفيان: « مارأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا». ثم تقدم المشركون فقتلوا زيد بن الدثنة ـ رضى الله عنه.

أما خبيب بن عدى، فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله ثأرا لأبيه وقد ظل محبوسا بعض الوقت فى بيت بمكة تسمى صاحبته «ماوية»،وكانت ماوية كلما راقبت خبيب فى سجنه وجدت عنده عنبا يأكله فى وقت لم يكن به عنب فى أى مكان وكانت تتعجب من أين جاءه هذا العنب ولم تكن تعرف أن هذا من عند الله تعالى، وعندما اقترب موعد موته طلب من صاحبة البيت أن تبعث له بحديدة يتطهر بها «أى موس حلاقة ليحلق به»، فأعطت المرأة الموس لغلام لها وقالت له ادخل بها على هذا الرجل الحبيس، ثم أحست بأنها أخطأت وقالت لنفسها أن خبيب لابد أن يقتل الغلام ليثأر لنفسه، فلما أعطى الغلام الحديدة لخبيب أخذها من يده ثم قال : «لعمرك ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى؟» ثم خلى سبيله أى أطلق سراحه وتركه يخرج لأن خبيب لم يكن غادرا.

ثم خرجوا ليقتلوه فطلب منهم أن يتركوه ليصلى ركعتين فوافقوا على ذلك فصلى ركعتين وأحسن الصلاة ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا أنى طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة، ثم رفعوه على خشبة ليصلبوه وربطوه إليها جيدا فقال خبيب: «اللهم قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا» ثم قال يدعو على المشركين «اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ـ أى متفرقين ـ ولا تغادر منهم أحد» ثم قتله المشركون.

حادثة بئر معونة:

وقد وقعت هذه الحادثة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة،وذلك أن أبا براء بن مالك قد جاء إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فعرض الرسول ﷺ عليه الإسلام فلم يقبل ولم يرفض، وطلب من الرسول ﷺ أن يرسل معه عددا من أصحابه إلى أهل نجد لدعوتهم إلى الإسلام عسى أن يهتدوا، فقال له رسول الله ﷺ: «إنى أخشى عليهم نجداً» فقال عامر أنا جار لهم أى أنا المسئول عن حمايتهم، فوافق الرسول ﷺ وبعث معه سبعين رجلا من المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهى منطقة بين أرض قبيلة بنى عامر وأرض قبائل بنى سليم، وكان مع المسلمين كتاب من رسول الله ﷺ «خطاب» إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء تلك القبائل، فأرسلوا هذا الكتاب مع واحد منهم هو حران ابن ملحان رضى الله عنه، فلما وصل إلى عامر ابن الطفيل لم يقبل عامر بن الطفيل أن يقرأ الكتاب وقام بقتل حران ابن ملحان رضى الله عنه، وحينما طعن حران وسال الدم من وجهه صاح قائلا «فزت ورب الكعبة »، أى أنه استقبل الموت بالسعادة لأنه فى سبيل الله.

ثم قام عامر بن الطفيل عليه لعنة الله ـ يطلب من بنى عامر أن يقوموا معه لقتل المسلمين، إلا أنهم رفضوا ذلك وقالوا له إنهم لن ينقضوا العهد الذى أخذه أبو البراء على نفسه فى حماية هؤلاء المسلمين، فذهب عامر بن الطفيل إلى قبائل سليم وطلب منهم نفس الطلب، فوافقوا على ذلك، وخرجوا معه وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب وقتلوهم إلا واحدا تركوه جريحا وكان هناك اثنان من المسلمين فى ذلك الوقت، فى مكان بعيد عن تلك المعركة يرعيان الغنم التى

اصطحبها المسلمون معهم، فلما علما بذلك أسرع أحدهما وأخذ يقاتل القوم حتى قتل، أما الثانى وهو عمرو بن أمية فقد وقع فى الأسر،فأخبرهم أنه من «مضر» فأطلقه عامر بن الطفيل، وسار عمرو ابن أمية حتى وصل إلى مكان يسمى «القرقرة» وهناك أقبل عليه رجلان من بنى عامر ونزلا معه فى ظل كان يستظل فيه، وكان هذان الرجلان داخلين فى عهد مع رسول الله ﷺ ولم يكن عمرو بن أمية يعلم بذلك فقام بقتلهما، ثم انطلق إلى المدينة، وأخبر الرسول ﷺ بالخبر فحزن الرسول ﷺ على الصحابة الذين قتلوا فى بئرمعونة، وقرر أن يعطى الدية فى الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية.

إجلاء «إخراج» بنى النضير:

عندما قرر الرسول ﷺ أن يدفع الدية إلى أهل الرجلين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية، ذهب إلى بنى النضير ليطلب منهم أن يساعدوه على ذلك بالمال وذلك طبقا لشروط الحلف الذى كان معقودا بين الرسول ﷺواليهود وهو الحلف الذى عقد عندما دخل الرسول ﷺ المدينة. فلما طلب منهم الرسول ﷺ ذلك، وافقوا على أن يساعدوه على أداء تلك الدية، أو تظاهروا بأنهم موافقون، وتركوه جالسا إلى جنب جدار من جدران أحد بيوتهم، ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يقوم أحدهم بإلقاء صخرة كبيرة من فوق البيت على الرسول ﷺ ليقتلوه، واختاروا من بينهم عمرو بن جحاش بن كعب لأداء هذا العمل، إلا أن أحدهم وهو سلام بن مشكم قال لهم لا تفعلوا لأن الله تعالى سوف يخبره خبركم ويفضحكم ولأن ذلك معناه نقض الحلف الذى بينكم وبين المسلمين، إلا أنهم لم يستمعوا له، وعندما قام عمرو بن جحاش ليلقى الصخرة على الرسول ﷺ ، وجاء الخبر من عند الله تعالى يخبر

الرسول ﷺ بالأمر، فقام الرسول ﷺ مسرعا واتجه إلى المدينة، وأخبر المسلمين بالخبر وأمرهم بالاستعداد لقتال بنى النضير وأرسل إليهم رسول الله ﷺ يطلب منهم الرحيل فى مدة عشرة أيام وإلا قاتلهم لأنهم خانوا العهد، ولما كان اليهود يعرفون أنهم بالفعل خانوا العهد ولما كان زعماؤهم هم الذين أمروا رجالهم بقتل الرسول ﷺ ولما كانوا يعرفون أن الرسول ﷺ صادق وأن الله أخبره بفعلهم الشنيع، فإنهم لم يحاولوا أن يقولوا أن هذا لم يحدث أو ينكروا التخطيط للعملية، بل قالوا لن نرحل وسوف نقاتل، وبذلك رفضوا المهلة التى أعطيت لهم وعندما جاء ردهم إلى رسول الله ﷺ صباح يوم من أيام ربيع الأول فى السنة الرابعة للهجرة، قام الرسول ﷺ على الفور فغزاهم فى عصر نفس اليوم ، وهذا يدل على كفاءة المسلمين وسرعة استعدادهم لتنفيذ أوامر الرسول ﷺ بالاستعداد للحرب، وكان المنافقون فى المدينة بقيادة عبدالله بن أبى بن سلول قد أرسل لهم أنه سوف يساعدهم ويمدهم بألفين من المقاتلين من قومه مما جعل اليهود ترفض إنذار الرسول ﷺ، إلا أن عبدالله بن أبى بن سلول لم يوف لهم بهذا العهد.

وصل الجيش الإسلامى إلى بنى النضير عصرا، وتحصنت اليهود بالحصون لأنهم جبناء، وقاموا بإطلاق النبال على الرسول ﷺ وعلى المسلمين، وكان فيهم أحد الرماة اليهود واسمه عزوك وكان ماهرا فى الرمى، فقام على بن أبى طالب واختبأ له وقتله، ثم جاء عشرة من اليهود يريدون التسلل إلى مكان النبى ﷺ لقتله إلا أن المسلمين قتلوهم وأمر الرسول ﷺ بحرق نخلهم وتقطيعه ونزل القرآن الكريم فأيد الرسول فى ذلك لأن اليهود قالت كيف يحرق الرسول ﷺ النخيل، وهو الذى يدعو إلى الإصلاح وترك الفساد ثم أرادت اليهود بعد ستة

أيام من الحصار أن يصالحوا الرسول ﷺ ويخرجوا من المدينة، إلا أن الرسول ﷺ رفض ذلك لأن الأمر أصبح مختلفا بعد وقوع القتال والحصار واشترط عليهم أن يخرجوا بدون سلاحهم فرفضوا ذلك، واستمر الحصار تسعة أيام أخرى فبلغت مدة الحصار خمسة عشر يوما، وأثناء تلك المدة أعلن الرسول ﷺ أن من يسلم من اليهود سوف يأخذ ماله فأسلم اثنان منهم وهما يامين بن عمر وأبو سعد بن وهب، واستطاع أحدهما وهو يامين بن عمر أن ينفذ عملية فدائية ضد اليهود وهذا يدل على أنه أخلص فى إسلامه، وذلك بأنه قام باغتيال ابن عمه عمرو بن جحش الذى كان يريد قتل الرسول ﷺ ، وبعد خمسة عشر يوما استسلم اليهود على شرط أن يخرجوا من المدينة ويتركوا أسلحتهم، وأن يحمل كل منهم ما شاء من ماله أو أمتعته بحيث لا يزيد ذلك على حمل بعير واحد «جمل أو ناقة» فخرجوا فى ستمائة بعير ورحلوا عن المدينة، وكانوا قبل أن يتركوا بيوتهم يخربونها بأيديهم حتى لاتقع سليمة في أيدى المسلمين، ونزلت فيهم آيات كثيرة منها: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ﴾.

وقسم رسول الله ﷺ الأموال التى غنمها من بنى النضير وبيوتهم وأراضيهم وغيرها على المسلمين فأعطاها للمهاجرين ولاثنين من الأنصار كانا فقيرين، وذلك لكى يعوض المهاجرين عما تركوه من المال فى مكة، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك حتى يحقق التوازن الاجتماعى بين المسلمين وحتى لا يظل فيهم فقير أو محتاج.

غزوة ذات الرقاع:

كانت فى السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهرونصف شهر تقريبا

علـى إجلاء بنى الـنضيـر، ويرجع سـبب هذه الغـزوة أنه بعـد أحداث الغدر التى وقعت بـالمسلمين فى يوم الرجيع وبئـر معونة، أراد الرسول ﷺ أن يخيف الأعراب والـقبائل ويجعلهـم يعملون للمسـلمين ألف حسـاب، وألا يتجرأوا عـليهـم بعد ذلك لأنـهم كانـوايظهرون الـغدر والتجرؤ على المسلمين خاصة بـعد معركة أحد، فقام الرسول ﷺ على رأس جيـش المسلمـين وسار فى كـثير من المناطق ليـلقى الرعـب فى قلوب الأعراب،وكان الرسول كلما مر بمنطقة هرب الأعراب واختفوا فى الجبال، وعندما وصل الرسول ﷺ إلى مـنطقة تسمى «نخل» بأرض نجد عسكـر فيها مدة من الـزمن، وكان فيها قـبائل محارب وثعـلبة من غطـفان، وكـانوا قـد تجمـعواقـبل ذلـك وأعلـنوا أنـهم يـريدون قـتال المسـلميـن، فلمـا نزل بهـم الرسول ﷺ خـافوا وشعـروا بالرعـب ولم يحدث قتـال حيث أنهم تفرقـوا ثم عاد الرسول ﷺ إلى المديـنة بعد أن شعرت جميع القبائل والأعراب بأن المسلمين أقوياء.

وقد حدثت الـكثير من الحوادث والمعـجزات المثيرة فى تـلك الغزوة فمنـها مثلا أن الرسـول ﷺ نزل تحت ظل شجـرة ونزل معه المسـلمون يستظلون تحت الشجرة، وعلـق رسول الله ﷺ سيفه على الشجرة ونام، وكذلك نـام المسلمون، فجـاء أحد الأعراب وأخذ سيـف الرسول ﷺ وهو نائـم، واستيقـظ الرسول ﷺ فوجـد الرجل يحـمل السيـف وهو واقف أمام الرسول ﷺ وقد وجه السيف نحوه،وقال الأعرابى للرسول ﷺ : «من يمنعك منـى؟» أي لا يستطيع الآن أحد حمايتـك منى: فقال له الـرسول ﷺ: «الله» أى أن الله يـحمـينى مـنك، فـهدأ الـرجل فـجأة وجلس بين يدى الرسول ﷺ ولـم يعاقبه الرسولﷺ.

ومن المعجـزات التى وقعت بهـذه الغزوة أيضا أن جابـر بن عبدالله

كان قد خرج مع الرسول ﷺ فى هذه الغزوة، وكان يتأخر فى المشى عن الجيش لأن جمله كان ضعيفا لا يستطيع اللحاق بباقى الجمال، فسأله رسول الله ﷺ عن سبب تأخره فقال له إن ذلك بسبب الجمل الضعيف، فقال له الرسول أنخه أى اجعل الجمل يجلس على ركبه ففعل جابروأناخ الرسول ﷺ جمله، ثم أخذ عصا كانت مع جابر ونخس بها الجمل عدة نخسات ثم قال له اركب فلما ركب وجد الجمل يسير بسرعة كبيرة حتى إنه كان يسبق باقى الجمال.

ثم تحدث الرسولﷺ مع جابر بعد ذلك وطلب منه شراء الجمل،فقال له جابر إنه هدية له فرفض الرسول ﷺ وقال له بدرهم ثم بدرهمين إلى أن وصل أوقية،وكان جابر يعول سبع أخوات بنات وقد تزوج بامرأة مطلقة كبيرة السن حتى تستطيع خدمة أخواته البنات وكان أبوه قد استشهد يوم أحد، فلما عاد الرسول ﷺ إلى المدينة ذهب جابر وربط الجمل على باب رسول الله ﷺ فلما رأى الرسول الجمل، أعاده إلى جابر وأعطاه الثمن أيضا وهو أوقية وزاد عليها، وهذا يدل على كرم الرسول ، وعطفه على الصحابة. ومما يروى فى تلك الغزوة أن أحد الأنصار كان يصلى فجاء رجل وأطلق عليه النبال فأصابه سهم فنزعه واستمر فى صلاته ثم أصابه سهم ثان فنزعه واستمر فى صلاته، ثم أصابه ثالث فنزعه واستمر فى صلاته وذلك أنه كان يقرأ سورة من القرآن ولم يحب أن يقطعها.

وقد سميت تلك الغزوة بذات الرقاع، لأن المسلمين فيها قد مشوا كثيرا حتى جرحت أقدامهم وسقطت أظافرهم، حتى أنهم كانوا يلفون على أقدامهم قطعا من القماش القديم ولذلك سميت تلك الغزوة بذات الرقاع.

غزوة بدر الأخيرة:

وقد حدثت فى شعبان فى العام الرابع للهجرة، وكانت هناك غزوتان قبل ذلك سميتا بدرا هى بدر الصغرى ومعركة بدر، وكانت هذه هى الغزوة الثالثة التى تسمى بدرا، وقد خرج فيهارسول الله ﷺ على رأس جيش المسلمين ونزل ببدر ينتظر قدوم أبى سفيان وذلك لأنهما تواعدا على ذلك فى معركة أحد أى أنهما كانا قد اتفقا على أن يعود القتال العام القادم أى بعد أحد بعام وقدخرج أبو سفيان بالفعل بأهل مكة إلا أنه تراجع وقال لقريش لنرجع هذا العام لأنه عام مجدب ثم نعود فى عام يكون خصيبا نرعى فيه الشجر، وهذه حجة قال بها أبو سفيان لأنه خاف لقاء الرسول ﷺ.

واستمر الرسول ﷺ مقيما ببدر مع جيش المسلمين ثمانية أيام إلى أن علم برجوع أبى سفيان فعاد إلى المدينة، وكان عدد الجيش الإسلامى فى تلك الغزوة ألفا وخمسمائة وكانت الخيل عشرة أفراس.

غزوة دومة الجندل:

وقد حدثت فى ٢٥ من ربيع الأول سنة ٥هـ ذلك أن الرسول ﷺ كان قد علم بأن بعض القبائل فى منطقة تسمى «دومة الجندل» بالقرب من الشام كانت تقطع الطريق وتنهب ما يمر بها وأنها حشدت جمعا قريبا تريد الهجوم على المدينة، فخرج الرسول ﷺ على رأس ألف من المسلمين يقصد تلك القبائل وكان يسير بالليل ويختفى فى النهار حتى يفاجئ تلك القبائل فلما اقترب منهم جيش المسلمين تفرقوا وهربوا، فأخذ المسلمون بعض الغنائم ورجعوا إلى المدينة.

وهذه الغزوة تدل على أن نفوذ المسلمين وهيبتهم قد انتشر فى كل مكان من الجزيرة العربية حتى أطرافها البعيدة القريبة من الشام.

غزوة الأحزاب (الخندق)

حدثت غـزوة الخندق فى شوال سـنة٥ هـ ، ذلك أن عددا مـن يهود بنى النـضير قاموا بتحريـض قريش على حرب الرسولﷺ، وقـالوا لها إنهم سوف يساعـدونها فى ذلك فوافقت قريش. ثم ذهـبواإلى غطفان ففعـلوا نفس الشـئ وأخذوا يلحون عـليها حتـى وافقت غطفـان على ذلك. ثم ذهبـوا إلى فزارة وبنى مرةوفعـلوا نفس الشئ فـوافق كل من فزارة وبنى مرة على ذلك، وتواعد الجمـيع على موعد معين، وزحفت جيوشهم على المدينة.

وعندما علم رسول الله ﷺ بذلك استشار أصحابه فأشارعليه سلمان الفارسى رضى الله عنـه بحفر خندق حول المدينة فـأعجب الرسول ﷺ بهذه الفكـرة وأمرالمسلمين بتنفـيذها ولم يكن العرب يعـرفون من قبل فكرة حفر الخـندق، وبدأ المسلمون يحفرون الخـندق وكان الرسول ﷺ يعمل معهم بنـفسه فيساهم فى عملية الحفر أو حـمل التراب حتى كان جسـده الطاهـر يتغـطى بالـتراب، وكان المـسلمـون يعمـلون بأقـصى طاقتـهم،إلا المنافـقين فإنـهم كانوايتسللـون ويتركون الـعمل دون أن يسـتأذنوا الرسـول ﷺ. أما المسـلمون الـصادقون فكـان إذا أراد واحد منهـم أن يذهب إلى قضاء حـاجة ضرورية كان يسـتأذن رسول الله ﷺ فإذا أذن له الرسول ﷺ انطلق إلى حاجته فإذا فرغ منها عاد مسرعا إلى العـمل بجد ونـشاط،وكان الرسـول ﷺ يعمل فـى حفر الخنـدق، فإذا وجد المسلـمون صخرة شديدة لايستـطيعون كسرها ذهـبوا إلى رسول

الله ﷺ فكان يضربها بفأسه فتنكسر إلى قطع صغيرة. وفى إحدى هذه المرات ظهرت للمسلمين صخرة كبيرة لم يستطيعوا تكسيرها، فأخبروا الرسول ﷺ بالأمر، فجاء إلى مكانها وأخذ المعول«الفأس» وقال «بسم الله» ثم ضرب ضربة وقال أعطيت مفاتيح الشام وإنى لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة، أى أن الله سوف يفتح على المسلمين الشام، ثم ضرب الثانيةفقطع آخر (أى قطع من الصخرة قطعة أخرى فقال «الله أكبر أعطيت فارس والله أنى لأبصر قصر المدائن الأبيض»): أى أن المسلمين سوف يفتحون بلاد فارس وهى إيران حاليا، ثم ضرب الثالثة فقال «بسم الله» فقطع بقية الحجر فقال «الله أكبر» أعطيت مفاتيح اليمن والله أنى لأبصر أبواب صنعاء مكانى أى أن المسلمين سوف يفتحون اليمن. وكان هذا يزيد من ثقة المسلمين بنصر الله رغم المحنة التى يواجهونها.

وكان الطعام بالمدينة قليلاجدا، وكان المسلمون يعملون فى حفر الخندق وهم جوعى لا يجدون إلا القليل من الطعام فكانوا يربطون حجراعلى بطونهم حتى يخفف عنهم الشعور بالجوع، وكان الرسول ﷺ يشارك المسلمين الجوع فلم يكن ينفرد من بينهم بالطعام وكان يربط حجرين على بطنه من شدة الجوع وكان الرسول ﷺ والمسلمون يظلون ثلاثة أيام بلا طعام أحيانا.

وفى ذلك الوقت رأى أحدالصحابة وهو جابر بن عبدالله أن الرسول ﷺ جائع أشد الجوع، فذهب إلى زوجته فأخبرها بذلك وسألها إن كان فى البيت طعام.، فقالت له إن عندها شاة صغيرة وبعض الشعيرفأمرها أن تجهز الطعام الذى لديها ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ ودعاه إلى الطعام على أساس أن يأتى الرسول ﷺ ومعه عدد قليل رجل أو رجلان من الصحابة إلى هذا الطعام، إلا أن الرسول ﷺ دعا جميع

المسلمين الذين كانوايعملون فى الخندق إلى ذلك الطعام، وأحس جابر بالحرج، لأن مالديه من الطعام لا يكفى إلا عددا قليلا فكيف المئات من الناس، وقال جابر لنفسه: والله إنها لفضيحة» وذهب إلي زوجته وأخبرها بالأمر، فقالت له أأنت دعوتهم أم هو «تقصد الرسول ﷺ ».
فقال جابر بل هو دعاهم قالت دعهم فهو أعلم، وأقبل رسول الله ﷺ ومعه المسلمون وقال لجابر أن يغرف من الطعام وأن يغطى الإناء الذى فيه الطعام، ففعل جابر وأخذ المسلمون يأتون عشرة بعد عشرة فأكلوا جميعا وشبعوا والطعام لم ينقص شيئا وأكل جابر وأهله وشبعوا وقال لهم رسول الله ﷺ أن يهدوا من الطعام الباقى إلى الناس لأن الناس كانوا فى مجاعة.

وفى أثناء حفر الخندق أيضا جاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من التمر إلى الخندق ليتغذى بها أبوه وخاله، فمرت برسول الله ﷺ فطلب منها التمر ووضعه فوق ثوب ثم دعا كل العاملين فى حفر الخندق فأخذوا يأكلون منه وكلما أكلوا زاد التمر حتى شبع الجميع ومازال التمر كثيراً.

واستمر المسلمون يحفرون الخندق ومعهم رسول الله ﷺ حتى أتموا الحفر.

وجاءت جيوش قريش وغطفان وبنى فزارة وبنى مرة وكانوا أكثر من عشرة آلاف مقاتل،وعسكرت تلك الجيوش فى نواح مختلفة خارج المدينة، لأنها فوجئت بوجود خندق أمام المدينة، وكان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل.

وحتى يكتمل حصار المسلمين من كل الاتجاهات ذهب أحد اليهود وهو حى ابن أخطب النضرى إلى كعب بن أسد القرظى رئيس يهود

بنى قريظة، وكان يهود بنى قريظة حتى ذلك الوقت فى عهد مع الرسول ﷺ، وأخذحى بن أخطب يقنع كعب بن أسد بالانضمام إلى قبائل المشركين التى تحاصر المدينة وأن ينقض العهد مع المسلمين فتردد كعب بن أسد إلا أن حى بن أخطب أخذ يلح عليه حتى أقنعه فى النهاية بنقض العهد مع رسول الله ﷺ والانحياز إلى الجيوش التى تحاصر المسلمين، وعندما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل بعض أصحابه ليعرفوا حقيقة الخبر وهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة، فلما وصلوا إلى بنى قريظة، قال لهم زعيم بنى قريظة، أنه لا عهد بيننا وبين محمد، فعادوا إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بالأمر، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبرأبشروا يامعشر المسلمين» أى أن الرسول ﷺ كان على ثقة من النصر رغم نقض بنى قريظة للعهد.

كانت المدينة محاصرة من كل الاتجاهات، وكان المسلمون فى بلاء شديدا، واعتصم المسلمون بالصبر وأخذ الرسول ﷺ يدعو الله أن ينصر الإسلام، أما المنافقون فإنهم أخذوا يطلقون الشائعات ويشككون فى صدق النبى ﷺ وقالوا كيف كان الرسول ﷺ يعدنا بفتح فارس وكنوز كسرى ونحن الآن لا نأمن على أنفسنا أن نذهب إلى الغائط « الغائط مثل دورة المياه حاليا»، وكان بعضهم يأتى للرسول ﷺ أمام جمع من الناس ويقول له: «يا رسول الله إن بيوتناعورة» وذلك حتى يثير اليأس فى نفوس المسلمين. فلما اشتد الحصار والبلاء أراد الرسول ﷺ أن يصالح غطفان وأن يجعلهم يرجعون عن المدينة مقابل أن يعطيهم ثلث المدينة وبذلك يخفف العبء عن المسلمين شيئا ما. وعندما استشار زعماء المدينة وهم سعد بن معاذ زعيم الأوس، وسعد بن عبادة زعيم الخزرج، فقالا: لا يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصفه لنا، أى أنهم قالوا له أنه

لو كان الأمر من الله فهم لابد أن ينفذوه، ولو كان أمرا يحبه الرسول ﷺ فهم أيضا سيفعلونه، أما لو كان مجرد عمل يصفه لهم ففى تلك الحالة يمكن أن يقبلوا أو يرفضوا، فقال لهم الرسول ﷺ: «بل شئ أصنعه لكم » فقال سعد بن معاذ:« يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك ولم يعقد الاتفاق مع غطفان، أى أن سعد بن معاذ قال: «إنهم كانوا مشركين مثلهم من قبل ولا يعرفون الله ولا يعبدونه ومع ذلك لم تكن غطفان أو غيرها تطمع فى أن تأخذ شيئا من ثمار المدينة إلا القرى «أى طعام الضيوف » وليس من المعقول أن يعطوهم ذلك بعد أن أعزهم الله بالإسلام وبرسول الله ﷺ وأن من الأفضل عدم توقيع تلك الاتفاقية وترك الأمر للحرب وحكم السيف.

وفى أثناء الحصار، حدثت بعض المناوشات وذلك بأن مجموعة من فرسان قريش أخذت تبحث عن مكان ضيق من الخندق لتقتحمه بخيولها حتى وجدت مكانا ضعيفا فعبرت منه إلى الناحية الأخرى إلا أن مجموعة من المسلمين بقيادة على بن أبى طالب استطاعت أن تمنع هذا الاقتحام والتحمت فى قتال مع تلك المجموعة وردتها على أعقابها وقتل فرسان قريش ومنهم عمر بن ود قتله على بن أبى طالب.

وبينما المسلمون على تلك الحالة ينتظرون فرج الله، جاء رجل يسمى نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ وقال له إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت فقال له رسول الله ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخذ عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة، أى أن الرسول

ﷺ طلب منه أن يعمل على تفريق جموع الجيوش المحاصرة للمدينة بالخدعة والحيلة على أساس أنهم لم يعرفوا أنه أسلم بعد وبالتالى يمكن أن يثقوا فى كلامه.

فخرج نعيم بن مسعودواتجه إلى بنى قريظة وكان صديقا لهم من قبل وقال لهم مامعناه أنهم يجب أن تحتاطوا لأنفسكم من قريش وغطفان وأن تأخذوا منهم عددا من الأشخاص كرهائن، حتى تضمنوا أن يستمروا معكم فى القتال إلى النهاية لأنهم لو رحلوا وتركوكم فإنهم سيذهبون إلى بلادهم ولن يخسروا شيئاأما أنتم فإنكم سوف تتعرضون للخطر أنتم وأولادكم ونساؤكم وأموالكم لأنكم تقيمون فى المدينة ومن الممكن أن ينتقم منكم المسلمون بسهولة فاقتنع بنو قريظة بهذا الرأى ثم ذهب نعيم بن مسعود إلى قريش، وقال لهم ما معناه إننى صديق لكم ومشرك مثلكم ومن واجبى أن أنصحكم وأننى علمت أن اليهود من بنى قريظةقد أرسلوا إلى الرسول ﷺوطلبوا استمرار العهد معه وقالوا له إنهم سوف يخدعون قريشا وغطفان ويأخذون منهم بعض زعمائهم كرهائن ثم نسلمهم لك فتقتلهم ثم ننضم إليك ونقاتلهم جميعا، ثم ذهب إلى غطفان وقال لهم نفس الشئ.

ثم أرسلت قريش وغطفان بعض رجالها إلى بنى قريظة وطلبوا منهم الانضمام إلى الجيوش المقاتلة حتى يقوموا بالقتال المتفق عليه بينهم ضد محمد ﷺ إلا أن اليهود ماطلوا وأخذوا يتحججون بأن اليوم هو السبت وهم لا يعملون فيه شيئا ثم طلب اليهود منهم بعض الرهائن وقالوا لهم إننا نخشى إذا اشتدت الحرب عليكم أن تنسحبوا إلى بلادكم وتتركونا فى بلدنا نواجه المسلمين وحدنا فلا نقدر عليهم فظنت قريش وغطفان أن ذلك خدعة كما قال لهم نعيم بن مسعود.

فقال لهم رجال قريش وغطفان لن نعطيكم رجلا واحدا ويجب عليكم أن تخرجوا للقتال معنا وعندئذ قالت بنو قريظة لبعضها بعضا إن كلام نعيم بن مسعود صحيح وقالوا لقريش وغطفان لن نقاتل معكم وبذلك استطاع نعيم بن مسعود بذكائه أن يفرق بين صفوفهم.

وبعد حصار استمر قرابة الشهر والمسلمون صابرون واثقون بالله، جاءت ريح شديدة هوجاء، فاقتلعت خيام المشركين وقلبت قدورهم وأوانيهم ودفعتهم بعيدا فى الصحراء وكانت الليلة مظلمة واختلط المشركون ببعضهم البعض فى اضطراب شديد وعدم نظام ولم يكن الرجل يعرف من بجانبه من شدة الظلام وشدة الرياح وعندئذ قال أبو سفيان لقومه ما معناه أن الانسحاب أصبح ضروريا لأن الرياح شديدة، والأمور سيئة والخيام تتساقط ولا تستطيعون أن تشعلوا نارا أو تصنعوا طعاما، ولأن بنى قريظة قد خذلونا وقام أبو سفيان فرحل ورحل معه قومه سريعا، وعندما علمت غطفان بذلك رجعت هى الأخرى إلى بلادها.

وكان الرسول ﷺ عندما اشتدت الريح قد أمر حذيفة بن اليمان بالتسلل إلى جيش المشركين ليعرف أخباره فذهب حذيفة وعرف تلك الأخبار فعاد وأخبر بها رسول الله ﷺ.

وفى الصباح انصرف الرسول ﷺ والمسلمون عن الخندق إلى المدينة بعد أن نجاهم الله تعالى من مؤامرات اليهود والمشركين.

وبعد يوم الخندق كان المسلمون يهاجمون المشركين فى بلادهم ولم يعد المشركون قادرين على الهجوم على المسلمين فى المدينة، وقال رسول الله ﷺ عقب غزوة الخندق: «نغزوهم ولا يغزوننا» أى سوف نهاجمهم ولا يهاجموننا».

غزوة بنى قريظة

خانت بنو قريظة العهد مع المسلـمين، وانضمت إلى جيوش القبائل التى كانـت تحاصر المدينة فى غزوة الخـندق، وكانت هذه الخيانـة خيانة فظيعة.، لأنها جاءت فى وقت حرج جدا بالـنسبة للمسلمين وكان من الممكن لولا عناية الله ولطفه أن تؤدى إلـى نهاية الإسلام والمسلمين فى المدينة علـى يد تلك الجيوش الكثـيرة التى جاءت لحرب المسلـمين من قريـش وغطفـان وفزارة وبنـى مرة ومن مـعهـم من اليـهود وغيـرهم، وبانـضمام بنـى قريظة إلـى هؤلاء أصبـح المسلمـون فى خطر شـديد، وأصبحوا بين فكـى كماشة بين جيوش القبائل من ناحـية وبنى قريظة من ناحية أخرى.

وبمجرد عودة الرسول ﷺ من غزوة الخـندق، وما أن وضع المسلمون السلاح، حتى جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ فى وقت الظهر وقال له أوضـعت السلاح يـا رسول الله؟ قال نعم. فـقال جبريـل فإنى عامد إليـهم فمزلزل بهم أى سـأذهب إليهم وأزلزلهـم فأمر رسول الله ﷺ المسلـمين بالذهاب فـورا إلى بنى قريـظة وأرسل مناديا يـنادى فى الناس «من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة» أى من كان يطيع أوامر الرسول ﷺ فلا يصلى العصر إلا فى بنى قريظة أى ينطلق فورا إلى هناك ، ونفذ المسلمون الأمر وأعلى الرسول ﷺ الراية

لعلى بن أبى طالب فساربها إلى هـناك غرسها بأرض بنى قـريظة وفى الطريـق جاء وقت العصـر فصلى بعـض المسلمـين ولـم يصل الـبعض الآخر وقالوا إن الرسول ﷺ أمرهم ألا يصلوا العصر إلا فى بنى قريظة ولكنهم لم يصلوا إلى هنـاك إلا بعد فوات وقت العصر ودخول وقت العشاء فـصلوها قضاء وكان تصـرف الطرفين صحيـحاأى أن تصرف من صلى صحيحا وتصرف من لم يصل صحيحا لأن الرسول لم ينكر أى من الموقفين أو التصرفين.

وعندما اقتـرب على بن أبى طالب سمـع يهود بنى قريظة يـشتمون النبى ﷺ فرجع حـتى لقى الرسول ﷺ بالطريق وطلـب منه ألا يقترب من حـصون بـنى قريـظة لأن علـيا أحـب ألا يسمـع الرسـول ﷺ هذه الشتائم من بنى قريظة فقال لـه الرسول ﷺ : لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى. قال عـلى: نعم يـا رسول الله. قال: لو رأونـى لم يقولـوا من ذلك شيـئا، فلمـا اقترب رسول الله ﷺ من حـصونهم قـال: «يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمتـه، قالوا :« يا أبا القاسم ما كنت جهولا» أي يا محمد ارفق بنا.

اكتمل وصول المسلمين إلى بنى قريظة فى وقت العشاء وحاصروها حصارا شـديدا وأخذ الطرفـان يتبادلان رمى الـسهام ساعة مـن الزمن وكان الـرسول ﷺ واقفا عـلى فرسه وحـوله المسلـمون وقام سعـد بن عبادة بإرسال كميات كبيرة من التمر إلى جيش المسلمين فأكلوا جميعا وقال الرسول ﷺ نعم الطعام التمر.

وفى الـيوم التالـى أى فى الصباح من اليـوم التالـى رمى المسلـمون اليـهود بالنـبال والحجارة وفـعلت الـيهود نفـس الشئ وهم فـى داخل

حصونهم لا يريدون الخروج للقتال، ثم استمر الأمر على ذلك حتى المساء وفى اليوم التالى نزل أحد اليهود وهو «نباش بن قيس» وطلب من الرسول ﷺ السماح لبنى قريظة بالخروج من المدينة مع نسائهم وأموالهم وأولادهم وأن يتركوا سلاحهم أى على نفس الشروط التى رحلت بها بنو النضير فرفض رسول الله ﷺ وطلب منه الاستسلام التام بدون شروط ويعود نباش إلى اليهود بذلك، وتتدارس اليهود الأمر وهم داخل حصونهم ويطلب منهم زعيمهم كعب بن أسد ثلاثة حلول هى إما أن يسلموا ويتبعوا الرسول ويصدقوه وخاصة أنه قد تبين لهم أنه نبى مرسل وإما أن يقتلوا أولادهم ونساءهم بأنفسهم وينزلوا لقتال المسلمين فيكونوا أكثر شجاعة لأنهم لن يخافوا على شئ بعد ذلك وإما أن ينزلوا تلك الليلة وكانت ليلة السبت ليأخذوا المسلمين على غرة ـ أي يفاجئوهم « لأنه ربما كان المسلمون يظنون أن اليهود لا تقاتل فى السبت كعادتها، فرفض اليهود الحلول الثلاثة، فقال لهم زعيمهم أنهم قوم ليس منهم رجل حازم.

ثم أرسل اليهود إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يرسل إليهم أحد المسلمين وهو أبا لبابة بن عبدالمنذر ليستشيروه فى أمرهم، فأرسله الرسول ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه رجالهم وأجهشت النساء والاطفال بالبكاء أمامه، فرق قلبه لهم وسألوه يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح، أى أن الرسول ﷺ سوف يذبحهم، وأحس لبابة أنه قد كشف عن حكم الرسول ﷺ فيهم بدون أن يستأذن الرسول ﷺ فى ذلك وندم على ذلك ندما شديدا، وانطلق على وجهه حتى ذهب إلى المسجد وربط

نفسـه إلى عمود مـن أعمدة المسجـد وقرر ألا يتحـرك من مكانـه حتى يتوب الله عليه ممـا صنع وحتى يسامحه الرسول ﷺ كـما عاهد الله حقا على ألا يذهب إلـى أرض بنى قريظة طوال عمره حـتى لايراه أحد فى أرض خان فيها الله ورسوله.

وعندما علم الرسول ﷺ بذلك، قال : «أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له، فأما إذا فعـل مافعل فما أنا بالـذى يطلقه من مكانـه حتى يتوب الله عليه، فلما تاب الله عليه طلبت أم سلمة من الرسول ﷺ أن تذهب إلى أبى لـبابة فتبشره بذلـك، فأذن لهـا الرسول ﷺ بذلـك، فذهبت إلـيه فبشرته بـالتوبة، وعرف الناس ذلك فـذهبوا ليطلقوه، ولـكنه رفض أن يطـلقه أحد غـير الرسـول ﷺ بنفسـه، فلمـا ذهب الرسول ﷺ لـصلاة الصبح أطلقه، كان أبـو لبابة قد استمر رابطا نفسه بعـمود المسجد ستة أيام، وكانت زوجته تأتى فى مواعيد الصـلاة فتحله للصلاة فيصلى ثم يعود ليربط نفسه بالعمود.

استمر حصار المسلـمين لليهود من بنى قريظة خمـسا وعشرين ليلة وفى أثناء الحصار نزل ثلاثة من اليهودفـأسلموا وانضموا إلى المسلمين وبذلك نجـا هؤلاء الثلاثة بأنـفسهم وأموالهـم، وفى النهاية وبـعد هذا الحصار الـطويل، استـسلمت بـنو قريظـة استسلامـا تاما بدون قـيد أو شرط.

وطلبت قبيـلة الأوس أن يكونوا هم الذين يحكمون فـى بنى قريظة كما حكم عبدالله بن أبى وهو من الخزرج فـى يهود بنى قينقاع، فجعل الرسول ﷺ الحكم فى بنى قريظة إلى سعد بن معاذ وهو زعيم الأوس، وكان سعـد بن معاذ فـى ذلك الوقت جـريحا بسـبب سهم أصـابه فى

غزوة الخندق، فجاء إليه قومه فحملوه على حمار، وكان بعض الأوس يطلب منه الترفق ببنى قريظة لأنهم كانوا حلفاء للأوس من قبل.

فلما ألحوا عليه قال لهم: «لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم» ففهم القوم أنه سيحكم بذبح يهود بنى قريظة بأن يقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى نساؤهم وأولادهم، فقال الرسول ﷺ : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة «أى سموات» أى أن حكم سعد عليهم كان موافقا لحكم الله فيهم.

وتم تنفيذ الحكم فيهم واستراح المسلمون من مكرهم وخديعتهم ونقضهم للعهود.

غزوة بنى لحيان:

وفى جمادى الأولى سنة ٦هـ خرج الرسول ، إلى لحيان يريد الانتقام لأصحاب الرجيع، وتظاهر بأنه يريد الاتجاه للشام حتى يفاجئ بنى لحيان، فلما وصل الرسول ﷺ إلى هناك وجدهم قد احتاطوا للأمر وذهبوا إلى رؤوس الجبال، فلما رأى أنه لم يستطع أن يفاجئهم عاد إلى المدينة واكتفى بأنه قام بتخويفهم وإلقاء الرعب فى قلوبهم.

غزوة ذى قرد:

وبعد أيام قليلة من عودته إلى المدينة بعد غزوة بنى لحيان، وقام بعض فرسان غطفان بقيادة عيينة بن حصن بالهجوم على بعض إبل الرسول ﷺ كانت ترعى بالقرب من المدينة فى منطقة تسمى الغابة وكان يحرسها رجل من بنى غفار وامرأته، وقتل المهاجمون الرجل وأخذوا الإبل والمرأة معهم.

وكان من أول من علم بذلك سلمة بن عمروبن الأكوع فانطلق

بفرسه إلى هناك وكان يصيح حتى يعرف أهل المدينة الخبر، واستطاع ابن الأكوع هذا أن يلحق بالمهاجمين وأن يشتبك معهم بالنبال وكان تارة يهاجمهم وتارة ينسحب حتى لا يتمكنوا منه.

فلما علم الرسول ﷺ بالخبر وذاع الأمر فى المدينة جاء إليه عدد من الفرسان المسلمين بسرعة فأمرهم باللحاق بالمهاجمين حتى يجمع هو المسلمين ويلحق بهم، وانطلق هؤلاء واستطاعوا أن يحلقوا بالمهاجمين وقام أحد هؤلاء الفرسان وهو أبو قتادة بقتل أحد المهاجمين فوضع جثته على الأرض وغطاها ببرده «أى ثوبه»، كما استطاع أحد فرسان المسلمين وهو عكاشة بن محصن قتل اثنين من المهاجمين وتم إنقاذ المرأة وبعض الإبل من أيدى المهاجمين ولما جاء الرسول ﷺ بالمسلمين رأى المسلمون جثة تحت برد «ثوب» أبى قتادة فظنوا أن أبا قتادة قد قتل وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال لهم الرسول ﷺ إنه ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لأبى قتادة وضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه، وسار الرسول ﷺ والمسلمون حتى نزل بمنطقة تسمى ذى قرد وأقام بها يوما وليلة ثم عاد إلى المدينة، وكان باقى المهاجمين ممن لم تقتله السرية الأولى من فرسان المسلمين قد هرب بسرعة وذهب إلى غطفان ووجد الرسول ، أن من الصعب اللحاق بهم.

اغتيال أبى رافع «سلام بن أبى الحقيق»:

كان سلام بن أبى الحقيق وهو يهودى من خيبر وينادیه الناس بأبى رافع من أكثر الناس كيدا للإسلام والمسلمين ، وتدبير المؤامرات لهم وقول السوء فى حق الرسول ﷺ فاستأذن رجال من الخزرج رسول الله ﷺ فى قتله فأذن لهم فخرج خمسة منهم على رأسهم عبدالله بن

عتيك حتى وصلوا خيبر فقال لهم عبدالله بن عتيك أن يجلسوا مكانهم وينتظروه وأنه سوف يحاول دخول حصون خيبر من الباب، وكانت خيبر عليها حصون وأسوار يقف على الباب الخارجى منها بواب لا يسمح لأحد بالدخول إلا بعد معرفة سبب دخوله، وتظاهر عبدالله ابن عتيك بأنه يقضى حاجته ثم غافل البواب ودخل وذهب إلى بيت سلام بن أبى الحقيق وانتظر حتى انصرف الناس من عنده، فدخل البيت وأغلقه من الداخل ثم أخذ يمشى ويصعد فى البيت وكلما وجد بابا أغلقه من الداخل، وذلك لكى يستطيع قتله حتى ولو أحس أهله أو جيرانه بذلك، لأنهم فى تلك الحالة لن يستطيعوا الدخول لأن الباب مغلق من الداخل، وكان الجو مظلما، ولم يستطع عبدالله بن عتيك أن يرى فى الظلام مكان سلام بن أبى الحقيق، فنادى عبدالله بن عتيك قائلا يا أبا رافع «أى سلام بن أبى الحقيق وكان الناس ينادونه أبا رافع» فرد عليه سلام بن أبى الحقيق قائلامن هذا؟ فعرف عبدالله مكان الصوت وضرب سلام بالسيف، فصاح الرجل فضربه عبدالله بن عتيك مرة أخرى عدة ضربات حتى مات، وخرج وفتح الأبواب التى كان قد أغلقها وخرج منها إلا أنه سقط من فوق أحد السلالم وكسرت ساقه فربطها بعمامته واستمر يمشى حتى الباب الخارجى، إلا أنه قرر أن ينتظر حتى يتأكد من موت سلام بن أبى الحقيق، وفى ساعة مبكرة من الصباح سمع أحدهم ينعاه أى يعلن موته، فخرج عبدالله إلى أصحابه وأخبرهم أنه قتل أبا رافع «أى سلام بن أبى الحقيق»، فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، وعرف أن قدمه قد كسرت قال له «أبسط رجلك» أى أفرد رجلك، ففردها فمسح عليها الرسول ﷺ فشفيت فى الحال وكأنها لم تكسر.

غزوة بنى المصطلق

وقعت تلك الغزوة فى شهر شعبان سنة ٦ هـ ، ذلك أنه قد بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يتجمعون لقتاله، وكان قائدهم هو الحارث بن أبى ضرار، فخرج رسول الله ﷺعلى رأس جيش من المسلمين، فالتقى بجيش بنى المصطلق عند منطقة تسمى «المريسيع» وتقاتل الجيشان، وانتصر المسلمون انتصار عظيما وقتلوا عددا من جيش الأعداء وأسروا عددا آخر وأخذوا الكثير من الغنائم والنساء والأولاد من بنى المصطلق وكان من ضمن النساء اللائى وقعن فى أيدى المسلمين جويرية بنت الحارث بن ضرار أى بنت قائد بنى المصطلق، وقد تزوجها الرسول ﷺ بعد الرجوع إلى المدينة، وعندما علم المسلمون بأن الرسول تزوجها قام عدد كبير منهم بإطلاق سراح عدد من الأسرى والسبايا من بنى المصطلق إكراما لها وقد بلغ عدد هؤلاء الذين أطلق سراحهم من أجلها مائة من الأسرى والسبايا.

وقد وقعت فى غزوة بنى المصطلق الكثير من الأحداث الهامة، ومنها أنه فى أثناء تلك الغزوة حدث شجار بين كل من جهجاه بن سعيد الغفارى وكان يعمل عند عمر بن الخطاب وبين سنان بن وبر الجهنى وكان حليفا للأنصار، وكان هذا الشجار بسبب التزاحم على الماء وصرخ سنان يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين وسمع عبدالله بن أبى وكان رأس المنافقين وزعيمهم بذلك الأمر فأراد أن يستغله فى إحداث وقيعة بين المهاجرين والأنصار وكان عنده

مجموعة من المنافقين فقال لهم كلاما كثيرا ينتقص فيه من الرسول ﷺ ومن المهاجرين وكان مما قاله «سمن كلبك يأكلك»، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وقال أيضا للحاضرين «هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم» أى «أنزلتموهم فيها» وقاسمتموهم فيها أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، وكان جالسا فى ذلك المجلس مع عبدالله بن أبى، زيد بن أرقم وكان صبيا صغيرا فى سن البلوغ، فذهب إلى الرسول ﷺ وأبلغه بالأمر فقال الرسول ﷺ : « ياغلام لعلك غضبت عليه؟ أى ربما يكون عبدالله بن أبى قد أغضبك فقلت عليه ذلك بدون وجه حق، فقال الغلام لا والله لقد سمعت منه، قال الرسول ﷺ لعله أخطأ سمعك أى ربما لم تسمع جيدا أو لم تكن دقيقا فى نقل الكلام. قال الغلام لا يا نبى الله، قال الرسول ﷺ فلعله شبه عليك أى ربما لم تفهم حديثه على وجه صحيح قال الغلام والله لقد سمعت منه يا رسول الله، فقال جماعة من الأنصار كانوا موجودين مع رسول الله ﷺ للغلام، كلاما غليظا وأنبوه على ذلك، فقال الغلام والله إنى لأرجو أن ينزل الله على نبيه حتى تعلموا أنى كاذب أم غيرى، وكان عمر بن الخطاب موجودا أيضا فأشار على الرسول أن يقتل عبدالله بن أبى فرفض الرسول ﷺ ذلك وقال له: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» وذهب عبدالله ابن أبى إلى الرسول ﷺ وأنكر وحلف بالله أنه ما قال.

وشاع الأمر وانتشر فى جيش المسلمين، وأمر الرسول ﷺ بالرحيل فى وقت لم يكن متعودا فيه على الرحيل وذلك حتى ينشغل المسلمون بالرحيل بدلا من الانشغال بهذا الأمر حيث إنه أصبح حديث كل الناس ولم يكن للناس حديث غيره، فى ذلك الوقت، فلما ركب الرسول ﷺ دابته استعدادا للرحيل جاءه سعد بن عبادة وسأله لماذا

يخرج فى تلك الساعة الحارة ولم يكن الرسول ﷺ معتادا على الرحيل فى الحر، فقال له الرسول ﷺ: «أو لم يبلغك ما قاله صاحبكم ابن أبى، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منه الأذل قال سعد بن عبادة: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله أرفق به فو الله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه. «أى يستعدون لجعله ملكا أو رئيسا عليهم» فإنه ليرى أنك استلبته «أخذت منه» ملكا.

وفى أثناء الرحيل نزل القرآن الكريم يؤيد كلام الغلام ويؤكد صدقه، فلما نزل الوحى أمسك الرسول ﷺ بأذن الغلام وقال: «وقت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك».

ولما بلغ الخبر إلى عبدالله بن عبدالله بن أبى، وهو ابن عبدالله بن أبى وكان الابن مسلما صادقا أما الأب فكان منافقا والعياذ بالله، فلما بلغ الابن أمر أبيه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : «أنه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أبى فيما بلغت عنه فإن كنت لابد فاعل فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه «أى أقتله بنفسى» فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبى «أى أبى» يمشى فى الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقينا».

وهذا يدل دلالة كبيرة على مدى إيمان الابن لدرجة أنه مستعد لقتل أبيه بنفسه من أجل الإسلام، ومدى سماحة الرسول ﷺ الذى عفا عن عبدالله بن أبى من أجل ابنه المؤمن الصادق.

ولم يقتصر الأمر على موقف ابنه منه بل إن جميع أقاربه وكافة المسلمين عاتبوه وأنبوه وبعضهم قاطعه ولم يكلمه.

حديث الإفك:

فى أثناء رحلة العودة إلى المدينة بعد غزوة بنى المصطلق.، وعندما اقترب الرسول ﷺ من المدينة أمر المسلمين بأن يستريحوا بعض الوقت، وكانت السيدة عائشة زوجة الرسول ﷺ قد خرجت معه فى هذه الغزوة، وفى أثناء وقت الراحة ذهبت السيدة عائشة إلى بعض شأنها وتركت الجمل الذى تركبه وعليه الهودج الذى تجلس فيه، وتأخرت بعض الشئ لأن عقدها كان قد انقطع وضاع منها فراحت تبحث عنه حتى وجدته، وفى أثناء ذلك رحل المسلمون وهم يظنون أن عائشة رضى الله عنها تجلس فى مكانها بالهودج فوق الجمل، فلما عادت لم تجد أحدا فظلت فى مكانها على أساس أن المسلمين سيعودون إليها ليحملوها معهم بمجرد أن يكتشفوا عدم وجودها فى الهودج فوق الجمل وغلبها النعاس فنامت، فلما استيقظت وجدت صفوان بن المعطل وكان قد تأخر عن الجيش، فلما رآها قال إنا لله وإنا إليه راجعون، فلما رأته السيدة عائشة وضعت الخمار على وجهها، ولم يقل لها شيئا ولم تقل له شئ، ثم أناخ لها الجمل فركب «أى جعل الجمل يجلس على ركبتيه حتى تستطيع الركوب » فانطلق يقود الجمل ويمشى أمامه حتى لحقا بالجيش.

وأطلق البعض بعد تلك الحادثة الشائعات على السيدة عائشة رضى الله عنها، واستمر هذا الأمر شهرا وكان الرسول ﷺ متغيرا فى هذا الشهر ولم يكن كعادته مع السيدة عائشة إلى أن نزل القرآن الكريم يبرئ السيدة عائشة رضى الله عنها.

صلح الحديبية

فى ذى القعدة سنة ٦ هـ

رأى الرسول ﷺ فى المنام أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة وطاف واعتمر هو المسلمون، وأنه حلق بعض المسلمين شعره وقصر البعض الآخر شعره، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا بذلك، وظنوا أنهم سوف يدخلون المسجد الحرام فى هذا العام، ولم يكن الرسول ﷺ قد حدد لهم أن ذلك العام هو المقصود بذلك، ولم يقل لهم شيئا من هذا ولم تكن الرؤيا نفسها تعنى أن هذا العام هو المقصود بل حدث ذلك كله بعد هذا العام ثم أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يستعدوا لأداء العمرة فتجهزوا للسفر واستعدوا له. وخرج مع الرسول ﷺ الف وخمسمائة من أصحابه يقصدون العمرة ولايقصدون القتال إلا أن كلا منهم حمل سيفه داخل الجراب وذلك احتياطيا وتحركوا فى اتجاه مكة فلما اقترب الرسول ﷺ من مكة لبس المسلمون ملابس الإحرام حتى يعرف أهل مكة أنه لا يقصد الحرب بل يقصد أداء العمرة، وكان الرسول قد كلف بعض العرب المتحالفين معه باستطلاع أمر قريش، فجاءه أحد هؤلاء وقال له إن كعب بن لؤى قد جمع الناس لقتاله وصده عن المسجد الحرام فاستشار الرسول ﷺ أصحابه فى ذلك فأشار عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأن يتجنب قتالهم لأن المسلمين جاءوا معتمرين ولم يجيئوا

مقاتلين، ولكن إذا منعهم أحد عن المسجد الحرام فإنه يجب أن نقاتلهم ووافق الرسول ﷺ على هذا الرأى.

وكانت قريش قد اجتمعت وتشاورت عندما علمت بنبأ خروج النبى ﷺ وقررت منع الرسول ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام بأى ثمن، ثم أرسلت قريش عددا من الفرسان بقيادة خالد بن الوليد «حوالى ٢٠٠ فارس» فنزلوا بالقرب من المسلمين فى مكان يسمى كراع الغنم، كما نزل باقى جيش قريش فى مكان يسمى «ذى طوى»، وقد علم الرسول ﷺ بذلك عن طريق بعض العرب الموالين له والذين كان الرسول ﷺ قد طلب منهم استطلاع ومعرفة أخبار قريش.

وكانت فرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد قريبة من المسلمين حتى إنهم كانوا يرون بعضهم بعضا، فلما رآهم خالد بن الوليد يصلون الظهر فى جماعة وهم يركعون ويسجدون، فكر خالد فى أن يستفيد من ذلك فى مفاجأة المسلمين وهم يركعون أو يسجدون حتى يصيب عددا كبيرا منهم، وقرر خالد أن ينفذ ذلك عندما يقوم المسلمون بأداء صلاة العصر، إلا أن الله تعالى شرع للمسلمين فى هذا الوقت صلاة الخوف وهى صلاة يؤديها المسلمون فى حالة الحرب أو فى حالة الخوف من مفاجأة الأعداء لهم بحيث لا يفاجئهم الأعداء وهم يصلون، وبذلك لم ينجح خالد بن الوليد فى تحقيق المفاجأة.

اتخذ المسلمون طريقا جانبيا وعرا بحيث يتفادون «يتجنبون»الاشتباك مع فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد، فلما رأى خالد بن ا لوليد ذلك أسرع إلى قريش ليخبرها بالأمر.

وصل المسلمون إلى منطقة تسمى «ثنية المرار» وبركت ناقة الرسول

ﷺ، ثم زجرها الرسول ﷺ فقامت ومشت إلى مكان يسمى الحديبية فأمر الرسول ﷺ المسلمين بأن ينزلوا هناك بالقرب من حوض، وكان معظم المسلمين لم يشرب بعد فاشتكوا إلى الرسول ﷺ العطش، فأخذ سهما من السهام التى معه، وأمر المعلمين أن يضعوا هذا السهم فى الحوض فامتلأ الحوض بالماء حتى شربوا جميعا وشربت الدواب التى معهم.

وأخذ الرسول ﷺ يرسل بعض الشخصيات من قبائل عربية مثل خزاعة وغيرها إلى قريش ليؤكد لهم أنه ما جاء للقتال ولكنه جاء من أجل أداء العمرة، وأرسلت قريش بعض الشخصيات إلى الرسول ﷺ واستمرت المفاوضات على هذا النحو، ولكن بعض شباب قريش المتحمسين للقتال أرادوا أن يفسدوا تلك المفاوضات فقام عدد منهم بالتخطيط للتسلل إلى معسكر المسلمين وعمل بعض الأعمال التى تؤدى إلى نسف مفاوضات الصلح، إلا أن حرس المسلمين استطاعوا أن يمسكوا بهم جميعا ، فقام رسول الله ﷺ بإطلاق سراحهم لكى يثبت رغبته فى عدم القتال وأنه يريد أداء العمرة فقط هو والمسلمون معه، ولكى يؤكد هذا الأمر أرسل أحد كبار الشخصيات الإسلامية وهو عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش ليؤكد لها من جديد أن المسلمين ما جاءوا من أجل القتال ولكن جاءوا من أجل أداء العمرة،إلا أن عثمان بن عفان تأخر فى قريش فقلق عليه المسلمون، وكانت قريش قد تعمدت تأخير عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى يعطوا لأنفسهم الفرصة لكى يتشاوروا أو يقرروا الرأى الأخير، ويبلغوه إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه.

فلما تأخر عثمان بن عفان شاع بين المسلمين أنه قتل، وقال الرسول ﷺ ما معناه لـن ننصرف حتى نقاتـل القوم «لانبرح حتى نناجز القوم» ثم دعا أصحابه إلـى البيعة على عدم الفرار«الهروب» كـما بايع بعض المسلميـن على الموت، وقد بايع جمـيع المسلمين، ماعـدا واحدا منهم تخلف عـن البيعة وكان مـنافقا والعيـاذ بالله، وقد تم عمل هذه الـبيعة تحت شجرة وتسمـى هذه البيعة بيعة الرضوان لأن الله تعـالى قال فيها: «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة».

فلـما عـلمت قـريش بـذلك أحسـت أن موقـفها حـرج،فأسـرعت وأرسلت أحد رجالها وهو سهيل بـن عمر لعقد صلح مع الرسول ﷺ واشترطت ألا تسمح بـزيارة المسلمين للكعبة فـى هذا العام،وقد وافق الرسول ﷺ على الصلح، وقد كانت شروط الصلح هى:-

- أن يرجـع المسـلمون هـذا العام فـلا يزوروا الـكعبـة ولا يدخـلوا مكة،وأن يقوموا بزيارة المسجد ودخول مـكة العام المقبل بها ثلاثة أيام، ولا يكون معهم سلاح إلا السيف فى الجراب، وألا تتعرض لهم قريش فى ذلك إطلاقا.

- وقف الحرب بين الطرفين عشرة أعوام.

- من أحب أن يدخل فى هذا الصلح بجـانب محمدا فليدخل، ومن أحب أن يدخل بـجانب قريش فلـيدخل، وأن أى عدوان على الـقبائل الداخلـية فى الحلف يعـتبر اعتداء علـى الطرف الذى دخلت مـعه هذا الحلف.

- أن من يأتى إلـى المدينة من المسلمـين بمكة ـ وهم المسلـمون الذين كانت قريش قد حبستهم منعـتهم من الهجرة، أى من يهرب من هؤلاء

المسلمين ويذهب إلى المدينة فإن على المسلمين أن يعيدوه إلى مكة، وأنه من جاء من المدينة إلى مكة ، لا تعيده مكة إلى الرسول ﷺ، أى من يذهب هاربا ومرتدا من المدينة إلى مكة فلا تعيده قريش إلى الرسولﷺ.

ثم أمر الرسول ﷺ على بن أبى طالب أن يكتب هذا العهد وأملى عليه : «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو « مندوب قريش» أما الرحمن فو الله ما ندرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم فأمر النبى ﷺ عليا بن أبى طالب بذلك ، ثم أملى، «هذا ما اصطلح عليه محمدا رسول الله» فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ماصددناك «منعناك» عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فقال الرسول ﷺ إنى رسول الله ولو كذبتمونى وأمر عليا أن يكتب محمد ابن عبدالله ويمحو «يمسح» لفظ رسول الله فرفض على بن أبى طالب أن يفعل ذلك بيده، فمحاه «مسحه» رسول الله ﷺ بيده ، ثم تمت كتابة الصحيفة، ودخلت بعض القبائل مع الرسول فى هذا الحلف مثل قبيلة بنى بكر.

كانت شروط هذا الحلف فى ظاهرها لغير صالح المسلمين وخاصة الشرط الذى يقول بأن من يهرب من قريش ويأتى إلى الرسول ﷺ بالمدينة فإن الرسول ﷺ يجب أن يعيده إلى قريش، وحزن المسلمون لذلك فكيف يعيدون المسلمين الهاربين من قريش إلى قريش لتعذبهم وتفتنهم فى دينهم ولماذا يقبلون هذه الشروط، وأظهر المسلمون هذا الحزن والقلق وكان من المفروض أن يعلموا أن الرسول ﷺ وهو يتصرف على حسب أوامر الله سبحانه وتعالى أدرى بالمصلحة. وقد

ثبت فيما بعد أن موقف الرسول ﷺ كان هو الصحيح وأن كل الشروط كانت لصالح المسلمين بما فيها هذا الشرط الذى أغضب المسلمين.

وقد حدثت حادثة جعلت المسلمين يشعرون بالحزن وأن الشروط كانت لغير صالحهم، وذلك أنه أثناء كتابة هذا العهد جاء أحد المسلمين هاربا من قريش وفى يديه القيود ورمى بنفسه بين المسلمين وهو أبو جندل بن سهيل، وهو ابن سهيل بن عمر «مندوب قريش» وكان الموقف حرجا فالابن المؤمن جاء إلى المسلمين، فلما رأى الأب ابنه قال للرسول ﷺ أنه يجب تنفيذ الشروط ورد هذا الابن إلى أبيه أى إعادته إلى السجن الذى كان أبوه قد وضعه فيه، فقال له الرسول ﷺ ما معناه «إنا لم نقض الكتاب بعد» أى لم نوقع على العهد بعد وبالتالى فلا يكون هذا العهد ساريا إلا بعد التوقيع عليه فهدد سهيل ابن عمرو بعدم إتمام الاتفاق فقال له الرسول ﷺ مامعناه «فأجزه لى» أى اسمح لى بألا أرده فقال سهيل ما أنا بمجيزه لك أى رفض أن يعطيه للرسول ﷺ، فألح عليه الرسول ﷺ فى ذلك دون جدوى، ثم أمسك سهيل بابنه أبى جندل وضربه فى وجهه، وأخذ أبو جندل يصرخ بأعلى صوته قائلا: يامعشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى، أى هل تتركوننى يامسلمين لأعود إلى المشركين ليعذبونى ويحاولوا إخراجى من الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ ما معناه «يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم «أى عليك أن تصبر لأننا قد

عاهدنا المشركين على ذلك ولا يمكن أن تخالف شروط العهد، وأن الله سوف ينقذك ومن معك من المسلمين المحبوسين فى مكة.

ثم أخذ سهيل بن عمر ابنه أبا جندل وسار به فى اتجاه مكة، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومشى بجانب أبى جندل وتظاهر بأنه يكلمه وقرب منه مقبض السيف لعله يأخذه ويضرب به أباه إلا أن أبا جندل لم يفعل ذلك وأشفق على أبيه.

وكانت تلك الحادثة سببا فى زياد إحساس المسلمين بأن الشروط ليست فى صالحهم وكانوا فى حزن من أجل ذلك ولم يكونوا يعرفون أن كل هذا سيكون فى صالح المسلمين فى النهاية.

لما فرغ الرسول ﷺ من كتابة العهد مع قريش، أراد أن يقوم ببعض الشعائر وهى الذبح والحلق، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: «قوموا فانحروا أى اذبحوا الذبائح» إلا أن أحدا لم ينفذ أمر الرسول ﷺ وتكرر ذلك بثلاث مرات دون جدوى، وحزن الرسول ﷺ لأن مخالفة المسلمين لأوامره معناها هلاكهم وضياعهم، ودخل على زوجته «أم سلمة» وحكى لها ما حدث فأشارت عليه أن يخرج ولا يتكلم ثم يقوم بالنحر «بالذبح» أمامهم ثم يحلق أيضا، ففعل الرسول ﷺ ونحر وحلق شعره فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا «ذبحوا» وحلقوا شعورهم.

ثم جاءت بعض النساء المسلمات هاربات من قريش، فلما جاء أهلهن يطلبونهن من الرسول ﷺ وفقا لبنود المعاهدة رفض الرسول ﷺ ذلك وقال لهم ما معناه أن نص المعاهدة لا يسمح بذلك لأنها تنص على «وعلى أنه لايأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته علينا»

أى أن النص اشترط رد الرجل ولم يشترط رد النساء وبذلك فلا يلزم الشرط المسلمين برد النساء المسلمات اللائى يهربن من قريش.

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ضمن المسلمين الذين كانوا يرون أن الشروط لغير صالح المسلمين، وكان يشعر بالحزن والغضب فجاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟.. قال : «بلى» «نعم» قال: «أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟.. قال: «بلى» قال: عمر ففيم نعطى الدنية فى ديننا ـ أى لماذا نعطيهم شروطا مجحفة بنا ـ ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم أى لماذا لا نقاتلهم قال الرسول ﷺ يا ابن الخطاب إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا قال عمر أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك أن تأتيه هذا العام ـ أى هل أخبرتك أننا سنأتيه هذا العام ـ قال عمر لا. قال الرسول ﷺ فإنك آتيه ومطوف به أى أننى لم أخبرك أنك ستأتى المسجد الحرام هذا العام ولكنى أخبرتك أنك ستأتى فى المستقبل وإن شاء الله ستفعل ذلك وأنا أوكد لك ذلك مرة أخرى.

كان أبو بكر الصديق، يثق ثقة مطلقة فى صحة موقف الرسول ﷺ ولم يكن يظن لحظة بغير ذلك، ولذلك لم يحزن ولم يغضب من الشروط التى جاءت بالمعاهدة، وذهب إليه عمر بن الخطاب فقال له الكلام الذى قاله للرسول ﷺ، فرد عليه أبو بكر الصديق نفس الردود التى ردها عليه الرسول ﷺ.

وبعد ذلك بقليل نزلت آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.. فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطاب وقرأ له هذه الآيات وعرف عمر أنه

سيكون هناك فتح إن شاء الله فهدأت نفسه واطمأن بعد أن كان غاضبا حزينا.

وقد أحس عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأنه أخطأ فى تلك الحادثة فندم لذلك ندما شديدا، وكان يتصدق ويصوم ويصلى ويسأل الله أن يغفر له هذا الخطأ.

وما أن مرت عدة شهور على صلح الحديبية حتى ظهر للمسلمين أن كل الشروط كانت لصالح المسلمين بما فيها الشرط الذى كان ينص على إعادة المسلمين الهاربين من قريش إليها من جديد، ذلك أنه حدثت العديد من الحوادث التى جعلت قريش نفسها تطلب إلغاء هذا الشرط.

فقد حدث أن أبا بصير ـ وهو رجل من ثقيف وكانت ثقيف حليفة لقريش ـ استطاع أن يهرب من ثقيف ويأتى إلى المدينة، فأرسل أهله فى طلبه رجلين منهما فجاءا إلى الرسول ﷺ وطالبوه بتنفيذ شروط المعاهدة وتسليم أبى بصير إليهم ففعل الرسول ﷺ، وأخذ الرجلان أبا بصير وسارا به حتى خرجا من المدينة فلما وصلوا إلى مكان يسمى «ذا الحليفة» استراحوا بها وأخذوا يأكلون من تمر كان معهم، واستطاع أبو بصير أن يخدع أحد الرجلين حتى أخذ منه السيف وقتله به، وفر الرجل الآخر باتجاه المدينة خوفا من أن يقتله أبو بصير، ودخل الرجل على الرسول ﷺ فى المسجد وهو خائف مذعور وجاء وراءه أبوبصير، وقال أبو بصير للرسول ﷺ ما معناه أنك قد نفذت الشرط ولا شئ عليك الآن، الا أن الرسول ﷺ قال كلاما فهم منه أبو بصير أن الرسول ﷺ لا يريد بقاءه فى المدينة، وأنه سوف يرده إلى المشركين مرة أخرى

وفقا لشروط المعاهدة، فخرج من المدينة وسار حتى وصل إلى ساحل البحر ونزل هناك، فلحق به عدد من المسلمين الذين كانوا يهربون من قريش ولا يستطيعون الذهاب إلى المدينة حتى لا يردهم الرسول ﷺ وفقا لشروط المعاهدة، واجتمع من هؤلاء المسلمين الهاربين عدد كبير بحيث أصبحوا قوة لا يستهان بها، وأخذوا يقطعون الطريق على القوافل التجارية التى تذهب من مكة إلى الشام، وأدى هذا إلى فساد تجارة قريش وذهبوا إلى الرسول ﷺ يرجونه أن يلغى هذا الشرط، فوافق الرسول ﷺ على ذلك، وأرسل إلى هؤلاء المسلمين الهاربين وطلب منهم المجئ إلى المدينة لأن الشرط الذى كان ينص على ردهم إلى قريش قد تم إلغاؤه بناء على طلب قريش نفسها، فذهب هؤلاء إلى المدينة واستقروا بها، وظهر للمسلمين أن هذا الشرط كان لصالحهم لدرجة أن قريشا بنفسها قد توسلت إلى ا لرسول ﷺ حتى وافق على إلغاء الشرط.

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة:

وفى أوائل سنة ٧ هـ، أى بعد صلح الحديبية أسلم كل من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وكانوا من أشجع فرسان قريش، فلما حضروا إلى الرسول ﷺ بالمدينة قال: «إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ أكبادها» أى مكة قد خسرت بإسلامهم خسارة كبيرة، أوأنها ألقت إلى المدينة أفضل أبنائها وأشجعهم.

مكاتبة الملوك والأمراء

دعوة الإسلام دعوة عالمية، وقد أمر الله رسوله ﷺأن يبلغها إلى الناس جميعا، ولذلك قام الرسول ﷺ بدعوة جميع الملوك والأمراء فى ذلك الوقت إلى الإسلام وأرسل إليهم الرسائل بذلك، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من تردد.

الكتاب «أى الرسالة أو الخطاب» إلى النجاشى ملك الحبشة:

وهذا النجاشى كان اسمه أصحمة بن الأيجر، وقد أرسل إليه الرسول ﷺ كتابا مع عمر بن أمية الصخرى فى المحرم سنة ٧ هـ . ونص الكتاب :«هذا كتاب من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية «بدعوة» الإسلام فإنى رسول الله، فأسلم تسلم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فإن أبيت «رفضت» فإن عليك إثم النصارى من قومك».

وقد أسلم النجاشى «أصحمة بن الأيجر»وأرسل إلى الرسول ﷺ كتابا بذلك، وقال أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، كما بايعه وبايع

ابن عمه جعفر بن أبى طالب وأسلم على يديه وكان جعفر بن أبى طالب موجودا فى الحبشة مع عدد من المسلمين منذ أيام الهجرة إلى الحبشة.

وقد توفى هذا النجاشى «أصحمة بن الأبجر» سنة ٩ هـ ونعاه الرسول ﷺ يوم وفاته وصلى عليه صلاة الغائب.

الكتاب إلى المقوقس ملك مصر:

وكتب الرسول ﷺ إلى المقوقس ملك مصر كتابا يدعوه إلى الإسلام وقد أحسن المقوقس استقبال حامل هذا الكتاب وأكرمه، وأهدى إلى الرسول ﷺ جاريتين وبغلة ليركبها وكسوة، وكانت إحدى هاتين الجارتين هى مارية القبطية التى أنجب منها الرسول ﷺ ابنه إبراهيم، إلا أن المقوقس لم يسلم وإن كان قد أحسن استقبال الرسالة وأهدى إلى الرسول ﷺ بعض الهدايا.

الكتاب إلى كسرى ملك فارس:

وكتب النبى ﷺ إلى كسرى ملك فارس يدعوه إلى الإسلام، فلما وصل الكتاب إلى كسرى مزقه وطلب من حاكم اليمن وكان تابعا له أن يقبض على الرسول ﷺ ويرسله إليه، وعندما بلغ الرسول ﷺ ذلك قال «فرق الله ملكه» فلم يلبث إلا قليلا حتى تمزق ملكه وقامت عليه ثورة فى فارس وقتل على يد الثوار وحل ابنه محله فى الملك، وكان حاكم اليمن قد أرسل إلى الرسول ﷺ برجلين ليهددا الرسول ﷺ ويقولا له أن يسلم نفسه لكسرى، فقال لهما النبى ﷺ أن يلقياه فى اليوم التالى، وفى اليوم الثانى قتل كسرى وعرف الرسول ذلك من الوحى فأخبر الرجلين بذلك، فلما يصدقا ذلك فلما خرجا من عنده

وذهبا إلى اليمن، وأخبرا حاكم اليـمن بقول الرسول ﷺ ثم جاء إليهم الخبر بأن كسرى قد قتل، وتأكدوا بذلك من صدق الرسول ﷺ وأيقنوا أن محمدا رسولا من الله فأسلم هذا الحاكم ورجاله.

الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

وكتب الرسول ﷺ إلـى قيصر ملك الروم كتابـايدعوه إلى الإسلام، فلما تسلم الـقيصر هذا الكتاب أرسل فى طلب بعـض التجار من مكة وكانـوا فى ذلك الـوقت فى رحـلة للـتجارة بـالشام، وكـان منهـم أبو سفيان، فأخذ القيصر يسأله عددا من الأسئلة وأبو سفيان يجيب عليها، وكانت الأسئلة تدور حول نسب الرسول ﷺ وأحواله وأفعاله وأحوال المسلمين وأفـعالهم، وأدرك منها قيصر الـروم أن محمدا رسول من الله وأنه صادق، ثم أعطى حـامل هذا الكتاب بعض الهدايـا إلا أن القيصر لم يسلم.

الكتاب إلى منذر بن ساوى حاكم البحرين:

وكتب الرسول ﷺ كتابا إلى حاكم البحرين يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسـلم هذا الحـاكم وأرسل إلى رسـول الله ﷺ يخبـره أن هناك بـعض النـاس فى الـبحـرين قد أسـلمـوا والبـعض الآخر ظـل علـى الكـفر والبعض الـثالث ظل على اليـهودية والمجوسية، وطـلب من رسول الله ﷺ أن يشير عليه بمـا يفعل، فأرسل الرسول ﷺ إليه ببعـض التعليمات منها أن يترك المسـلمين على ماهم عليه وأن يعفو عـن مرتكبى الذنوب وأن يأخذ الجزية مـن اليهود والمجوس، وقال له الرسـول ﷺ أن يستمر حاكما على البحرين وأنه لن يعزله.

الكتاب إلى رئيس اليمامة:

وكتب النبى ﷺ إلـى هوذة بن على صاحب اليمامة كتـابا يدعوه فيه

إلى الإسلام، فلـما وصل الكتاب إلى رئيـس اليمامة، أحسن اسـتقبال حامل الكتاب وأعطاه الهدايا، ورد على الرسول ﷺ يقول : «ما أحسن ما تدعو إلـيه وأجمله»، والعرب تهـاب مكانى فاجعل لـى بعض الأمر أتبعـك» فرفض الرسـول ﷺ ذلك ودعا الرسـول ﷺ بأن يزول ملـكه، فاستـجاب الله لدعائه، ومـات هوذة بن على بعـد فتح مكة، وقـد أخبر جبريل الرسول ﷺ بذلك أثناء رجوعـه من فتح مكة فقال الرسول ﷺ لأصحابه أنه سوف يخرج من اليمامة رجـلا يدعى النبوة، وهو مسيلمة الكذاب، وأن المسلمين سوف يقتلونه وقد حدث هذا بالفعل فيما بعد.

الكتاب إلى حاكم دمشق:

وكتب النبـى ﷺ إلى حاكم دمشق فى ذلك الـوقت الحارث بن أبى شمر الغسانى يدعوه إلى الإسلام، إلا أن الرجل استكبر وعاند ورفض دعوة الإسلام.

الكتاب إلى ملك عُمان:

وكتـب النـبى ﷺ إلـى ملك عـمان جـيفـر الجلنـدى وأخيـه كتـابا يدعوهما فيه إلى الإسلام، وكان ذلك بـعد فتح مكة، وكان يحمل هذا الكتاب من رسول الله ﷺ إليهما عمرو بن العاص رضى الله عنه، وبعد مناقشات ومفاوضات أسلم الرجلان.

* * *

وهكـذا نرى أن الـرسول ﷺ قـد دعا المـلوك والأمـراء فى الجـزيرة العـربية ومصـر والحبشـة وفارس والروم ودمـشق وغيرهـا، لأن دعوة الإسلام لاتقتصـر على قوم دون قوم أو مكان دون مكـان بل هى دعوة لكل مكان وزمان.

غزوة خيبر

وقد وقعت هذه الغزوة فى شهر المحرم سنة ٧ هـ ، وذلك بعد صلح الحديبية بقليل وتقع خيبر على بعد ستين ميلا إلى الشمال من المدينة، وكان أهل خيبر اليهود مثل باقى اليهود لا ينقطعون يوما عن تدبير المؤامرات على الإسلام والمسلمين وعلى رسول الله ﷺ، وكان لخيبر دور كبير فى غزوة الأحزاب وتحريض القبائل على قتال المسلمين فى تلك الغزوة وكذلك كان لها دور كبير فى جعل بنى قريظة ينقضون العهد مع رسول الله ﷺوينضمون إلى القبائل التى كانت تحاصر المدينة فى غزوة الخندق، وكان الرسول ﷺ ينتظر الفرصة للانتقام من يهود خيبر، وقد جاءت تلك الفرصة بعد توقيع صلح الحديبية واطمئنان الرسول ﷺ إلى عدم هجوم قريش عليه.

ثم إن خيبر قد دبرت خطة لاغتيال الرسول ﷺ، كما كانت تتصل بالمنافقين من أهل المدينة لتنسق معهم الخطط ضد المسلمين.

وبسبب ذلك كله قرر الرسول ﷺ أن يغزو خيبر، ونادى فى الناس بذلك وأعلن أنه لا يخرج معه للقتال إلا راغب فى الجهاد فلم يخرج إلا هؤلاء الذين بايعوا الرسول ﷺ فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان عددهم ألفا وأربعمائة مقاتل.

فلما خرج الرسول ﷺ بهؤلاء المقاتلين، اتصل المنافقون بأهل خيبر

وأخبروهم أن الرسول ﷺ يسير إليهم بجيشه وحرضوهم على القتال وقالوا لهم إن محمدا ليس معه إلا عدد قليل، وليس معه من السلاح إلا القليل جدا، واستعد يهود خيبر للقتال وأرسلوا يطلبون العون من قبيلة غطفان ووعدوهم أن يعطوهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين.

وكان الرسول ﷺ يرصد كل هذه الأحداث ويعرفها من خلال مجموعة من المسلمين أو من الحلفاء الذين كان الرسول ﷺ قد كلفهم باستطلاع أحوال خيبر وغطفان وغيرها، وكان الرسول ﷺ يهتم بمعرفة أخبار الأعداء اهتماما كبيرا، وسار الرسول ﷺ فى اتجاه معين حتى وصل إلى منطقة تسمى «الرجيع» بالقرب من غطفان، وكانت غطفان قد توجهت بجيشها لمساعدة يهود خيبر فلما علمت بأن الرسول ﷺ على مقربة من أرضهم خافوا أن يهاجموا وهم غير موجودين فيها فرجعوا مسرعين إلى أرضهم وتركوا خيبر وحدها، وكان هذا من ذكاء الرسول ﷺ حيث أنه بهذه الطريقة استطاع أن يجعل غطفان تعود إلى ديارها ولا تذهب لمساعدة يهود خيبر.

ثم سار الرسول ﷺ فى اتجاه الشمال بحيث يهاجم خيبر من الشمال ليحقق هدفين أولهما أن يمنع اتصال غطفان باليهود وثانيهما أن يمنع فرار اليهود إلى الشام.

وصل المسلمون إلى خيبر ليلا، ونزلوا بالقرب منها، وانتظروا حتى الصباح فصلى بهم الرسول ﷺ الفجر، فلما رأى أهل خيبر جيش المسلمين قالوا محمدا والله محمد والخميس «الخميس هو الجيش» ثم رجعوا إلى مدينتهم هاربين وتحصنوا بالحصون، فقال النبى ﷺ «الله

أكبر خربت خيبر» «الله أكبر خربت خيبر» «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» أى الويل لمن نذهب لقتالهم.

وكان المسلمون قد نزلوا فى مكان معين، فجاء أحد الصحابة وهو حباب بن المنذر وقال لرسول الله ﷺ مامعناه هل هذا المكان بأمر الله أم هو مجرد مكان يخضع للرأى والاختيار فقال له الرسول ﷺ بل هو الرأى فأشار حباب بن المنذر على الرسول ، بمكان آخر بنزل فيه جيش المسلمين يكون له عدد من الميزات ولا تكون به عيوب المكان الأول، لأن المكان الأول كان فى مواجهة أقوى حصون خيبر، وكان غير مرتفع بحيث يمكن أن تصل إليه السهام بسهولة وغيرها من العيوب، فوافق الرسول ﷺ على ذلك وذهب المسلمون إلى المكان الذى أشار به حباب ابن المنذر.

كانت مدينة خيبر تنقسم إلى قسمين كل قسم به عدد من الحصون، فكان القسم الأول يحتوى على خمسة حصون والقسم الثانى يحتوى على ثلاثة حصون وكانت هناك بعض المبانى والحصون الأخرى التابعة لخيبر إلا أنها كانت صغيرة ولا تصل فى قوتها إلى هذه الحصون الثمانية.

وفى ليلة المعركة، قال الرسول ﷺ لأعطين الراية «العلم» غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وفى الصباح تسابق المسلمون للحصول على الراية حتى يكون كل منهم هذا الرجل الذى يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، إلا أن الرسول ﷺ سأل عن على بن أبى طالب فقال له المسلمون أنه مريض فى عينيه، فطلب الرسول ﷺ أن يأتوا به فجاءوا به فتفل الرسول ﷺ فى عينيه ودعا له فشفى فى الحال،

كأن لم يكن به مرض، فأعطاه الرسول ﷺ الراية فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه بالمسلمين إلى أقوى حصون اليهود «حصن ناعم» ودعا اليهود إلى الإسلام فرفضوا الدعوة، وبرزوا للمسلمين وعلى رأسهم ملكهم ويسمى مرحب وكان معروفا بقوته وخبرته فى القتال فدعا مرحب المسلمين إلى المبارزة فخرج له أحد المسلمين وهو عامر ابن الأكوع إلاأنه قتل فى تلك المبارزة ثم دعا مرحب زعيم اليهود المسلمين إلى المبارزة مرة أخرى فخرج له على بن أبى طالب فبارزه فقتله على بضربة على رأسه، فلما قتل مرحب على يدى على بن أبى طالب خرج ياسر أخو مرحب يطلب المبارزة فخرج له الزبير فخافت أم الزبير «صفية» من أن يقتله ياسرفطمأنها رسول الله ﷺ قائلا لها : «بل ابنك يقتله» وبالفعل قتل الزبير ياسرا.

ثم دار القتال حول الحصن وكان قتالا شديدا واستمر عدة أيام حتى تم فتح الحصن ودخله المسلمون، ثم هاجم المسلمون الحصن الثانى وكان يسمى حصن الصعب بن معاذ، ففرض المسلمون عليه الحصار ثلاثة أيام دون جدوى وفى اليوم الثالث أخذ الرسول ﷺ يدعو الله أن يفتح على المسلمين هذا الحصن فاستجاب الله لدعوته، وهاجم المسلمون الحصن بعد دعاء الرسول ﷺ ونجحوا فى فتحه قبل غروب الشمس.

ووجد المسلمون فيه الكثير من المعدات والطعام والمؤن فأخذوها غنيمة.

ثم هاجم المسلمون الحصن الثالث، وكان يسمى قلعة الزبير، وكان اليهود قد جهزوه، بعدد من الأنفاق تحت الأرض ممتلئة بالماء والطعام

حتى لايؤثر فيهم الحصار فلما حاصرهم المسلمون ثلاثة أيام دون جدوي، جاء رجل إلى الرسول ﷺ وقال للرسول إنك لو حاصرتهم شهرا فلا فائدة لأن لهم شرابا وعيونا تحت الأرض يخرجون بالليل ويشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك «أي يصمدوا أمامك» وأشار عليه أن يقطع عنهم هذه العيون والأنفاق بحيث لا يشربون، فلما فعل المسلمون ذلك خرج اليهود فقاتلوا، قتل نحو عشرة منهم فاستسلم الباقون، وتم فتح الحصن ثم بعد ذلك هاجم المسلمون القلعة الرابعة وكان اليهود قد تحصنوا فيها، ففرض المسلمون عليهم الحصار، وحدثت مبارزة بين اثنين من اليهود واثنين من المسلمين فقتل المسلمان اليهوديين وكان أحد هذين المسلمين هو أبو دجانة الذى أسرع بعد المبارزة إلى اقتحام الحصن وتبعه المسلمون وحدث قتال شديد داخل الحصن إلى أن انسحب اليهود من الحصن وفتحه المسلمون.

ثم هاجم المسلمون الحصن الخامس، وكان من أصعب الحصون ولايمكن اقتحامه بالرجال والخيل بسهولة لأنه كان يقع على جبل مرتفع، وكان اليهود قد تجمعوا فيه مع أولادهم ونسائهم، ولم يخرجوا لقتال المسلمين، بل قاموا بإطلاق السهام عليهم من داخل الحصن وكذلك ألقوا على المسلمين الحجارة، واستمر الحصار مدة طويلة إلى أن أمر الرسول ﷺ بنصب آلات المنجنيق «وهى آلة حربية تقذف الأحجار الكبيرة» وقام المسلمون بإطلاق الحجارة الثقيلة على جدران الحصن حتى تصدع واحد منها، فاقتحم المسلمون الحصن ودار قتال شديد داخل هذا الحصن إلى أن انهزم اليهود فهربوا من الحصن وتركوا أولادهم ونساءهم.

وبفتح هذا الحصن استطاع المسلمون أن يسيطروا على ناحية كاملة من خيبر وهى الناحية التى كان فيها خمسة حصون، ولم يبق إلا ثلاثة حصون فى الناحية الأخرى ففرض المسلمون عليها الحصار لمدة أسبوعين وحدث أثناء ذلك بعض القتال، واضطر اليهود إلى الاستسلام فى النهاية على شرط أن يخرج اليهود مع أولادهم ونسائهم من خيبر ويتركوا ما يمتلكون من مال وأرض وذهب وفضة وسلاح وغيرها لتكون غنيمة للمسلمين، وقبل الرسول ﷺ بذلك واشترط عليهم ألا يخفوا شيئا من هذه الأموال وكانت الغنائم فى تلك المعركة كثيرة جدا حتى إن بعض المسلمين قالوا ماشبعنا حتى فتحنا خيبر، ثم استعمل الرسول ﷺ رجال اليهود ليزرعوا أرض خيبر ويعطوا المسلمين نصف ثمارها.

واستشهد من المسلمين فى تلك المعركة ستة عشر رجلاوقتل من يهود خيبر ثلاثة وتسعون قتيلا.

وتزوج الرسول ﷺ بعد هذه المعركة السيدة صفية، وكانت زوجة أحد زعماء اليهود الذين قتلوا بسبب غدرهم، وكانت قد وقعت فى الأسر فأعتقها الرسول ﷺ وتزوجها.

وقد حاول بعض اليهود أن يخفى أمواله إلا أن الله كشف سره وفضحه وتم استخراج تلك الأموال ومعاقبة الذين حاولوا إخفاءها.

محاولة قتل الرسول ﷺ بالسم:

بعد أن أتم المسلمون فتح خيبر بإذن الله تعالى - واطمأن الرسول ﷺ إلى ذلك، قامت إحدى اليهوديات وهى بنت الحارث «زوجة سلام ابن مشكم» أحد زعماء اليهود بتدبير خطة خطيرة لدس السم فى طعام

الرســول ﷺ ، وهكذا فإن اليهـود مثـل الحية تقطـع رأسها فيـتحرك ذيلها.

تظاهرت زينب بنت الحارث بالتودد إلى الرسول ﷺ وإلى المسلمين فأخفت الحقد فـى قلبها وأظهرت الود من طرف لسـانها، وذهبت إلى رسول الله ﷺ لتدعوه إلـى الطعام، وسألت أى الأعضاء يـحبه الرسول ﷺ أكثر وأى نـوع من اللحم يـفضل، فعـرفت أنه يفضـل ذراع الشاة، وذبحت المرأة الماكرة شاة وجهزتها للطعام، وجاءت بالسم فوضعته فى الشـاة كلها ثـم أكثرت من هـذا السم فـى ذراع الشاة، وجاءت تحـمل الشاة بين يديها وتحمل الحقد والغل والكراهية فى قلبها ووضعت الشاة المشوية أمام الرسول ﷺ ليأكل منها ثم انـصرفت وهى تمنى نفسها بقتل الرسول ﷺ لتـشفى قلبهـا الأسود الحقود، فلمـا أخذ الرسول ﷺ ذراع الشاة ووضع قطعة منها فى فمه لم يستـسغ طعمها فلفظها على الفور، ثم قال إن هـذا العظم ليخـبرنى أنه مسمـوم. ثم أمر المسلمـين أن يأتوا بهذه المـرأة فلما جـاءت انهارت واعترفـت بفعلهـا الإجرامى الشـنيع، فلما سألها الرسول ﷺ عن دوافعها لذلك أجابت أنها قالت لنفسها إن كان ملكا استرحـت منه وإن كان نبيا فسيخبر بـذلك أى سوف يعلمه الله بذلك، فعفا عنها الرسـول ﷺ ، إلا أن أحد الصحابة الذين شاركوا الرسول ﷺ فـى هذا الطعام المـسموم قد مات مـتأثرا بذلك الـسم وهو الصحابى بشر بن البراء بن معرور، وكـان قد بلع قطعة من اللحم قبل أن يعلم من الـرسول بأن الشاة مسمومـة فمات متأثرا بهذا الـسم، فلما رأى الرسول ﷺ ذلك، أتـى بالمرأة فقتلها قـصاصا لمقتل بشـر بن البراء رضى الله عنه.

يهود فدك:

كان الرسول ﷺ أثناء سيره إلى خيبر قد أرسل أحد الصحابة وهو محيص بن مسعود إلى يهود فدك ، إلا أنهم تباطأوا فى الرد انتظارا لما سوف ينتج عن غزوة خيبر، فلما هزم المسلمون أهل خيبر وفتحوا حصونها شعر يهود فدك، بالخوف والرعب فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يعطوه نصف ثمار بلدهم «فدك» فقبل الرسولﷺ ذلك منهم.

وادى القرى:

ولما فرغ الرسول ، من خيبر ذهب إلى وادى القرى وكان بها جماعة من اليهود وانضم إليهم عدد من العرب المشركين فلما وصل المسلمون إلى هناك أطلقت اليهود على المسلمين السهام، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فرفضوا، وطلب أحدهم المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فرفضوا وطلب رجل ثان منهم المبارزة فقتله الزبير بن العوام أيضا، ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فرفضوا ثم برز رجل ثالث منهم يدعوإلى المبارزة فخرج إليه على بن أبى طالب فقتله حتى قتل أحد عشر رجلا منهم،كلما قتل منهم رجل دعا الرسول من بقى منهم إلى الإسلام إلا أنهم كانوا يرفضون. واستمر القتال، وكلما جاء وقت الصلاة ذهب الرسول ﷺ ليصلى بأصحابه ثم يعود إلى يهود وادى القرى فيدعوهم إلى الإسلام فيرفضون، إلى أن جاء المساءثم الصباح فقاتلهم المسلمون بعض الوقت فاستسلم هؤلاء اليهود أخيرا وغنم المسلمون غنائم كثيرة فى ذلك اليوم، وقسم الرسول الغنائم على المسلمين، ثم ظل أربعة أيام

بوادى القري، ثم سمح لليهود بالعمل فى أرض فدك على أن يعطوا الرسول ﷺ نصف ثمارها.

تيماء:

ولما بلغ يهود تيماء نبأ استسلام وهزيمة أهل خيبر ثم فدك ثم وادى القرى شعروا بالرعب وأرسلوا فى طلب الصلح وقبل منهم الرسول ﷺ ذلك على أن يعطوه الجزية.

سرية أبان بن سعيد:

عندما قرر الرسول ﷺ غزو خيبر، أرسل فى نفس الوقت سرية إلى نجد بقيادة أبان بن سعيد وذلك ليلقى الرعب فى قلوب أهل نجد حتى لا يقوموا بأعمال الغارة والقرصنة على المدينة فى غياب جيش المسلمين، وقد أدت هذه السرية مهمتها بنجاح وذهبت إلى خيبر بعد فتحها والتقت بجيش المسلمين هناك.

عمرة القضاء:

فى شهر ذى القعدة سنة ٧ هـ ، قام الرسول ﷺ بالخروج إلى مكة مع المسلمين الذين شهدوا صلح الحديبية إلا من استشهد منهم وخرج معهم عدد آخر من المسلمين فكان عددهم جميعا ألفين سوى النساء والصبيان ودخلوا مكة وفقا لشروط صلح الحديبية وأدوا مناسك العمرة واستمروا بمكة ثلاثة أيام ثم خرجوا منها ورجعوا إلى المدينة وقد سميت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها كانت قضاء عن عمرة الحديبية أو لأنها وقعت حسب المقاضاة أى المصالحة التى وقعت فى الحديبية.

سرية ابن أبى العوجاء:

وبعد العودة من عمرة القضاء - أرسل الرسول ﷺ فى ذى الحجة سنة ٧ هـ ابن أبى العوجاء ومعه خمسون رجلا إلى بنى سليم ليدعوهم إلى الإسلام إلا أنهم رفضوا فحدث قتال شديد بين الطرفين جرح فيه أبو العوجاء وأسر رجلان من العدو.

سرية غالب بن عبدالله:

ثم بعث الرسول ﷺ سرية بقيادة غالب بن عبدالله ومعه مائتا رجل فى صفر سنة ٨ هـ إلى قبيلة مصاب فحدث قتال بين الطرفين وقتل المسلمون من أعدائهم عددا كبيرا وأخذوا بعض الغنائم.

سرية ذات أطلح:

ثم بعث الرسول ﷺ فى ربيع الأول سنة ٨ هـ سرية مكونة من خمسة عشر رجلا بقيادةكعب بن عمير الأنصارى إلى قبيلة بنى قضاعة وكانت قد حشدت رجالها للإغارة على المسلمين فلما التقى الفريقان دعاهم المسلمون إلى الإسلام فرفضوا وأطلقوا عليهم السهام حتى استشهد جميع المسلمين ماعدا رجلا واحدا.

سرية ذات عراق:

كانت بنو هوازن قد أمدت أعداء المسلمين مرة بعد أخرى بالمؤن والسلاح والرجال فأرسل إليهم الرسول ﷺ سرية من خمسة وعشرين رجلا بقيادة شجاع بن وهب فى ربيع الأول سنة ٨ هـ فغنمت غنائم من العدو ولم يحدث قتال.

معركة مؤتة

وهى معركة صعبة خاضها المسلمون، ولكنها كانت تمهيدا لفتح الشام، وقد حدثت فى جمادى الأول سنة ٨ هـ، ومؤتة هى قرية بأرض الشام بالقرب من بيت المقدس، وتعتبر هذه المعركة هى أول معركة خارج الجزيرة العربية بخوضها المسلمون، وكذلك أول معركة يخوضها المسلمون ضد الروم.

سبب هذه المعركة أن الرسول ﷺ قد أرسل كتابا «خطابا» إلى «شرحبيل بن عمرو الغساني» وكان حاكما على البلقاء من أرض الشام وتابعا لقيصر الروم، فلما وصلت الرسالة إلى شرحبيل أمسك بحامل الرسالة وقيده ثم قتله، وكان حامل الرسالة هوالحارث بن عمير الأزدى.

فلما علم الرسول ﷺ ، غضب غضبا شديدا وقرر إرسال جيش لقتال ذلك الرجل، وجهز الرسول ﷺ جيشا مكونا من ثلاثة آلاف رجل، وهو جيش كبير لم يجتمع للمسلمين مثله من قبل إلا فى غزوة الأحزاب.

وجعل الرسولﷺ زيد بن حارثة قائدا لهذا الجيش وأوصى المسلمين أن يكون جعفر بن أبى طالب هو القائد إذا استشهد زيد بن حارثة ثم عبدالله بن رواحة إذا استشهد جعفر، ثم أعطى الرسول ﷺ اللواء إلى زيد بن حارثة.

وأوصى الرسول ﷺ هذا الجيش بالذهاب إلى حيث قتل الحارث بن

عمير فيدعون من هناك إلى الإسلام، فإذا أجابوا كان بها وإلا استعانوا بالله وقاتلوهم وقال لهم: «اغزوا بسم الله فى سبيل الله من كفر الله، لا تغدروا ولا تغيروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ولا تهدموا بناء».

وفى الحقيقة فإن هذه الوصايا التى أوصاها الرسول ﷺ لهذا الجيش تعد من أعظم الوصايا، وتعد وثيقة عظيمة تؤكد أن الإسلام قد قرر مبادئ عظيمة فى الحروب لم تصل إليها البشرية حتى الآن، مثل عدم الغدر والوفاء بالعهود وعدم قتل الأطفال والنساء وكبار السن وكذلك الذين اختاروا العزلة والعبادة أيا كان دينهم، وعدم قطع الأشجار والنخيل وعدم هدم البيوت، ولعلنا نجد الآن أن معظم الجيوش الحديثة لا تراعى هذه المبادئ العظيمة بل تخالفها، ويا ليت كل الجيوش تلتزم بهذه المبادئ.

خرج الجيش الإسلامى من المدينة، تحرك إلى الشام ونزل بمنطقة تسمى معان، وهناك علم المسلمون، أن هرقل ملك الروم قد جاء بجيش يتكون من مائة ألف مقاتل وأنه انضم إليه مائة ألف مقاتل آخرون من قبائل لخم وجذام وبلقين وبهراء فأصبح جيش هرقل يتكون من مائتى ألف مقاتل، وكان هذا الأمر مفاجأة للمسلمين، فكيف يواجهون مثل هذا الجيش الضخم جدا.

أخذ المسلمون يفكرون فى الأمر ويتشاورون فيما بينهم وفكروا فى أن يرسلوا إلى الرسول ﷺ بتلك الأخبار فإما أن يمدهم بالرجال وإما أن يأمرهم بالعودة أو يأمرهم بأى أوامر أخرى فينفذوها ولكن عبدالله بن رواحة عارض هذا الرأي، وقال للمسلمين إنهم لا يقاتلون بالعدد والعدة والكثرة ولكن يقاتلون بالدين وإنهم لابد أن ينالوا النصر

أو الشهادة، واستقر الأمر على أن يتوكل المسلمون على الله ويقاتلوا الروم برغم كثرة عددهم وعدتهم.

ونزل المسلمين فى مؤتة، وهناك التقى الجيشان، جيش صغير يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل ولكنه مزود بالإيمان والتقوى وحب الشهادة وجيش كبير ضخم يتكون من مائتى ألف مقاتل مزود بأحدث الأسلحة وأقوى المعدات.

والتحم الفريقان فى قتال عنيف، وكان زيد بن حارثة يحمل الراية ويقاتل بشجاعة وبسالة ومازال يقاتل العدو ويقتل - منه الرجال حتى سقط شهيدا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، وأخذ يهاجم العدو ويقتل ويقاتل إلى أن قطعت يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى إلى أن قطعت يده اليسرى فأمسك الراية بعضديه حتى لا تسقط ولم يزل رافعا الراية حتى قتل ويقال إن جنديا روميا ضربه ضربة قطعته إلى نصفين وأثابه الله تعالى على ذلك فجعل له جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ولذلك سمى جعفر الطيار أو جعفر ذا الجناحين.

وقد روى أن جعفرا أصيب بخمسين طعنة فى جسمه ليس منها طعنة واحدة فى ظهره مما يدل على أنه لم يعط العدو ظهره قط وظل يواجهه رغم كل هذه الطعنات ولم يحاول الفرار قط.

فلما قتل جعفر أخذ الراية عبدالله بن رواحة وتقدم بها وأخذ يقاتل حتى استشهد.

وحينئذ تقدم رجل من بنى عجلان اسمه ثابت بن أرقم فأخذ الراية وطلب من المسلمين أن يختاروا واحدا منهم لحمل الراية فاتفق الناس على خالد بن الوليد، فأخذ الراية وأخذ يقاتل قتالا شديدا حتى انكسر سيفه من كثرة الضرب به، فأخذ سيفا آخر وأخذ يقاتل حتى انكسر

السيف الثانى من كثرة الضرب به، وأخذ الثالث فالرابع فالخامس فالسادس فالسابع فالثامن فالتاسع حتى كسرت فى يده تسعة سيوف من كثرة الضرب بها ولم يبق فى يده إلا سيف يماني واستطاع المسلمون أن يصمدوا طوال النهار، استطاع ثلاثة آلاف مقاتل أن يصمدوا أمام مائتى ألف مقاتل يوما كاملا، ورأى خالد أن من الصعب أن ينتصر على هذا الجيش الضخم جدا، وقرر أن يقوم بعمل خطة حربية ذكية تجعله يتمكن من الانسحاب المنظم بجيشه دون حدوث هزيمة أو خسارة كبيرة.

وفى اليوم التالى جعل خالد ميمنة الجيش فى مكان الميسرة والميسرة فى مكان الميمنة، ومن كان فى أول الجيش جعله فى نهايته وهكذا كما طلب من البعض أن يثيروا التراب فى مؤخرة الجيش حتى يشعر الروم أن المسلمين قد وصلهم مدد كبير فيقع فى قلبهم الرعب والخوف، ونجحت الخطة واستطاع خالد أن ينسحب شيئا فشيئا بالمسلمين إلى الخلف دون أن تطاردهم القوات الرومية لأن الروم خافوا أن تكون هذه خطة، وفى النهاية أفلت خالد بجيشه الصغير دون هزيمة أو دون خسائر كبيرة، واستشهد من المسلمين فى غزوة مؤتة اثنا عشر رجلا أما الرومان فلا يعرف عدد قتلاهم وإن كان سير المعركة يدل على أنه سقط منهم الكثير من القتلى والجرحي، وعندما وصل خالد بجيشه إلى المدينة أحسن الرسول ﷺ استقبالهم وقال هم الكرار بإذن الله أى هم الذين لم يفروا بل انسحبوا انسحابا منظما ووفق خطة عظيمة وذكية لكى يعاودوا القتال بعد ذلك.

وكان لهذه المعركة أثر كبير فى رفع سمعة جيش المسلمين، وإحساس العرب والرومان بالدهشة لقدرة ثلاثة آلاف رجل على الصمود أمام مائتى ألف رجل والانسحاب دون هزيمة أو خسارة كبيرة

مما جعل الكثير من القبائل تدرك أن الله يؤيد المسلمين بنصره وأن الإسلام يجعلهم شجعانا يواجهون أكبر الجيوش وأقواها وقد أسلم عقب هذه المعركة عدد من القبائل مثل بنو سليم وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها.

سرية ذات السلاسل:

لما علم الرسول ﷺ بموقف القبائل العربية التى تقطن مشارف الشام، من قوفهم بجانب الرومان فى معركتهم ضد المسلمين فى معركة مؤتة - قرر الرسول ﷺ أن يقوم بعمل يجعل هذه القبائل لا تتوحد ولا تتجمع، وكان قد وصله أيضا أن تلك القبائل تستعد لتجميع نفسها للهجوم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة، فقرر أن يقوم هو بالهجوم لأن الهجوم خير وسائل الدفاع، وأرسل جيشا مكونا من ثلاثمائة رجل وثلاثين فارسا وجعل عمرو بن العاص أميرا عليهم ذلك لأن عمرو بن العاص كان يتمتع بالمكر والذكاء، فلما سار عمرو أرسل يطلب المدد والعون من الرسول ﷺ فأرسل إليه مائتى مقاتل تحت قيادة أبو عبيدة بن الجراح وكان فيهم أبو بكر وعمر واتحد الجيشان تحت قيادة عمرو بن العاص، وسار حتى وصل إلى تلك القبائل وخاض معها المعارك واستطاع أن يشتت شملها ويجعلها تتفرق وتهرب وبذلك أمن المسلمون من تلك القبائل وظلت هذه القبائل تخاف المسلمين وتعمل لهم حسابا.

سرية أبى قتادة:

وحدثت فى شعبان سنة ٨ هـ، ذلك أن غطفان كان تجمع رجالها لقتال المسلمين فأرسل اليهم الرسول ﷺ خمسة عشر رجلا على رأسهم أبو قتادة فقتل منهم عددا من الرجال وغنم بعض الغنائم وعاد إلى المدينة بعد خمسة عشر يوما.

فتح مكة

فى رمضان سنة ٨ هـ

كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من يدخل من القبائل هذا الصلح إلى جانب الرسول ، أو إلى جانب قريش فإن أى اعتداء عليه يعتبر اعتداء على الطرف الذى دخل معه المعاهدة.

وقد كانت خزاعة قد دخلت فى المعاهدة إلى جانب رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر فى المعاهدة إلى جانب قريش، ومن المفروض وفقا لشروط المعاهدة ألا تعتدى أى قبيلة من هاتين القبيلتين على الأخرى، ولكن حدث أن اعتدت قبيلة بنى بكر على قبيلة خزاعة وذلك بالإغارة عليهم ليلا وساعدت قريش قبيلة بنى بكر على ذلك إلى أن اضطرت خزاعة أن تلجأ إلى الكعبة ومع ذلك لم تتورع بنو بكر عن قتلهم وقتالهم فى الكعبة فلما حدث ذلك أسرعت خزاعة لتخبر رسول الله ﷺ بما وقع عليها من اعتداء وتطلب منه النصرة «أى المساعدة والوقوف بجانبها» وأدركت قريش أنها بهذه الحادثة تكون قد نقضت شروط صلح الحديبية وأصبحت المعاهدة منتهية وأدركت قريش أن الرسول ﷺ لابد سيفعل شيئا وينتقم منها لأنها نقضت العهد والشروط، وكانت قريش تدرك أنه لابد من محاولة عمل شئ لمنع الرسول ﷺ من الانتقام منها، فارسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينة ليحاول لقاء الرسول ﷺ وتجديد المعاهدة.

وعندما وصل أبو سفيان إلى المدينة ذهب إلى ابنته أم حبيبة وكانت

من زوجات الرسول ﷺ ، فلما أراد أن يجلس على فراش الرسول ﷺ قامت ابنته التى هى زوجة الرسول ﷺ بـأخذ الفراش منه ولم تسمح له بالجلوس عليه فتعجب أبو سفيان من هذا وسألها عن السبب فقالت له مامعناه أنت رجل مشرك نجس ولا يصح أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

وخرج أبو سفيان من عند ابنته وذهب إلى الرسول يكلمه إلا أن الرسول ، لم يرد عليه، فذهب إلى أبى بكر الصديق يتوسل إليه أن يتوسط له عند الرسول، فرفض أبو بكر ذلك، فذهب إلى عمر بن الخطاب فطلب إليه أن يتوسط عند الرسول ﷺ فرفض عمر أيضا، فذهب إلى على بن أبى طالب وكانت فاطمة موجودة وكذلك الحسن ابن على وكان مازال طفلا صغيرا فأخذ أبو سفيان يتوسل إلى على ليتوسط له عند الرسول ﷺ دون جدوى ووصلت به حالة الذل واليأس أن طلب من فاطمة رضى الله عنها أن تجعل ابنها الحسن بن على يجير أبا سفيان فقالت له فاطمة مامعناه أنه ما يزال صغيرا والصغير لا يجير وأنه لا يمكن أيضا أن يجير أحدا على رسول الله ﷺ.

وهكذا وصل الذل بزعيم قريش أن يستجير بطفل صغير.

أظلمت الدنيا فى وجه أبى سفيان، وطلب من على بن أبى طالب أن يشير عليه وينصحه فقال له على ما معناه ليس أمامك حل إلا أن تذهب إلى المسجد وتستجير بالناس هناك فربما أجارك أحدهم، ففعل الرجل ولكن أحدا من الناس لم يستجب إليه ولم يقبل الرسول ﷺ أن يجيره ورجع أبو سفيان زعيم قريش إلى مكة حزينا خائبا ذليلا فأخبر قريشا بالأمر.

استعد رسول الله ﷺ للزحف على مكة، إلا أنه تعمد أن يرسل سرية من ثمانية رجال إلى مكان يسمى «بطن أضم» حتى لا يلفت نظر أحد إلى أنه يقصد مكة، وقد لحقت به هذه السرية فيما بعد فى الطريق إلى مكة.

وكان أحد المسلمين، وهو حاطب بن أبى بلتعة قد استأجر إحدى النساء وأعطاها كتابا إلى قريش يخبرهم فيه أن الرسول سائر إليهم ، وقد أخبر الله رسوله بذلك، فأمر على بن أبى طالب والمقداد أن يلحقا بالمرأة فى مكان يسمى «روضة الفخاخ» ويستعيدا منها هذا الكتاب، فلما وصل على والمقداد إلى المرأة وسألاها عن الرسالة «الكتاب» الذى معها أنكرت فقالا لها مامعناه إنهما متأكدان أن الكتاب معها لأن الرسول ﷺ قال ذلك وأن الرسول ﷺ لا يكذب وهو يعلم الأخبار من الله تعالى، وهدداها بالتفتيش، فاضطرت أن تخرج الكتاب وتعطيه لهما، فرجعا بالكتاب إلى الرسول ﷺ فلما قرأه الرسول ﷺ وجد فيه أنه من حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرها فيه بزحف الجيش الإسلامى على مكة، فطلب الرسول ﷺ حاطبا ، وقال له : ما هذا يا حاطب؟ فقال حاطب مامعناه إنه يؤمن بالله ورسوله وإنه لم يرتد ولكنه خاف على أولاده وعشيرته فى مكة خاصة وأنه لا يوجد لهم أحد يحميهم ثم أخذ يقدم الحجج والاعتذارات للرسول ﷺ، وكان عمر بن الخطاب حاضرا فطلب من رسول الله ﷺ أن يسمح به يضرب عنق حاطب لأنه خان الله ورسوله، إلا أن الرسول رفض ذلك وعفا عن حاطب ،لأنه كان قد قاتل مع الرسول ﷺ فى معركة بدر. قال الرسول ﷺ : «لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فبكى عمر من التأثر وقال الله ورسوله أعلم.

نزل الرسول ﷺ بمنطقة تسمى «مر الظهران» بالقرب من مكة وكان الوقت عشاء فأمر الرسول ﷺ المسلمين أن يوقدوا النيران، فأوقد المسلمون عشرة آلاف شعلة من النار وكان أبو سفيان قد خرج ليعرف أخبار المسلمين فلما رأى هذه النار أحس بالرعب والخوف وأدرك أنها نار المسلمين لأن أى قبيلة أخرى لم تكن توقد مثل هذا العدد الكبير من النيران، فلما رأى أبو سفيان ذلك طلب من العباس عم الرسول ﷺ أن يستأمنه عند رسول الله ﷺ ، أى يطلب له الأمان من الرسول ﷺ، فذهب به العباس إلى الرسول ﷺ فقال له الرسول مامعناه إذهب اليوم وتعال غدا، ففعل العباس وجاء به فى اليوم التالي، فلما رآه الرسول ، قال له «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم ألا إله إلا الله فقال أبو سفيان كلاما يتودد به إلى الرسول ﷺ واعترف بأنه لو كانت هناك آلهة أخرى مع الله لكانت هذه الآلهة قد ساعدته فى هذه الحالة السيئة التى وصل إليها. فقال له الرسول «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال أبو سفيان كلاما يتودد به إلى الرسول ﷺ ثم قال أما هذه فإن فى النفس حتى الآن منها شيئا أى أنه ما يزال يشك فى ذلك أو لا يريد أن يعترف به، فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق فأسلم..

ثم قال العباس: «يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا: قال الرسول ﷺ : «نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن».

ذهب أبو سفيان إلى قريش مسرعا وصرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به « أى فى جيش

لاتستطيعون مقاومته» فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن.. وكانت امرأة أبى سفيان تسمع ذلك الكلام فقالت ما معناه اقتلوا هذا الرجل القبيح تقصد زوجها أبا سفيان.

وتفرق أهل مكة فمنهم من دخل المسجد ومنهم من أغلق عليه داره إلا مجموعة منهم كان على رأسها عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو، وأرادت هذه المجموعة أن تقاتل المسلمين فاصطدمت بمجموعة من جيش المسلمين فى منطقة تسمى «الخندقة» فقتل من المشركين اثنا عشر رجلا وفر الباقون.

قام الرسول بتقسيم جيش المسلمين إلى عدة أقسام: فكان خالد بن الوليد على الناحية اليمنى، والزبير بن العوام على الناحية اليسرى ، وكان أبو عبيدة بن الجراح على باقى المسلمين الذين ليس معهم خيل أو الذين لا يحملون سلاحا من الضعاف والنساء والأولاد، وأمر الرسول ﷺ خالدا أن يدخل مكة من أسفلها وأمر الزبير بن العوام أن يدخل مكة من أعلاها وكان يحمل الراية فأمره أن يتقدم بها وينصبها فى مكان بمكة يسمى «الجحون»، وأمر أبو عبيدة بن الجراح أن يدخل مكة من بطن الوادى.

ونفذ هؤلاء أوامر الرسول ﷺ ودخلوا مكة، ولم يحدث إلا قتال قليل بين خالد بن الوليد وبعض مشركى قريش، فى منطقة تسمى الخندقة حيث انهزم المشركون وقتل منهم اثنا عشر رجلا وفر الباقون وكذلك قتل من المسلمين رجلان كانا قد تاها عن الجيش. . ودخل المسلمون مكة وبذلك نصرهم الله وكان فتحا عظيما وخاتمة لرحلة طويلة من الجهاد والقتال ضد مشركى قريش.

ودخل الرسول ﷺ المسجد الحرام وحوله المسلمون فطاف بالبيت وطهره من الأصنام، وتساقطت الأصنام الواحد تلو الآخروالرسول ﷺ يقول : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

ثم قام الرسول ﷺ ودار فى البيت الحرام وكبر «أى قال الله أكبر» فى كل ناحية من نواحى المسجد، وامتلأ المسجد بالناس فقال الرسول ﷺ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.. ثم قال.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ثم قال : يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لاتثريب عليكم اليوم ـ أى عفوت عنكم ـ اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس الرسول ، حتى جاء وقت الصلاة فأمر بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة ففعل بلال، وكان ثلاثة من زعماء قريش هم سفيان ابن حرب وعتاب ابن أسيد والحارث بن هشام يجلسون فى ذلك الوقت فى فناء الكعبة، وقد أخذوا يتحدثون فيما بينهم لا أحد معهم يسمعهم، فأخبر الله تعالى الرسول ﷺ بذلك الحديث، فذهب الرسول ﷺ إليهم وأخبرهم بالحديث الذى تحدثوه مع بعضهم بعضا فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع «أى سمع» على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك. ثم كبر الرسول ، وسجد الشكر، وأمر بقتل مجموعة من المشركين ممن كانوا يؤذون النبى أو يكيدون للإسلام وكان عددهم تسعة ففر بعضهم وقتل البعض الآخر وأسلم

البعض الثالث وفى اليوم التالى للفتح قام الرسول ﷺ فشكر الله وحده وخطب فى الناس خطبة عظيمة.

فلما أتم الله فتح مكة للمسلمين، ظن الأنصار أن الرسول ﷺ سيبقى بمكة لأن كان يحبها ولأنها كانت بلده وتكلم الأنصار فيما بينهم بذلك وأخبر الله رسوله بذلك، فجاء إلى الأنصار فقال لهم ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فأخذ يلح عليهم حتى أخبروه فطمأنهم إلى أنه باق معهم حتى آخر يوم من حياته وقال «معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم».

ثم اجتمع أهل قريش من رجال ونساء، وأعطوا البيعة للرسول ، على السمع والطاعة، وكان موقفا عظيما حيث وقف زعماء قريش من رجال ونساء أمام الرسول ﷺ يعلنون السمع والطاعة له وقد كانوا بالأمس القريب يحاربونه ويؤذونه.

وأقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوما، نظم فيها الأحوال وأرشد الناس إلى الهدى الحق، وكسر كل الأصنام التى كانت بمكة أو كانت حول مكة أو بالقرب منها.

معركة حنين

فى شوال سنة ٨ هـ

كان فتح مكة حدثا عظيما، فوجئت به كل قبائل الجزيرة العربية، فاستسلم بعضها واستكبر البعض الآخر وأراد أن يقاتل المسلمين، وكان من هؤلاء الذين استكبروا ورفضوا الاستسلام قبائل هوازن وثقيف فاجتمعوا تحت قيادة مالك ابن عوف النصرى وقرروا السير لقتال المسلمين.

وأمر قائد هؤلاء المشركين وهو مالك بن عوف أن يخرج مع المقاتلين أولادهم ونساؤم حتى يكون ذلك تشجيعا لهم على القتال: فنصحه أحد المشركين وكان شيخا مجربا بألايفعل ذلك لأن ذلك لاقيمة له لأن المهزوم لا تمنعه أولاده ولا نساؤهم من الهرب والفرار فاستخف مالك بقول الشيخ ولم ينفذه، ثم أرسل بعض المشركين ليتعرفوا ويستطلعوا أخبار المسلمين، فعرف هؤلاء أن جيش المسلمين جيش كبير جدا.

وكان الرسول ﷺ قد خرج فى عدد كبير من المسلمين «١٢ ألفا» وقال بعض المسلمين إن عددنا كبير ولن نغلب بسبب كثرة عددنا، نسى هؤلاء المسلمون أن النصر ليس بالعدد والعدة ولكنه من عند الله تعالى. وقام قائد المشركين بالنزول فى وادى حنين قبل وصول المسلمين . ووزع المقاتلين فى كل الجوانب ومعهم السهام وأمرهم أن

ينتظروا حتى إذا جاء المسلمون انهالوا عليهم بالسهام ثم أمر الباقين أن يهجموا مرة واحدة على المسلمين عندما يقوم زملاؤهم بإطلاق النبال والسهام على المسلمين، فلما وصل المسلمون إلى هذا الوادى فوجئوا بالسهام تنطلق عليهم من كل مكان وفوجئوا بجيش المشركين يهاجمهم مرة واحدة بطريقة شديدة فهرب الكثير من المسلمين.

وتفرقوا فى كل مكان حتى ظن البعض أنها الهزيمة المنكرة لدرجة أن أبا سفيان بن حرب قال لا تنتهى هزيمتهم دون البحر «الأحمر» أى سيظلون يفرون حتى يصلوا إلى البحر، وقال آخر وهو جبلة بن الحنبل ألا بطل السحر اليوم أى انتهى أمر الإسلام اليوم.

وكان الموقف شديد السوء والهزيمة كبيرة، ولكن هنا تظهر شجاعة الرسول ﷺ الذى استطاع بثباته وشجاعته أن يغير مجرى المعركة لصالح المسلمين، ووقف الرسول ﷺ ثابتا شجاعا وأخذ يقاتل مع عدد قليل من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وأخذ الرسول ينادى هلموا إلى أيها الناس أى تجمعوا حولى أيها المسلمون أنا رسول الله محمد بن عبدالله ثم أخذ الرسول ﷺ يقول:

أنا النبى لا كذب: أنا ابن عبدالمطلب.

وأخذ يدعو الله ويتضرع إليه أن ينصره، ثم أمر العباس وكان صوته قويا أن ينادى المسلمين فأخذ ينادى على الصحابة والمهاجرين والأنصار، فلما سمع هؤلاء النداء جاءوا بسرعة كبيرة فانضموا إلى رسول الله ﷺ وأخذ عدد المسلمين يزيد مع الوقت وتنضم منهم أعداد جديدة إلى الرسول ﷺ والتحموا فى قتال شديد مع المشركين، ثم أخذ الرسول ﷺ حفنة من تراب فرمى بها فى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه فامتلأت عيون المشركين جميعا بالتراب وأخذوا يفرون من

أمام المسلمين، واستمر القتال على ذلك عدة ساعات حتى انهزم المشركون هزيمة منكرة وفروا فى كل الاتجاهات وغنم المسلمون الكثير من الغنائم.

وهذه المعركة تثبت أن النصر من عندالله، فحين اغتر المسلمون بكثرة عددهم ونسوا أن النصر من عند الله أصابتهم الهزيمة، ولولا صمود الرسول ﷺ وشجاعته لكانت هزيمة ضخمة للمسلمين، ولكن شجاعة الرسول ﷺ وثباته حولت النصر إلى هزيمة، وقد نزل قول الله تعالى فى تلك المعركة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

لما انهزم العدو، وفر فى جميع الاتجاهات، ذهبت مجموعة منه إلى الطائف ومجموعة إلى «نخلة» ومجموعة إلى أوطاس، فأرسل الرسول ﷺ مجموعات من المسلمين لتطارد هؤلاء الهاربين، فذهبت مجموعة من المسلمين إلى أوطاس يقودهم أبو عامر الأشعرى فحدث قتال بين الطرفين حتى انهزم المشركون وقتل فى تلك المعركة قائد المسلمين أبو عامر الأشعرى وذهبت مجموعة أخرى إلى نخلة وأدركت بعض المشركين وقتلتهم وكان معظم المشركين قد ذهبوا إلى الطائف وتحصنوا بحصونها المنيعة.

حصار الطائف:

وذهب الرسول ﷺ على رأس جيش المسلمين إلى الطائف حيث لجأ إليها معظم جيش المشركين ومعهم قائدهم مالك أبو عوف وتحصن المشركون بحصون الطائف وكانت حصونا قوية . وحدث تبادل

لإطلاق السهام، وكان المشركون يطلقون السهام بكثرة فجرح عدد من المسلمين وقتل اثنا عشر مسلما، ثم نصب المسلمون المنجنيق وهى آلة لرمى الحجارة الثقيلة ورموا بها الحجارة الثقيلة على جدران الحصون.

حتى حدثت ثغرة وشرخ فى أحد الجدران، فدخل منه عدد من المسلمين إلا أن المشركين ألقوا عليهم قطعا من الحديد المشتعلة والملتهبة فرجع المسلمون، وأطلق عليهم المشركون السهام فقتل بعض المسلمين واستمر ذلك الحصار أربعين يوما ولم يستطع المسلمون أن يقتحموا الحصون فأمر الرسول ﷺ المسلمين برفع الحصار والرحيل عن الطائف وكان الرسول ﷺ يأمل أن يهدى الله أهل الطائف فيسلموا ويأتوا إلى الرسول ﷺ.

تقسيم الغنائم:

كان المسلمون قد غنموا فى معركة حنين الكثير من الغنائم، وكانت تلك الغنائم عبارة عن أسر وسبى ستة آلاف شخص، وغنيمة أربعة وعشرين ألفا من الإبل و٤٠ ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، فقام الرسول ﷺ بتقسيمها بين المسلمين إلا أنه أعطى الكثير منها لبعض الشخصيات التى أسلمت حديثا وذلك حتى يجعل قلوبهم تحب الإسلام وتخلص له. ولم يفهم بعض المسلمين هذه الحكمة، واعترض عدد منهم على إعطاء كل هذه الأموال إلى المؤتلفة قلوبهم «وخاصة أن هؤلاء كانوا من الهاربين فى معركة حنين ولم يثبتوا وكان الذين ثبتوا هم المهاجرون والأنصار، وحزن الأنصار لذلك، وبلغ الرسول ﷺ ذلك فجمع الأنصار وتحدث معهم طويلا حتى أطمأنت قلوبهم وهدأوا. وكان مما قال الرسول ﷺ للأنصار فى ذلك الموقف مامعناه: «ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير

وترجعوا برسول الله إلى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار«أى واحدا من الأنصار» ولو سلك الناس شعبا «طريقا» وسلكت الأنصار شعبا «طريقا» لسلكت شعب الأنصار «طريق الأنصار» اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

فبكى الأنصار حتى ابتلت لحاهم «ذقونهم» وقالوا «رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا».

قدوم وفد هوازن «أهل الطائف»:

وبعد توزيع الغنائم، أقبل وفد هوازن مسلما، وسألوا الرسول ﷺ أن يرد عليهم الغنائم. وكان الرسول ﷺ قد قسمها بين المسلمين، وأخذوا يتوسلون إلى الرسول ﷺ فى ذلك فقال لهم الرسول ﷺ : «فأبناؤكم نساؤكم أحب إليكم أم أموالكم» أى عليكم أن تختاروا بين الأولاد والنساء وبين الأموال، فقالوا الأولاد والنساء. فقام الرسول ﷺ وطلب من المسلمين رد الأولاد والنساء فسارع البعض إلى ذلك وتردد البعض الآخر، فوعده الرسول ﷺ بأن يعوضه عن ذلك فى مرات قادمة، وفى النهاية أعاد الجميع النساء والأولاد إلى هوازن.

أداء العمرة والانصراف إلى المدينة:

ثم قام الرسول ﷺ والمسلمون بالذهاب إلى مكة فأدوا العمرة ثم رجعوا إلى المدينة.

وبعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة، بعد أن فتح الله عليه مكة وأسلم أهل الطائف من قبيلة هوازن، قام الرسول باستقبال وفود القبائل التى جاءت تعلن إسلامها وكان يبعث الدعاة إلى كل مكان فى الجزيرة

العربية، كما يرسل الحملات العسكرية الصغيرة على القبائل التى مازالت تصر على الكفر. ومن هذه الحملات.

- سرية عيينة بن حصن فى شهر المحرم سنة ٩ هـ إلى بنى تميم ومعه خمسون فارسا من المسلمين، وسببها أن بنى تميم كانوا قد حرضوا بعض القبائل على عدم الرضوخ للرسول ﷺ وعدم دفع الجزية.

وهجم عليهم عيينة بن حصن، فهربوا من أمامه واستطاع أن يأسر بعضا منهم «أحد عشر رجلا وإحدى وعشرين امرأة وثلاثون صبيا» فرجع بهم إلى المدينة.

وجاء وفد من بنى تميم إلى المدينة وتوسلوا إلى الرسول ﷺ أن يعطيهم الأسرى وألقى بعضهم الخطب ورد عليهم بعض المسلمين بالخطابة أيضا أى تبادل الطرفان إلقاء الخطب وفى النهاية أسلم بنو تميم فرد عليهم الرسول ﷺ أسراهم ونساءهم وأولادهم.

- سرية قطبة بن عامر إلى حى من خثعم، فى صفر سنة ٩ هـ وقد خرج قطبة بن عامر ومعه عشرون رجلا من المسلمين، فأغار على هؤلاء الناس من خثعم وقاتلهم قتالا شديدا وقتل عددا منهم وأسر بعضا آخر وغنم الكثير من الغنائم فرجع بها إلى المدينة.

- سرية الضحاك بن سفيان فى ربيع الأول سنة ٩ هـ، وقد ذهبت هذه السرية إلى بنى كلاب تدعوهم إلى الإسلام فرفضوا فتقاتل الطرفان حتى انهزم بنو كلاب.

- سرية علقمة بن مجزز المدلجى إلى سواحل جدة فى شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ وقد خرج معه ثلاثمائة من المسلمين وقد قصد هؤلاء الذهاب إلى الساحل لتأديب بعض رجال الحبشة الذين كانوا يقومون

بأعمال القرصنة بالقرب من سواحل جدة ، وقد خاض علقمة البحر ومن معه من المسلمين حتى وصل إلى جزيرة داخل البحر، فلما علم هؤلاء بذلك فروا هاربين.

- سرية على بن أبى طالب إلى قبيلة طيئ، وذلك لهدم صنم هناك يسمى «قلس» فى شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ وكان مع على فى تلك السرية مائة وخمسون رجلا، وهجم على بن أبى طالب على بلدة عدى بن حاتم الطائي، وغنم الكثير منها ومن بينهم أخت عدى بن حاتم، وقد هرب عدى بن حاتم إلى الشام.

فلما وصل على إلى المدينة، ذهبت أخت عدى وتوسلت إلى الرسول ﷺ حتى رق قلبه لها فأطلق سراحها فذهبت إلى أخيها بالشام وقالت له إن محمدا صنع بها معروفا كبيرا، فجاء عدى إلى المدينة وتحاور مع الرسول ﷺ وأسلم فى النهاية بعد أن أدرك أن الرسول ﷺ يعرف أشياء لا يعرفها إلا نبى.

غزوة تبوك

فى رجب سنة ٩هـ

غزوة تبوك:

استطاع الرسول ﷺ أن يبسط نفوذ الإسلام على الجزيرة العربية كلها، ولم يعد هناك أمل فى وجود أى قوة داخل الجزيرة العربية تستطيع أن تتحدى المسلمين،وكان الرومان يرصدون هذا الأمر ويريدون القضاء على الرسول ﷺ خاصة بعد ما شاهدوه فى غزوة مؤتةوإدراكهم أن للمسلمين قوة لا يستهان بها، وبدأ قيصر الروم يعد العدة ويجهز الجيوش لغزو المسلمين، وكانت الأخبار تأتى من الشام تقول إن الرومان أعدوا جيشا من أربعين ألف جندى للزحف على المدينة، وفرح المنافقون بهذا الأمر وتمنوا أن يقوم الرومان بالقضاء على الإسلام بعد أن فشل العرب فى ذلك، وقرر الرسول ﷺ أن يعد العدة للهجوم على الرومان قبل أن يهاجموه لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع وأعلن الرسول ﷺ فى المسلمين أن يستعدوا لقتال الروم وطلب منهم أن يساعدوا بالأموال فى تجهيز تلك الحملة الضخمة. وسارع المسلمون يحملون السلاح ويستعدون للرحيل، وسارع المسلمون أيضا إلى التبرع بالمال لتجهيز الجيش فتبرع أبو بكر رضى الله عنه بكل أمواله فلما قيل له: ماذا تركت لأولادك ؟قال: تركت لهم الله ورسوله. وتبرع عمر بن الخطاب بنصف ماله وتبرع عثمان بن عفان بتسعمائة

جمل ومائة فرس وكثير من النقود. وتبرع عبدالرحمن بن عوف بمائة أوقية من الفضة وكذلك تبرع العباس وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد ابن مسلمة وعاصم بن عدى وغيرهم من المسلمين بأموال كثيرة، ومع كثرة التبرعات إلا أنها لم تكف لأن الجيش الذى استعد للخروج كان كبيرا جدا حيث بلغ عدده حوالى ٣٠ ألف مقاتل.

وتحرك الجيش وسار حتى بلغ تبوك، وكان الرسول ﷺ يخطب فى الجيش ويرفع المعنويات ولماسمع الرومان وحلفاؤهم من العرب بأمر هذا الجيش الإسلامى الكبير، شعروا بالخوف وهربوا وتفرقوا وأدى هذا إلى رفع سمعة المسلمين وشعور الجميع أنهم قوة لا يستهان بها، وجاء كثير من الحكام والأمراء فى تلك المنطقة بالشام، وصالحوا الرسول ﷺ ودفعوا له الجزية، وأدركت القبائل أن الأمر أصبح للمسلمين فى تلك المنطقة ولم يعد الأمر للرومان فنقلوا ولاءهم إلى المسلمين، ثم أرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد على رأس أربعة وعشرين فارسا إلى دومة الجندل وتقاتل خالد مع «أكيدر» زعيم دومة الجندل واستطاع خالد أن يأسر هذا الزعيم ويأتى به إلى الرسول ﷺ فصالحه الرسول ﷺ وأخذ منه أموالا كثيرة مقابل العفو عنه..

ثم رجع الجيش الإسلامى إلى المدينة، بعد أن ألقى الرعب فى قلب الرومان والعرب فى تلك المنطقة، وبذلك استطاع الرسول ﷺ أن يمنع تفكير الروم فى تجهيز الجيوش لغزو المدينة كما استطاع أن يقطع الأمل لدى المنافقين فى ذلك وفى نفس الوقت حقق الهدوء والسكينة والاطمئنان للمسلمين الذين كانوا يخافون من الشائعات التى كان

يرددها المنافقون بشأن استعداد الروم للقضاء على الإسلام والزحف إلى المدينة كما استطاع أن يجعل القبائل على أطراف الشام تعطى ولاءها للمسلمين بدلا من الرومان، وأدركت كل القبائل فى الجزيرة العربية وأطراف الشام والعراق أنه لا أمل فى القضاء على الإسلام فبدأت تدخل فى الإسلام أو تخضع للمسلمين.

نزول سورة براءة:

وفى شهر ذى القعدة سنة ٩ هـ بعث الرسول ﷺ أبو بكر الصديق على رأس عدد من المسلمين لأداء فريضة الحج ونزلت سورة براءة التى تمنع المسلمين من معاهدة المشركين وتطلب منهم القيام بغزو المشركين فى كل مكان، وكذلك حرمت على المشركين دخول المسجد الحرام وتضمنت سورة براءة الكثير من الأحكام الخاصة بالجهاد وتنظيم العلاقات مع الكفار.

سميت سنة ٩ هـ بعام الوفود، وذلك لكثرة الوفود التى جاءت إلى المدينة تعلن الإسلام فى ذلك العام، وفى الحقيقة فإن الوفود إلى المدينة قد جاء بعضها قبل ذلك وبعضها بعد ذلك، ولكن معظمها جاء سنة ٩ هـ ، وسمى هذا العام لذلك بعام الوفود وقد بلغ عدد الوفود التى جاءت إلى المدينة حوالى ٧٠ وفدا، ودخل الناس جماعات وأفرادا فى الإسلام وكثرعدد المسلمين بصورة كبيرة.

عام الوفود ودخول الناس في دين الله أفواجا حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ

حجة الوداع:

انتشر الإسلام فى كل مكان حتى وصل أطراف الشام والعراق، وأصبح الإسلام قوة كبيرة، وأحس الرسول ﷺ أنه اقترب من الموت بعد أن أدى رسالة الله كاملة للناس، فدعا الناس إلى الحج، وسار ومن معه يقصد مكة حيث اجتمعت هناك الناس من كل القبائل وفى اليوم الثامن من ذى الحجة سنة ١٠ هـ ، اجتمع حول الرسول ، مائة وأربعة وأربعون ألفا من المسلمين فقام الرسول ﷺ ليخطب فيهم وبدأ خطبته بقوله «أيها الناس اسمعوا قولي: فإني لا أدرى لعلى لا ألقالكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا»: ثم أخذ يقدم لهم الأحكام الإسلامية والمبادئ الإسلامية وينصحهم النصائح العظيمة ثم كان يسأل الناس ألا هل بلغت؟ فيرد الناس نشهد أنك قد بلغت وأديت، ونصحت فيقول الرسول ﷺ «اللهم اشهد » ثلاث مرات وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من إلقاء تلك الخطبة نزل قول الله تعالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ وعندما سمعها عمر بن الخطاب أخذ يبكى لأنه عرف أن الرسول ﷺ قد اقترب من الموت. ثم قام الرسول ، ببعض شعائر ومناسك الحج وفى اليوم العاشر من ذى

الحجة خطب فى الناس مرة الثانية وكرر على الناس مبادئ الإسلام العظيمة، ثم أتم شعائر الحج وعاد إلى المدينة.

آخر البعوث «أي» آخر الحملات العسكرية:.

أمر الرسول ﷺ بتجهيز جيش كبير للخروج إلى فلسطين من أرض الشام، وذلك حتى يلقى الرعب فى قلب الروم ويطمئن القبائل التى دخلت فى الإسلام فى تلك البلاد، وجعل قائد هذا الجيش هو أسامة ابن زيد بن حارثة وكان صغير السن، إلا أن الرسول أصر على أن يكون أسامة هو قائد الجيش رغم صغر سنه، وبالفعل انطلق هذا الجيش فى شهر صفر سنة ١١ هـ ، وبعد أن سار إلى خارج المدينة بمسافة قصيرة، جاءت الأخبار بمرض الرسول ﷺ فتوقف الجيش عن السير لكى يعرف أحوال الرسول ﷺ. إلا أن الرسول ﷺ انتقل إلى جوار ربه، فلما أصبح أبو بكر الصديق خليفة على المسلمين ، أمر بإرسال هذا الجيش إلى الشام لأن الرسول ﷺ كان قد أوصى بذلك.

موت الرسول ﷺ :

بعد أن أدى الرسول ﷺ الرسالة كاملة، وأدى الأمانة كاملة وأقام الحجة كاملة على الناس، توفى ﷺ وانتقل إلى جوار ربه بعد أن مرض لمدة أسبوعين وكانت وفاته فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وكان يبلغ من العمر عندئذ ثلاثة وستين سنة وأربعة أيام وإنا لله وإنا إليه راجعون».

وقد حدثت الكثير من المواقف والأحداث أثناء مرض الرسول ﷺ منها أنه خرج إلى المسجد قبل الوفاة بخمسة أيام وصعد المنبر وخطب فى الناس ودعا كل من له حق عند الرسول ، فليأت ويأخذه حتى يلقى

الله وليس فى عنقه حق لأحد، لدرجة أن الرسول ﷺ قال للناس مامعناه : «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه أى فليجلدنى كما جلدته أى يأخذ حقه بنفس الطريقة، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه أى يشتمنى كما شتمته ويأخذ حقه بنفس الطريقة. ثم نزل وصلى الظهر وبعد الصلاة كرر نفس هذا الكلام مرة أخرى، فقام إليه رجل وقال له : «إن لى عندك ثلاثة دراهم فأعطاه إياها».

وقبل الوفاة بأربعة أيام أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من الجزيرة العربية وفى ذلك اليوم اشتد عليه المرض فلم يستطع الخروج للصلاة بالناس وكان قبل ذلك يخرج للصلاة بالناس رغم مرضه، فأرسل إلى أبى بكر وأمره أن يصلى بالناس.

وقبل الوفاة بيوم واحد، أعتق النبى ﷺ جميع العبيد الذين كانوا عنده وتصدق بسبعة دنانير هى كل ماكان عنده وأعطى للمسلمين جميع أسلحته هدية لهم،ولم يبق فى بيته شئ قط حتى أن عائشة استعارت الزيت للمصباح فى تلك الليلة من إحدى جاراتها وكانت درع النبى ﷺ فى ذلك الوقت مرهونة عند يهودى مقابل ثلاثين صاعا من الشعير.

